

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ابن عبد الله جعفر بن محمد الموجي

ح عبد الله بن حسين الموجان، ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الموجان، عبد الله بن حسين
الحوار في الإسلام / عبد الله بن حسين الموجان - جدة، ١٤٢٧ هـ
٣٢٠ ص، ٢٤١٧ سم
ردمك ٩٧٧٠٠٥٢٠٩٩٦ ديوبي ٢١٢
١. الدعوة الإسلامية ٢. الحوار ٣. العنوان
١٤٢٧ / ٣٤٦٧

رقم الإيداع: ١٤٢٧ / ٣٤٦٧
ردمك ٩٧٧٠٠٥٢٠٩٩٦

الطبعة الأولى
١٤٢٧ م ٢٠٠٦ - ٥٤٢٧
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هاتف: ٠٩٦٦٢٥٦٦٤٣٤٧
ص. ب: ٦٨٥٩. مكة المكرمة

الناشر

مركز الكون

هاتف: ٠٢٦٥٢٩٢٢٧ - ٠٢٦٥٢٢٥٥
فاكس: ٠٩٦٦٢٦٥١١٦٤٨
ص. ب: ٩٠٧٥. جدة ٢١٤١٣

الْحَوَارِيُّ فِي الْأَسْعَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إله راء

إلى مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك / عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله

ملك المملكة العربية السعودية

أول من نادى بضرورة الحوار وأرسى له الدعائم وفتح له الأبواب

إلى الملك الذي لا يدخل وسعاً في سبيل حماية جناب التوحيد

فيبذل الجهد والوقت والمال لينشر الإسلام في كل بقاع الأرض

كي تظل راية ((لا إله إلا الله)) عاليةً خفاقة

حتى يرث الله الأرض ومن عليها

المؤلف

مُقَلِّمةٌ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله وكماله وعظمته وسلطانه، والصلاه والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي آتاه الله عظيم فضله، وكريم هدايته؛ فشرح به الصدور، وأنار به الأفءة، وزكي به أولي الألباب، وعلى آله وصحبه ذوي البصائر الأطهار.

أما بعد

فإن العمل في الدعوة إلى الإسلام يشتمل على النشاط القولي والعملي والحركي والزمني والمكاني للأفراد في كل شؤون حياتهم، ولا تجد أمراً صغيراً ولا كبيراً تحتاجه الدعوة إلا وقد فصله هذا الدين العظيم الذي أكمله الله لنا، وأتم به النعمة، وارتضاه لهذه الأمة.

ومن نافلة القول أن نؤكد على أن الدعوة بالحوار قد عُنى بها الإسلام سواء في أدب التخاطب، أو أدب التحدث، أو أدب التعبير، أو أدب الحوار، وأيضاً أدب الرد على الناس بعامة، وأدب الرد على الخصوم بخاصة.

وهذا المنهج التأديبي التعليمي إنما هدانا إليه القرآن الكريم، حيث علمنا كيف تتحاور، وكيف تتفق، وكيف تختلف، وعلمه لنا الرسول الكريم ﷺ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين. ثم اتسع الأمر لأكثر من هذا في كيفية التحاور مع الأمم الأخرى، وفي التبادل الفكري والعلمي، وفي التواصل الإنساني من خلال التعارف والتلاقي حول مفاهيم إنسانية؛ تحقيقاً لمبادئ التحاب والتود والتوافق بالخير والتسامح.

وقد دعانا الإسلام إلى التعايش والتعرف مع الآخرين، وله في ذلك دواع وأسباب كثيرة يمكن إجمالها في ما يلى:

أولاً: أن الإسلام لا يرضى بالتعصب سواء كان للجنس، أو للأرض، لقيامه على اتباع الهوى، وحب الذات.

ثانياً: أنه يدعو إلى التعارف، وتبادل المنافع والمصالح، وإلى التعايش وهو بذلك لا يرى فضلاً لأحد على الآخر إلا بالتقوى. يقول عز وجل ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا هَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْثَرَ مَكْمُمٍ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). والتقوى تعنى طلب الوقاية من كل ما قد يصيبك من ضرر أو مكروره.

ثالثاً: أنه ينطلق من أن الإختلاف كامن في طبيعة الحياة، فقد خلق الله تعالى الكون ومن فيه على أساس من الإختلاف الظاهر في النوع والعدد.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِإِيمَانِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩)، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ إِيمَانِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتُكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

ويؤكد الله عز وجل هذه الحقيقة التي لا تبدل فيها فيقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (هود: ١٨، ١٩) أي أن سنة الله في الأرض تقوم على تبادل البشر سواء أكان هذا التبادل يتعلق بالجنس أم اللغة أم الدين.

ف الإسلامي لا يقاطع الآخر مقاطعة شاملة، ولا يحرسّم أصل التعامل مع غير المسلمين حتى تتحقق مصالح المجتمع الإسلامي من خلال تلك العلاقات. وإن دعوة الإسلام تنطلق من نظرة شاملة للإنسان، وهذه النّظرة تبقى أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

إن القرن الذي نحن فيه هو قرن يزيد فيه التواصل والتحاور البشري، ويمكن القول: إنه قرن التدافع الثقافي، وهذا توجه مهم ومفيد؛ يلزم المسلمين استقباله والتعامل معه بإيجابية، لأن منهجية الحوار بالبيان والحكمة إنما هو منطلق أساسي في منهج القرآن الكريم وأديبيات الدعوة إلى الإسلام.

والمسلمون مطالبون بالسعى للحوار مع غيرهم بما يحقق وضوح الرؤية، ويجمع الكلمة على المبادئ والقيم الربانية الخالدة.

وإذا كانت الحضارة تمثل كل مظاهر من مظاهر الإنتاج البشري. وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعلاته مع البيئة، فإنه من البدهي أن تختلف كل حضارة في مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قدمها وحدتها مظاهر مميزة.

والعقل البشري استطاع بما اكتسب من خبرة، ودربة أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات وروابط. لذلك نجد أن النتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض. وأيضاً فإن الحضارات ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هي وقف على جماعة من الناس؛ لأنها صرخ هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والحضارات قد تتشابه في مظاهرها، وفي عناصرها، وفي أسلوبها لا سيما إذا تعاملت في جهات متقاربة، وهي سلسة متحمة متينة الحلقات يؤثر سابقها في لاحقها، ويتأثر حاضرها بماضيها؛ وينتفع بعضها من بعض.

الحوار في الإسلام

والأمة الإسلامية تحكم علاقاتها وتحاوراتها قواعد تقوم على أساسها صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذِرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضٍ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩).

وال المسلمين وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس، تحكمهم قيم وآداب لا ينبغي تجاوزها ومخالفتها، ولا يصح معها التنقيس من معتقدات الآخرين، وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْبِبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبِبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَالِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مُرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلام وقيمه مأمورة بالالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة وقيام الخصومة والشحنة بينهم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا كُونُوا قَوَّمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

والتدافع بين الناس حقيقة أوضحتها القرآن، وهو قائم على أساس التنافس في جلب المصالح، ودرء المفاسد، وهو كفيل بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعاً، وتوفير الأمن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض.

ومن جهة أخرى فإن التدافع بين الناس جدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ بِعَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِسَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

إن مبادئ الإسلام وقيمة تعلم المسلمين وتأكد عليهم ألا يبخسوا الناس أشياءهم وألا يحتقروا كدحهم وجهدهم في كل عمل بناء، يحقق الإعمار والإبداع الحضاري. وتلزمنا تعاليم الإسلام احترام وتقدير كلّ عطاء خيّر في ميادين القيم والسلوكيات وفي ميادين الماديات والوسائل والمهارات، وهذا يلتقي مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الرباني في عمارة الأرض؛ لأن القرآن الكريم يعثّر احتقار سعي الناس ومحسن دورهم الإيجابي الفعال المثير في الأرض من العبث والإفساد الذي يقتنه الإسلام، وينهي عنه.

وال المسلمين وفق هذا المنهج الرباني العادل، وموروثه التشريعي، وفي ضوء قدراتهم المادية والسياسية، يجدون أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم وإسهاماتهم الإيجابية الفعالة في معركة التدافع البشري لإقامة نظام عادل ينهي حالة القلق والذعر التي تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض، ويضع حداً لتدحرج العلاقات في أكثر من موقع، ويزيل عوامل الاضطراب، والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم، ويُقيّم موازين القسط للتعايش، والتعاون البشري، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل الثقافي، بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل.

أهم المعالم الإسلامية في قضية الحوار:

أولاً: إن حوار الحضارات الذي ندعوا إليه ينبغي أن يجنبنا عمليات فرض التجارب والنماذج الوافية من بلدان وحضارات معينة، تلك التي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي بُعثت فيه. فإن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية واجتماعية معينة وتصدير البرامج؛ لا يمكن أن ينجح إلا في سياقٍ من التوابل، والرؤى المتبادلة التي تحترم خصوصية الآخر وذاته الحضارية.

ثانياً: أن مفهوم المسلمين للحوار الحضاري لا ينفصل عن الأبعاد الخلفية للقيم العلمية والشرعية. فثقافة المسلمين انبثقت تاريخياً عبر منظومة القيم التي كانت ولا تزال تمثل جزءاً من رصيدها الحضاري، وهي منظومة تغiz نسيج الأمة الاجتماعي بمختلف خلاياه. وإبراز بعد الخلقي في الحوار نابع من إحساس المسلمين وقلقهم؛ مما يهدد وجودهم الحضاري من انحرافات تجسدها المنافسة الشرسة التي باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة، فضلاً عن الكثير من الظواهر التي أبرزتها ظروف العصر، وباتت تهدد المجتمع. ومع هذه المحاذير يتquin كذلك تبيّن طبيعة المعوقات التي تعترض طريقَ هذا الحوار، خصوصاً الحوار الإسلامي - الغربي، وفي مقدمتها ما يشوب الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات. المسلمين غير مسؤولين عنها.

ثالثاً: إن صورة المسلمين الحضارية في غالب وسائل الإعلام الغربية، لا تعكس صورة المسلمين الصحيحة.

فقد تشكلت صورةُ الشخصية الإسلامية في سياق سلبي لدى الرأي العام الغربي، فغلب على ملامحها الانغلاق والتعصب والجهل والعدوانية. إنها الصورة القائمة للأسف في ذهن الإنسان الغربي العادي الذي يتلقى معلوماته عن الإسلام والمسلمين من وسائل إعلامٍ موجهةٍ غالباً من مراكز قوى ضغطٍ ليست محايضة.

ويمثل اعتماد مبدأ الاستماع إلى الآخر فرصة لإجلاء صورة الحضارة الإسلامية لدى الغرب؛ الذي نطمئن إلى توصيل الدعوة إليه في صورتها الصحيحة. لقد آن الأوان للكف عن النظر إلى الحوار الحضاري باعتباره وسيلةً لتحقيق المنافع، واكتساب الأسوق، وبات من الضروري تصحيح صورة الحضارة الإسلامية المشوهة والمنقوصة لدى العالم الغربي. ويجب أن نعترف بوجود جهل بنا أو تجاهل لنا على الرغم من أننا نعرف منْ تاريخ الغرب وحضارته ولغاته أكثر مما يعرف هو عنا. حتى أبناؤنا المهاجرون، على رغم أهميّتهم الحضارية في بعض المجتمعات الغربية، لا يحظون في مجتمعات المهاجر بالقدر الكافي من تعليم اللغة العربية، وكثيراً ما يؤدي التهميش اللغوي والقيود المفروضة على أولئك الأبناء المهاجرين إلى إبعاد الأجيال الجديدة في بعض الحاليات العربية والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقة.

والحق أن الحوار الحقيقي بين الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسى من شروط التعايش السلمي بين الشعوب. ونخن نعتقد أن الحضارة العربية الإسلامية قادرةً في ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة بفضل تجاربها الثرية؛ على أن تؤدي دوراً إيجابياً في تعميق مبادئ الحوار بين الأمم والشعوب.

وللوصول إلى هذا الهدف كان هذا الكتاب الذي احتوى على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

اشتمل الباب الأول على ثمانية فصول بدأت بتعريفاتٍ ومفاهيم حول الحوار، ثم الحوار والمعاني المشابهة له، ثم الحوار في القرآن الكريم، ثم الحوار في السنة النبوية، ثم الحوار بين الصحابة رض، ثم أنواع الحوار من ممدوح ومذموم، ثم أصناف منْ يمتنعُ الحوار معهم، ثم أدب الحوار في الإسلام.

ثم عرض الباب الثاني تاريخَ الحوار في مختلف العصور من خلال مقدمة تاريخية، ثم التاريخ للحوار من خلال ثانية فصول تناولت تطور الحوار قديماً وحديثاً، وفق صفات المخاطبين وطبيعتهم.

وفي الباب الثالث عَرْضٌ لصور الحوار مع الذات من خلال محاسبة النفس، ثم التأمل والتدبر، وكذلك الحوار مع الآخر من خلال المعاشرة ومحاورة غير المسلم. وأما الباب الرابع فقد تناول قضية حوار الحضارات من خلال ستة فصول تناولت كلًّا أطراف القضية بتفصيل شديد من حيث الخلفية التاريخية، ثم رصدها حديثاً، وتقديم رؤية واضحة لحوار الحضارات.

وجاء الباب الخامس والأخير تطبيقياً؛ حيث عرض لثمرات الحوار من خلال ثلاثة فصول: تناولت ثمرات الحوار في مجال الدعوة إلى الله، وثمرات الحوار في المجال العلمي والتربوي، وثمرات الحوار في مجال التعامل الحضاري مع الأمم الأخرى. ونأمل أن يكون هذا التناول جاماً لأطراف الموضوع، وملماً بجزئياته؛ وَمُوَصِّلاً إلى الهدف الذي من أجله وضع هذا الكتاب.

وما كان من تقصير أو نسيان أو عجز فإننا نسأل الله عز وجل أن يتجاوز عنك، وما كان من فضل وإجادة فذلك بعونه وهدايته وتبنيه عز وجل. اللهم علمنا علماً ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واتكتب لنا الخير كله وللمسلمين في الدنيا والآخرة.

اللهم أخلص قلوبنا، وأعمالنا لك، واجعلنا خشاك كأننا نراك.
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات.

الموالى



الباب الأول

مدخل إلى الحوار

- الفصل الأول: تعاريفات ومفاهيم
- الفصل الثاني: الحوار والمعاني المشابهة له.
- الفصل الثالث: الحوار في القرآن الكريم.
- الفصل الرابع: الحوار في السنة النبوية.
- الفصل الخامس: الحوار بين الصحابة رض.
- الفصل السادس: آداب الحوار في الإسلام.

الفصل الأول

تعريفات ومفاهيم

لكي نعرف المقصود من كلمة «الحوار» نعرض لفهم هذه الكلمة لغة واصطلاحاً، ثم نستعرض المفاهيم الأخرى المشابهة له: كالجدال، والمحاجة، والمناظرة، والمراء، والخصوصة، واللجاج.

أولاً: تعريف الحوار:

الحوار في اللغة: أصله من الحَوْرُ - بفتح الحاء وسكون الواو - وهو الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء. قال لبيد بن ربيعة:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحْوُرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

ويقال: حار بمعنى رجع. وهم يتحاورون أي يتراجعون، وحاورته: راجعته الكلام، والحاوره: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وكلمته فيما حار جواباً^(١). قال الأخطل:

هَلَّا رَبِعْتَ فَتَسَأَلَ الْأَطْلَالَ وَلَقَدْ سَأَلْتُ فَمَا أَحْرَنْ سُؤَالَ^(٢)

فالحوار هو المراجعة في الكلام. قال القرطبي: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ﴾ تحاورك

أي تراجعك الكلام^(٣).

ويقول الإمام الزمخشري: يحاوره أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع. وسألته بما أحار كلمة^(٤). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَحْوِرَ﴾ (الإنشقاق: ١٤) أي يرجع إلى ربه.

(١) لسان العرب (٤/٢١٧)، والقاموس المحيط (٢/١٥).

(٢) أساس البلاغة (ص: ١٤٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/٢٧٢)، والآية من سورة المجادلة، آية: (١).

(٤) تفسير الكشاف (٤/٤٨٤).

ويأتي الحوار بمعنى المخاوبة. والتحاور التجاوب. ويقال كلمته فما أحار إلى جواباً، وما رجع إلى حويراء ولا محورة ولا حواراً. أي مارد جواباً^(١).

وفي القاموس المحيط: المخاورة: الجواب، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب^(٢).

ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة، ويقول الطبرى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ (الكهف: ٣٧)، وهو يخاطبه ويكلمه^(٣).

الحوار في الاصطلاح: هو الحديث بين اثنين أو أكثر، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر. ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.^(٤)

وهو ضربٌ من الأدب وأسلوبٌ من أساليبه، وحالة من التفاعل والتجاوب ثانياً: تعريف الجدال:

الجدال في اللغة: جادله مجادلة وجداً: يعني خاصمه، والاسم: الجدل وهو شدة الخصومة.

وقيل مشتق من الجدل وهو الفتل، ومنه زمام مجدول. ويقال: جدلت الجبل أجدله جدلاً إذا شددت فتلها، وقتلته فتللاً محكماً. ومنه قيل لزمام الناقة: الجديل.

فالجديل هو الزمام المجدول من أدم، ومنه قول أمرئ القيس:

وكَشَحٌ لطيفٌ كِالْجَدِيلِ مُخَصِّرٌ وَسَاقٌ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ
والجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها^(٥).

(١) الصحاح للجوهري (٢/٦٣٨).

(٢) القاموس المحيط (٢/١٦).

(٣) جامع البيان للطبرى (١٥/٤٧).

(٤) في أصول الحوار (ص: ١١).

(٥) الصحاح (٤/١٦٥٣).

الجدال في الاصطلاح: هو دفع المرء خصمته قصد إفساد قوله بحججه، أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة^(١).

وقال صاحب المصاحف المنير بعد أن عرفه لغة: ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها^(٢).

قال الإمام النووي: الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة، وتكون بمحق وبباطل، فإن كان للوقوف على الحق كان مموداً، قال تعالى: ﴿ وَجَدَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥). وإن كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، قال تعالى: ﴿ مَا يُجَدِّلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (غافر: ٣). وأصله الخصومة الشديدة. وسمى جدلاً لأن كل واحد منهمما يحكم خصومته وحجته إحكاماً بليغاً على قدر طاقته، تشبهها بجدل الحبل، وهو إحكام فتنه. اهـ.^(٣)

ثالثاً: تعريف الماناظرة:

الماناظرة في اللغة: مشتقة من النظر يعني: تأمل الشيء بالعين، والنظر أيضاً الانتظار، وأنظره: أخْرَه، واستنظره: استمهله.

الماناظرة في الاصطلاح: هي حوار بين اثنين متكافئين بلوغاً إلى الحق أو جلاء للصواب. ويقول ابن منظور في لسان العرب: الماناظرة أن تناظر أخاك في أمرٍ إذا نظرتما فيه معاً كيف تأيانيه. اهـ^(٤).

وتحتختلف الماناظرة عن المجادلة بنوعيها المحمود والمذموم في أن النظر يصح من طرف واحد، أما الجدل فلا يصح إلا بين اثنين، قال الخطيب البغدادي: ولا يصح الجدل إلا من اثنين، ويصح النظر من واحد. اهـ^(٥). وتحتختلف الماناظرة عن المجادلة

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٧٨).

(٢) المصباح المنير (ص: ٣٦)، (مادة: جدل).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٤٨/٢).

(٤) لسان العرب: (١٤/١٩٣)، مادة: نظر.

(٥) الفقيه والمتفقه (١/٢٣٠).

الحوار في الإسلام

باعتبار النية، فالمقصود من المناقضة هو ظهور الحق في المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى قول المجادل^(١).

رابعاً: تعريف المحاجة:

التحاجُ في اللغة: التخاصُمُ، والحجَّةُ هي البرهان، وقيل: الحجَّةُ ما دُوفع به الخصمُ، وقال الأزهري: الحجَّةُ الوجهُ الذي يكون به الظُّفُرُ عند الخصومة، وهو رجل مُحْجَاجٌ أي جَدِيلٌ، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ حَاجَوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِ﴾، قال المفسرون: حاجوك: خاصموك بالباطل^(٢).

التحاج في الاصطلاح: هو مجازةُ الحجَّةِ بالحجَّةِ بين طرفين، وفي الحديث: «فحجَ آدُمُ موسى^(٣)» أي غَلَبَهُ بالحجَّةِ.

وقد يفرقُ بين الحجَّةِ والمحاجة، وذلك لأنَّ الحجَّةَ تطلقُ على البرهان الصحيح، كما تطلقُ على الشبهةِ الفاسدة، وأما المحاجةُ فإنَّها في الغالب مذمومة؛ إذقصد منها دفعُ الخصمِ وردهُ، لا بِيَانِ الْحَقِّ^(٤).

خامساً: تعريف المرأة

المرأة في اللغة: من مارأه حَقَّهُ: أي جحده. ومارأه مرأءٌ ومارأة أي جادله. والمرية: الشك والافتراء.

المرأء في الاصطلاح: هو الجدال بين طرفين على مذهب الشك والريبة ليستخرج كلُّ واحدٍ منهما ما عند صاحبه ويترتبُه. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم: ٣٤). قال أبو حامد الغزالى: المرأة طَعْنٌ في

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٤٢٥/٢).

(٢) تفسير الطبرى، (٢١٤/٣) ونحوه لابن كثير (٣٥٤/١)، وزاد المسير (٣٦٣/١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى، وذكره بعد - حديث

(٤) وكذا هو في مسلم (٢٦٥٢) كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٥) الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنّة، ليحيى بن محمد بن رمزي ص: ٣١.

كلام الغير بإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرضٌ سوى تحثير الغير، وإظهار مَزَّيَّةِ الكِيَاسَةِ. اهـ.^(١)

سادساً: تعريف الخصومة:

الخصومة في اللغة: هي المنازعَةُ، والجدلُ، والغلبةُ بالحجَّةِ.^(٢)

الخصومة اصطلاحاً: لا يخرج عن المعنى اللغوي، وتطلق على الجدال بطريقة المتكلمين، و هو لاءٌ يُسمَّونَ بأهل الخصومات. قال الإمام أحمد في وصف الجهم بن صفوان: كان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان، من أهل ترمذ، وكان صاحبَ خصوماتٍ وكلام. اهـ.^(٣)

سابعاً: تعريف اللجاج:

اللجاج في اللغة: هو تردد الشيء بعضه على بعضٍ، ومنه اللّجة بالفتح لتردد الصوت، و لجة البحر تردد أمواجها، و لجة الليل تردد ظلامه.

اللجاج اصطلاحاً: اللجاج هو ما كان على باطل، وهو التمادي في العناد، والإصرار على جهل، مع رفع الصوت، والخروج عن حد الاعتدال. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٌّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٥). قال الشوكاني: في طغيانهم، وضلالهم، وأصل اللجاج التمادي في العناد. اهـ.^(٤)



(١) إحياء علوم الدين (٣/١١٥).

(٢) لسان العرب (٤/١١٤) مادة: (خُصُّم)، والمجمع الوسيط (١/٢٣٨) مادة: (خُصُّم).

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٩) ..

(٤) فتح القدير (٣/٤٩٤) ..

الفصل الثاني

الحوار والمفاهيم المشابهة له في القرآن الكريم

إن الحوار لا يكتمل معناه في الأذهان ولا تفتح صورته حتى نقف على المفاهيم المشابهة معه كالجَدَلِ والتَّحاجُّ والمناظرة والمراء، تلك التي تتحد معه في أشياء وتحتَّلُ معه في أشياءٍ آخرَ، ولا توجد صورةٌ أمثلٌ من استعراض هذه الألفاظ في القرآن الكريم حتى يتبيَّن لنا معنى كلِّ لفظٍ بجلاءٍ ووضوحٍ.

أولاً: الحوار:

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع كلها بالمعنى المحمود:

١- في قوله تعالى: «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَّ أَكْثَرَ مِنْكَ مَا لَأَعْزَزْ نَفْرَا» (الكهف: ٣٤).

٢- وفي قوله تعالى: «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِاللَّهِ حَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا» (سورة الكهف: ٣٧).

٣- وفي قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ آتِيَ تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَسْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» (المجادلة: ١).

ثانياً: الجدال:

ورد لفظ الجدال في القرآن باشتراطات مختلفة، فقد ورد فعلاً ماضياً، ومضارعاً، وأمراً، واستفهاماً، وورد مصدراً بصيغ مختلفة مثل: جَدَلًا، وَجَدَالًا، وَلَمْ يَرِدْ

بصيغة «مجادلة»^(١) (مُفَاعِلَة). وغالب استعمالات القرآن الكريم لهذا اللفظ يأتي في سياق الذم.

الجدال بالمعنى المذموم:

- «وَجَدَلُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخْذَتْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ» (غافر: ٥).
- «وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ» (النساء: ١٠٧).
- «هَاتُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» (النساء: ١٠٩).
- «وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» (الحج: ٦٨).
- «أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِلَّا بِأَوْكُمْ» (الأعراف: ٧١).
- «حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ» (الأنعام: ٢٥).
- «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ» (الأనفال: ٦).
- «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونُ إِلَيْ أُولَئِيَّهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ» (الأنعام: ١٢١).
- «وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمُحَالِ» (الرعد: ١٣).
- «وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي إِيمَانِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» (الشورى: ٣).
- «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ» (الحج: ٣).

(١) انظر: سورة المجادلة.

- «وَمِنَ الْأَنَاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ» (الحج : ٨).

- «وَمِنَ الْأَنَاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ» (القمان : ٢٠).

- «فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ» (البقرة : ١٩٧).

- «وَكَانَ إِلَّا نَسْنَنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» (الكهف : ٥٤).

- «يَنُوْحُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا» (هود : ٣٢).

- «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا» (النحل : ١١١).

- أما قوله تعالى: «فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ». فقد اختلف العلماء في المراد بالجدال في هذه الآية، لكنهم متفقون على أنه أتى في سياق الذم^(١).

الجدال بالمعنى المحمود:

- «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُّوْطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ» (هود : ٧٤ - ٧٥).

- «وَجَدَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل : ١٢٥).

- «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (العنكبوت : ٤٦).

وأما الجدال في قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي» (المجادلة : ١). فقد ورد بمعنى المحاورة فأطلق الجدال والحوار على شيء واحد وهو مراجعة الكلام بين النبي ﷺ وبين خولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها -.

والجدال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآتَتِهِ أَحْسَنُ﴾ جاء قيّداً على الجدال المحمود، لتمييزه عن الجدال المذموم من ناحية، وبيان أنه ليسَ جدال تقبیح حتى يطمئن المدعو إلى الداعي، ويشعر أن هدفه ليس الغلبة في الجدال، ولكن هدفه الوصول إلى الحق^(١).

الجدال في السنة النبوية:

بَوْبَ أئمَّةِ الْحَدِيثِ فِي كِتَبِهِمْ مَا يُؤكِّدُ عَلَى كِرَاهَةِ الْجَدَلِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ: الشَّدَّةُ

في الخصومة.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي سِنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي كِتَابِ السَّنَةِ قَالَ: بَابُ النَّهِيِّ عَنِ الْجَدَلِ فِي الْقُرْآنِ. ثُمَّ رَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ: «الْمَرْأَةُ فِي الْقُرْآنِ كُفَّرٌ»^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: تَلَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ إِيمَانٌ تَحْكَمَ بِهِ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِّهَاتٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةً إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَّا هُمُ الْفَاجِرُونَ»^(٣).

(١) في طلال القرآن (١٤ / ٢٠ - ٢٢).

(٢) صحيح. رواه أبو داود في كتاب السنن، حديث [٤٦٠٣] باب النهي عن الجدال في القرآن، وأحمد [٧٧٨٩]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٨٧٤]، والروض النضير [١١٢١]، والمشكاة [٢٣٦]، والتعليق الرغيب (١ / ٨٢) صحيح الجامع الصغير [٦٦٨٧].

(٣) رواه البخاري [٤٤٤٧] كتاب التفسير، باب: [مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ]، ومسلم [٢٦٦٥] ومسلم كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، وابن ماجه [٤٧٤]، وهذا لفظه، في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدال، وأحمد [٢٣٦٩٠].

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا ضلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلَّا أُوتُوا الْجَهَنَّمَ» ثُمَّ تلا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾^(١).

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَدْلِي عَلَى مَعْنَى الْجَهَنَّمِ بِالْبَاطِلِ وَالْلَّدُنِ فِي الْخُصُومَةِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدِّينِ بِأَشَدَّ مُجَادَلَةٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ»^(٢). فَالْحَدِيثُ يَبَيِّنُ أَنَّ الْمُجَادَلَةَ قَدْ تَكُونُ أَحْيَانًا فِي الْحَقِّ وَهِيَ أَيْضًا مَذْمُومَةٌ^(٣).

فَالْجَهَنَّمُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَلَمْ يُمْدَحْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوِ السُّنْنَةِ عَلَى إِطْلَاقِهِ. وَإِنَّمَا الْمُحْمُودُ مِنْهُ مَا قُيِّدَ بِالْحَسْنَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَدَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النَّحْل: ١٢٥)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْعِنْكَبُوت: ٤٦) وَأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْجَهَنَّمِ أَنَّهُ مَذْمُومٌ مَا لَمْ يُقِيدَ.

الفرق بين الجدال والحوار:

الحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، ولكنهما يفترقان بعد ذلك. فالجدال في الأغلب هو اللدد في الخصومة، وما يتصل بذلك، من العناد والتمسك بالرأي والتعصب، بخلاف الحوار، فهو مراجعة الكلام من خلال الحديث بين طرفين.

(١) صحيح. رواه الترمذى [٣٢٥٣] في تفسير القرآن بباب ومن سورة الزخرف، وقال عنه حسن صحيح، ورواه ابن ماجه [٤٨]، في المقدمة بباب اجتناب البدع والجدال، والحادي ث صحيح الألبانى فى: صحيح ابن ماجه [٤٥] وصحيح الترغيب [١٣٧]، والأية من سورة الزخرف، آية: [١].

٥٨

(٢) صحيح. رواه النسائي [ح ٥٠٢٥، ١١٢/١] في كتاب الإيمان، بباب زيادة الإيمان، وابن ماجه [٦٠]، في المقدمة بباب في الإيمان، وأحمد [١١٤٨٨]، والحادي ث صحيح الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٥١]، وصحيح النسائي [٤٦٣٧]، وأصله في البخاري [٧٣٩].

(٣) الحوار في ضوء الكتاب والسنّة (ص: ٢٥، ٢٦).

يتقلّلُ من الأول إلى الثاني ثم يعودُ إلى الأول وهكذا. دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلُّ بالضرورة على وجود الخصومة^(١) فالحوارُ والجدالُ بينهما عمومٌ وخصوصٌ^(٢). وفي القرآن الكريم ما يدلُّ على الفرق بينهما، حيث ذكرَ الجدالَ في مواضعٍ غير مُحْمُودَةٍ كقوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (العنكبوت: ٤٦) وقوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ» (الحج: ٨). بخلافِ المخاورة التي وردت في القرآن الكريم مُحْمُودَةٌ في كلِّ الموضع.

ثالثاً: التحاجُّ:

ورد هذا اللُّفْظُ في القرآن باشتراكاتٍ كثيرةٍ في اثنين عشرةً آيةً:

- ١- «أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجِّوْكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» (البقرة: ٧٦).
- ٢- «قُلْ أَتُحَاجِّنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ» (البقرة: ١٣٩).
- ٣- «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ» (البقرة: ٢٥٨).
- ٤- «فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» (آل عمران: ٢٠).
- ٥- «فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» (آل عمران: ٦١).
- ٦- «لَمْ تُحَاجِوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَإِنَّجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ» (آل عمران: ٦٥).
- ٧- «هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» (آل عمران: ٦٦).
- ٨- «فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» (آل عمران: ٦٦).

(١) في أصول الحوار (ص: ١٢).

(٢) الحوار في القرآن (ص: ٣٠).

- ٩- ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَيْكُمْ﴾ (آل عمران: ٧٣).
- ١٠- ﴿وَحَاجَهُ قَوْمٌهُ قَالَ أَتُحَاجُّوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنِ﴾ (الأعراف: ٨٠).
- ١١- ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّوْنَ فِي النَّارِ﴾ (غافر: ٤٧).
- ١٢- ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّوْنَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتُحِبِّ لَهُ﴾ (الشورى: ١٦).
- يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٨): تدل على إثبات المناظرة والجادلة وإقامة الحجة، وفي القرآن والسنة من هذا كثيرٌ من تأمله، قال الله تعالى: ﴿فُلْ هَائُوا بُرْهَنَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ١١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ﴾ (يونس ٦٨) أي من حجة. وقال في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَسُوْحُ قَدْ جَادَلَنَا فَأَكَثَرَتْ جِدَالَنَا﴾. الآيات إلى قوله: ﴿وَأَنَا بَرِّئٌ مِّمَّا تُحْجِرُونَ﴾ (هود: ٣٢-٣٥)، وكذلك مجادلة موسى مع فرعون إلى غير ذلك.
- فهذا تعليم من الله عز وجل لنا عن طريق السؤال والجواب والجادلة في الدين، لأن الفرق بين الحق والباطل لا يظهر إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل. وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وبادلهم الحجة بالحجج. وتحاجج آدم وموسى فغلبه آدم بالحجج.
- وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة، وتناولوا حتى ظهر الحق لهم. وتناولوا الصحابة بعد مبايعة أبي بكر رضي الله عنه في محاربة أهل الردة، إلى غير ذلك.
- وفي قول الله عز وجل: ﴿فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (آل عمران: ٦٦) دليل على أن التحاجج بالعلم مباح شائعٌ من تدبير.
- ولا تصح المناظرة، حتى يكون المتناظران متقاربين في الدين والعقل والإنصاف، وإلا فهو مرأء أو مكابر.

واستعمال لفظ «التحاج» جاء قريباً من استعمال الجدال فقد غالب استعماله في الآيات الكريمة بالمعنى المذموم عدا قوله تعالى: ﴿ هَأَتُمْ هَتَّلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

والمحاجة بمعنى الجدال الحمود جاءت هنا من قبيل المشاكلة التي يستعملها القرآن مثل قوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤). فمكرهم مكر سيئ ومكر الله حسن. قوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَالِدُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَالِدُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢). قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْهِمْ شَيَاطِينُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤ - ١٥) وغيره كثير.

رابعاً: المراء:

ورد المراء في القرآن باشتراكات كثيرة في ثمانية عشرة آية:

- ١- ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة: ١٤٧).
- ٢- ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٠).
- ٣- ﴿ ثُمَّ قُضِيَ أَجَلُهُ وَأَجَلٌ مُسَمَّىٌ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢).
- ٤- ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٤).
- ٥- ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس: ٩٤).
- ٦- ﴿ فَلَا تَكُونَ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (هود: ١٧).

- ٧- ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ (هود: ١٠٩).
- ٨- ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَأَةٌ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَقْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).
- ٩- ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرِيمٍ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم: ٣٤).
- ١٠- ﴿وَلَا يَرَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ (الحج: ٥٥).
- ١١- ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِهِ﴾ (السجدة: ٢٣).
- ١٢- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ (فصلت: ٥٤).
- ١٣- ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨).
- ١٤- ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ﴾ (الزخرف: ٦١).
- ١٥- ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (الدخان: ٥٠).
- ١٦- ﴿أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ (النجم: ١٢).
- ١٧- ﴿فَبِأَيِّ إِلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ (النجم: ٥٥).
- ١٨- ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ﴾ (القمر: ٣٦).

وهي تردد بين: الجحود، والشك، والجدل المذموم. لكنه لم يأت بمعنى الجدل المحمود، وعندما وردت قريباً من ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَأَةٌ ظَاهِرًا﴾ (الكهف: ٢٢) جاءت على طريقة المشاكلة، فضلاً عن القيد الذي جاء مصاحباً لكلمة "ظاهراً" مما يؤكّد المعنى. ولذا ذهب المفسرون إلى أنه لم يُبح له ﴿لِقَاءِهِ﴾ في

هذه الآية أن يماريَ، ولكنَّ قوله تعالى: «إِلَّا مِرَأَةٌ» استعارة منْ حيثُ يُماريَهُ أهْلُ الكتاب، سُمِّيَتْ مراجعتهُ لهم مِرَأَةً، ثمَّ قُيَّدَ بأنه ظاهرٌ ففارقَ المرأة المذمومَ. وفي الحديث عن أبي أمامة رض مرفوعاً: «أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمَرْأَةَ وَإِنْ كَانَ مُحْقَّاً، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذَّبَ وَإِنْ كَانَ مَا زَحَّاً، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَّ خُلُقَهُ»^(١).

خامساً: الخصام:

وردُّ الخصامُ في القرآنِ باشتراقاتٍ كثيرةً في ستَّ عشرةَ آيةً:

- ١- «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يَخْصَامِ» (البقرة: ٢٠٤).
- ٢- «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُوْنَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» (آل عمران: ٤٤).
- ٣- «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» (النساء: ١٠٥).
- ٤- «خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» (النحل: ٤).
- ٥- «هَذَا نَحْنُ أَخْتَصِمُنَا أَخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ» (الحج: ١٩).
- ٦- «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ثَمُوداً أَخَاهُمْ صَلِحًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ» (النمل: ٤٥).
- ٧- «قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» (الشعراء: ٩٧).

(١) حسنٌ رواه أبو داود في كتاب الأدب، بابٌ في حسن الخلق [٤٨٠٠]، والطبراني في الأوسط [٤٦٩٣]، والبيهقي في الكبرى (٢٤٩/١٠)، وحسنه الألباني في: صحيح أبي داود [٤٠١٥] والسلسلة الصحيحة [٢٧٣].

- ٨- **﴿أَوَلَمْ يَرَ إِلَّا نَسَنْ أَنَا حَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾** (يس: ٧٧).
- ٩- **﴿وَهَلْ أَتَيْتُكَ نَبِئُّا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا إِلَّا مُحْرَابٍ﴾** (ص: ٢١).
- ١٠- **﴿قَالُوا لَا تَخْفَ خَصْمَانِ بَعْنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾** (ص: ٢٢).
- ١١- **﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصِّمُ أَهْلَ النَّارِ﴾** (ص: ٦٤).
- ١٢- **﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِّمُونَ﴾** (ص: ٦٩).
- ١٣- **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ﴾** (الزمر: ٣١).
- ١٤- **﴿أَوَمَنْ يُنْشَأُونَ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾** (الزخرف: ١٨).
- ١٥- **﴿وَقَالُوا إِنَّا لَهَبَنَا حَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِّمُونَ﴾** (الزخرف: ٥٨).
- ١٦- **﴿قَالَ لَا تَخَصِّمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾** (ق: ٢٨).

سادساً: اللّجاجُ:

ورد لفظ لجوا في القرآن في موضعين :

- ١- **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** (المؤمنون: ٧٥).
- ٢- **﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُّوٍ وَنُفُورٍ﴾** (تبارك: ٢١).



الفصل الثالث

صُورُ الْحِوَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إن الحوار في القرآن الكريم تعددت أساليبه، وتنوعت صوره وأشكاله، ففي بعض الآيات نجد الدعوة إلى الحوار، أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي أخرى بيان لبعض آدابه، وفي آيات أخرى نماذج وأمثلة للحوار.

فمن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار، وأصوله، وشروط الانتفاع به قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْتَقِي وَفِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦).

تأتي هذه الآية ردًا على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبر أو تفكير فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها: ﴿ وَإِذَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ إِيمَانُنَا بَيِّنَتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِبَآءُوكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْلَكٌ مُفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ: ٤٣).

فأقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذ بجميع مقوماتها فإنه يصل إلى الحق بلاشك، وهذه المقومات هي :

- ١- الإخلاص والتجرد في طلب الحق، وهذا شرط أساسي لكل عمل، وبدونه يفسد العمل ولا يوفق صاحبه ولا يبارك له فيه، فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط للوصول إلى ذلك الحق.

وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلى الحق. ولو كان مثلَ فلقِ الصبح؛ لأنَّ مَنْ تعلقَ قصْدُهُ بغيرِ اللهِ ثُقُلَ عليهِ الانقيادُ للحقِّ وَقُصْرَتْ هُمَّتُهُ عنِ بلوغِ العملِ بهِ، وَعندما يوجدُ الإخلاصُ في القصدِ والصفاءِ في النيةِ والتجرُّدُ لاتباعِ الحقِّ، يُسْهَلُ علىِ صاحبهِ الانقيادُ لهُ عندَ ظهورِهِ، ولو علىِ لسانِ مُخَالِفِهِ؛ لأنَّهُ يعلمُ أنَّ الرجوعَ إلىِ الحقِّ خَيْرٌ منِ التَّمَادِيِّ فيِ الْبَاطِلِ.

وهذا الأصل يدخلُ تحتَهُ عددٌ منِ الآدَابِ مثلَ تصحِّحِ النيةِ، وَحُسْنِ الاستماعِ، والتسليمِ بالخطأِ، والرجوعِ إلىِ الحقِّ والتواضعِ، وَتَجْنِبِ الكذبِ واللَّمَوْغَةِ، والقيامِ بِأداءِ الأمانةِ، والإِنْصَافِ والْعَدْلِ، والهُدُوِّ، وَضَبْطِ النَّفْسِ، وَعدْمِ الغَضْبِ، وَتَجْنِبِ الْأَسْتَهْزَاءِ، وَالسَّخْرِيَّةِ بِالْطَّرْفِ الْآخَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكِ.

٢- مراجعةِ النَّفْسِ علىِ اِنْفَرَادٍ أَوْ مَعَ الْآخَرِينَ: ﴿مَتَّسِيٌّ وَفَرَدَى﴾ (سَيَا: ٤٦)،

والالتزامُ بِهذا الشرط يَقْضيُ علىِ عَامِلٍ مِّنَ الْعوَامِلِ الَّتِي تَبْعَدُنَا عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ يَحْدُثُ عادةً فِي الْأَجْوَاءِ الْجَمَاعِيَّةِ وَالْجَمَاهِيرِ الْجَاهِلَةِ، الَّتِي غالباً مَا تَتَصَفُّ بِالْغَوَّاَتِيَّةِ وَالتَّقْلِيَّدِ الْأَعْمَى، مَا يُؤْدِي بِطَالِبِ الْحَقِّ إِلَى اِتَّبَاعِ الْأَكْثَرِيَّةِ مِنَ النَّاسِ، ظَانًاً أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ. وَهذا الأصلُ أَيْضًا يدخلُ تحتَهُ عَدَدٌ مِّنَ الْأَمْوَارِ يُجَبِّبُ مِرَاعَاتِهَا، مُثْلِّ مِرَاعَاتِ الْجَوِّ الْمُحِيطِ بِالْحَوَارِ، وَالظَّرْفَوْنَ النَّفْسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْطَّرْفَيْنِ، وَالتَّعَارُفِ قَبْلِ الْحَوَارِ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى هُدُوِّ الْحَوَارِ وَالْوُصُولِ إِلَى نَتِيَّجَتِهِ مَا سَيَّأَتِي تَفْصِيلَهُ بِعِشَيَّةِ اللهِ تَعَالَى.

٣- التَّفَكُّرُ فِيمَا يَقُولُهُ الْمُخَالِفُ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سَيَا: ٤٦) وَهُوَ مِنَ الْأَمْوَارِ

الَّتِي تَعِنُّ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ بَعْدَ الالتزامِ بِمَا سَبَقَ، فَالْتَّفَكُّرُ وَالْعِلْمُ وَإِمْعَانُ النَّظرِ هُوَ الْمُتَّمَمُ لِهَذَا الْمَنْهِجِ الْإِلَهِيِّ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ، وَتَبَيَّنُ الْهُدُى مِنَ الْضَّلَالِ، لَأَنَّ أَدَاءَ التَّفَكُّرِ الْأَسَاسِيَّةِ هِيَ الْعِلْمُ بِحَالِ الْقَضِيَّةِ الْمُخَالَفِ فِيهَا وَمَعْرِفَةِ مَلَابِسَتِهَا، وَالْمَقْصُودُ بِالْتَّفَكُّرِ هُوَ الْبَحْثُ عَنِ الْأَدَلَّةِ الشَّرِعِيَّةِ الْعُلْمِيَّةِ وَالْتَّحْقِيقُ مِنْ ثَبَوْتِهَا وَدَلَالِتِهَا عَلَىِ الْمَرَادِ، وَالْجَاهِلُ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَا يُسْتَطِعُ الْوُصُولَ إِلَىِ الْحَقِّ فَيُوَاجِهُ التَّقْلِيَّدُ الْأَعْمَى دُونَ فَكْرٍ أَوْ نَظَرٍ^(١).

(١) سَيَّأَتِي بِيَانِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ (مَرَاجِعَ النَّفْسِ، وَالْتَّفَكُّرُ وَالْتَّأْمَلِ) فِي الْبَابِ الْثَّالِثِ: الْحَوَارُ مَعَ النَّفْسِ.

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية مثل البيان وحسن العرض والتبث والتوثيق، والبدء بالتفق عليه، وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق والبدء بالأهم، وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ووظهر أهمية تلك المقومات والأصول في كلام علماء التفسير عن هذه الآية، فيقول الطبرى - رحمه الله - : وقيل : إنما قيل ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْيَةٍ﴾ وتلك الواحدة أن تقوموا الله بالنصيحة وترك الهوى، ﴿مَتَّسَنَّ﴾ يقول : يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناورة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنوناً فقط ، ثم ينفرد كل واحد منكم ، فيفكر ويعتبر فرداً هل كان ذلك به ، فتعلمون حينئذ أنه نذير لكم ^(١) .

ويقول الزمخشري : والمعنى : إنما أعظمكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلاصتم من الباطل وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين وواحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوْا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به. أما الاثنان فيفكرا ويعرض كل واحد منها محصول فكره على صاحبه ، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين ، لا يملان إلى اتباع الهوى ، ولا ينبعض لهما عرق عصبية ، حتى يهجم بهما الفكر الصالح ، والنظر الصحيح على جادة الحق وستنه ، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل وإنصاف من غير أن يكابر ، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلا ومجاري أحوالهم. والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى : وبذلك عُلِمَ أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، وينعن من الرؤية وينخلط القول ، ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثير عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب ^(٢) .

فظاهر من كلام الطبرى ، وكذلك الزمخشري : أن الآية فيها دعوة وإشارة إلى المناورة والمحاورة مع مراعاة الأصول والمقومات التي تحقق الهدف ، وتشمر النتيجة ،

(١) تفسير الطبرى (٢٢ / ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) تفسير الكشاف (٢/ ٢٩٤).

الحوار في الإسلام

كما أشار غيرهما إلى المعنى نفسه. والمعنى: أن التي أعظمكم بها: قيامكم وتشميركم لطلب الحق. والمراد بقوله: «مثنى» أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ والمراد بـ«فرادي» بأن يتفكر الرجل وحده.

فإنني بخصلة واحدة أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها؛ ولست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أي: تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله، مجتمعين ومتناهرين، وفرادي كل واحد يخاطب نفسه بذلك حيث يدعوكم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهه من غير زيف أو خلل.

إنها دعوة للقيام لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والد الواقع التي في القلب، فتبعد به التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة، التي تُبعدُ القلبَ والعقلَ عن مواجهة الحقيقة في بساطتها.

دعوة إلى منطق الفطرة الهدئ الصافي، بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤى المضطربة والغش الذي يحجب صفاء الحقيقة، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة. منهج بسيط يعتمد على التجدد من الرواسب والغواشي والمؤثرات، وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي: «واحدة» إن تحققت صع المنهج واستقام الطريق، القيام لله.. لا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة... التجدد.. الخلوص.. ثم التفكير والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجرون.

﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفَرَادِي﴾ ... مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطى من غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتثبت لتبني الحجة في هدوء.. وفرادي مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحِحُكُمْ مِنْ حِنْنَةٍ﴾ فما عرفتم به إلا العقل والتدبر والرزانة. وما يقول شيئاً يدعوه إلى التظنبن بعقله ورشده إن هو إلا القول المحكم القوي المبين^(١). إن أقوال هؤلاء المفسرين رحمة الله تبين لنا أن القرآن عُني بموضوع الحوار، وأنه يحتوى على أصول ومقومات عامة ينطلق من خلالها كل باحث عن الحق. وقريب من هذا ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (النحل: ١٢٥) حيث قال الطبرى -رحمه الله-: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يقول: وخاصتهم بالخصوصية التي هي أحسن من غيرها، أن تصفحَ عما نالوا به عِرضَكَ من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك^(٢). وقال الزمخشري: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرقِ المجادلة من الرفقِ واللبيك من غيرِ فظاظةٍ ولا تعنيفٍ^(٣).

وقال الشوكاني - رحمة الله-: ثم أمر سبحانه ورسوله أن يدعو أمهه إلى الإسلام فقال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، وحذف المفعول للتعميم لكونه بُعثَ إلى الناس كافةً، وسبيلُ الله هو الإسلام ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: أي بالمقالة الحكمة الصحيحة. قيل: هي الحجج القطعية المفيدة للبيقين، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: وهي المقالة المشتملة

(١) في ظلال القرآن (٤٥/٢٩١).

(٢) الطبرى (١٤/٤٣٥).

(٣) الكشاف: (٢/٤٣٥).

على الموعظة الحسنة التي يستحسنها المستمع وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.

قيل: الحجج الظنية الموجبة للتصديق بمقادمات مقبولة وهم سبلا الدعوة، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم **اللَّهُ** إلى استعمال المعارضَة والمناقشة ونحو ذلك من الجدل. ولهذا قال سبحانه **وَجَدَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة. وإنما أمر سبحانه بالجادلة الحسنة لكون الداعي **مُحَقَّاً** وغرضه **صَحِيحًا**، وكان خصمُه مبطلاً وغرضُه فاسداً^(١).

إذن لا تخلو هذه الآية من إشارة عامة إلى قضية الحوار، وتنبيه على ضرورة مراعاة الأدب فيه، وهنا يقول صاحب الظلال في بيان الآية ما نصه: والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشقُّ بالتكليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوير في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والإندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وفي الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمقُ بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو **حُسْنِيَّة**، فإن الرفق والموعظة كثيراً ما تهديان القلوب الشاردة، وتؤلفان القلوب النافرة، وتأتيان بخير من الزجر والتأنيب والتوبیخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا **تَحَمُّلٍ** على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أنَّ **لِيَ هَدْفُهُ** هو الغلبة في الجدال، ولكن الاقتناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبراءتها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر

(١) فتح القدير (٢٠٣/٣).

التنازل عن الرأي تنازلاً عن هييتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يشعر المجادل أن ذاته مصونةٌ وقيمةٌ كريمةٌ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصر رأيه وهزيمته الرأي الآخر^(١).

خصائص الحوار القرآني:

١- يشتمل على أسلوبٍ وصفيٍّ جيد.

٢- عدم الاستطراد في تصوير الحوادث استطراداً مملاً بعيداً عن الواقع.

٣- التشويق الذي يدفع إلى المتابعة في لففةٍ حتى النهاية.

فمن الثابت البين: أن من لم يُحْكِمْ فَهْمَ الْقُرْآنِ فهِمَا صَحِيحاً لَا تَنْتَهُ لِفَضَائِلِهِ هَذَا الدِّينِ وَمَا فَرَطَ الْمُسْلِمُونَ فِي آدَابِ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا مِنْذَ أَنْ فَرَطُوا فِي لُغَتِهِ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يَفْهَمُونَ كَلْمَةً، وَلَا يُدْرِكُونَ حُكْمَهُ، وَلَا يَقْرَؤُونَ هَذَا الْكِتَابَ إِلَّا حُرْفًا، وَلَا يُنْطِقُونَهُ إِلَّا أَصْوَاتًا، وَتَرَاهُمْ يَرْعُونَهُ آذَانَهُمْ وَهُمْ بَعْدًا لَا يَتَنَاهُونَ مَعْنَى كَلَامِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ كَلَامِ النَّاسِ^(٢).

فَالْمُسْلِمُونَ الْأُولُونَ كَانُوا سَلَّيْقُهُمْ قَدْ سَلَّمَتْ فَمَكْتَبُهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا كَلَامَ اللَّهِ فِي يُسْرٍ، وَأَنْ يَدْرِكُوا مَا وَرَاءِ التَّرَاكِيبِ مِنْ كَوَافِنِ الْأَسْرَارِ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرُوا سَرَّ إِعْجَازِهِ عَنْدِ سَمَاعِهِ، وَأَنْ يَسْتَعْصِمُوا بِعَقَائِدِهِمْ عَلَى الْمُلْحِدِينَ.

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَقَدْ نَشَأَتْ فِي حَجَرِ الْإِسْلَامِ أَجِيالٌ تَصَعَّبُ عَلَيْهِمْ كُلُّ ذَلِكَ أَوْ تَأْبَيْ؛ لِأَنَّ الْفَطْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ وَهَنَتْ فِي نُفُوسِ النَّاسِ بِمَا خَالَطُوا وَابْتَدَعُوا عَنْ مَوْئِلِ السَّلَامَةِ وَمَعْدِنِ الْفَصَاحَةِ، وَعَزَّتْ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ بِمَا ارْتَضَوْا مِنْ أَفَوَيِقِ

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٠).

(٢) إعجاز القرآن للرافعى (ص: ١٠٤ - ١٠٦).

الموارد في الإسلام

العجمة في البيان لذلك اتجه العلماء إلى أن يربوا في الناس قوة الحس البلاغي، وأن يعودوهم ذوق البيان حتى لا تستغلق عليهم أساليب القرآن^(١):

وحوار القرآن يعتمد في طريقة تعبيره عند تنسيق الحوادث على تصوير أبرز المواقف تاركاً بين المشاهد كثيراً من التفصيات التي تعمل فيها الذاكرة أو يتصورها الخيال. وقدرة القرآن الكريم على تجسيم المعاني وتصوير الخواطر وبراعته في العرض والأداء وإعجازه في التعبير المركز القصيري المشع بالإيحاءات تبعث الحياة في الحوار وتحوله إلى صور حية وشخصيات متحركة تنقض بالحياة^(٢).

فحوّار القرآن واقعيٌ وأسلوبه حقيقٌ. ولقد عرَّف عبد القاهر الجرجاني الحقيقة بأنها: كل كلمة أُريد بها ما وُضعت له في مواضعها وقوعاً لا يستند إلى غيره^(٣). والأسلوب القرآني أسلوبٌ يعتمد على كثرة الحقائق وصحتها ووضوحها، فالحقائق مع الكثرة والصحة والوضوح تتلون بلون الصورة وتشكل عنصراً من عناصر الصورة الأدبية، ومن ثم نطاً جديداً في مجال الإعجاز القولي.

فأسلوب القرآن في الحوار أن يختار لقطاتٍ حيةٍ من الواقع التاريخية، ولا يُنقلُها بما هو تافهٌ من الجزئيات والتفاصيل التي تصرفُ الفكرَ عن التدبرِ والاعتبارِ، إنه يروي بعض أحداث القصة بأسلوب يبعث فيها الحياة فتتخطى القرونَ و يجعلها كأنها ماثلةً أمامنا^(٤) كما في قصة قوم لوط :

وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذِرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ آلَ السَّيِّئَاتِ
وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذِرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ آلَ السَّيِّئَاتِ

(١) مقدمة الايضاح في علوم البلاغة للقرزويني (ص: ٥).

٢) منهج القصة في القرآن (ص: ٤٤).

٣) احياء علوم الدين: (١١٥/٣).

(٤) سكلمه حبة القصبة في القرآن (ص: ٨٧).

قَالَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُجُونَ فِي ضَيْفِي
 أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ
 لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ إِمْرَأَةً إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٩﴾
 قَالُوا يَلْلُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُّوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِي أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الْأَيْلَلِ وَلَا
 يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الْصَّبْحُ
 أَلَيْسَ الْصَّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
 عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿١١﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ
 الظَّالِمِينَ بِيَعِيدٍ ﴿١٢﴾ (هود: ٧٧-٨٣).

الشخصيات في الحوار القرآنى:

يعتبر الحوار الوارد في القرآن أروع وأعظم حوار على وجه الإطلاق، وبه من الإعجاز الفني واللفظي والمعنوي ما أعجز البشر وخبراء لغة العرب على أن يأتوا بسورة من مثله.

وعند الحديث عن الشخصيات والأحداث في القصة القرآنية يجب أن نلاحظ أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني، وترتيب زمني وعقدة لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ولا موزعة توزيعاً بل لكل منها دور يختل بانعدامه توازن القصة؛ لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض وتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه^(١).

فقد يكون القصد الإنذار والترهيب مثلاً فيبرز عنصر الأحداث^(٢) قال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ فَأَمَّا ثَمُودٌ فَأَهْلِكُوا بِالْطَّاغِيَةِ ﴿١﴾ وَأَمَّا عَادٌ

(١) الحوار في القرآن (ص: ٥٦).

(٢) سيكلوجية القصة في القرآن (ص: ٩٣).

فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ ① سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرَعًا كَانُوكُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٍ ② (الحادة: ٤-٩)

وقد يكون القصد تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين على ما يدعون إليه، رغم ما يلقوه في سبيله من أهواه، فيبرز عنصر الأشخاص وتميزهم الأحداث التي ألمت بهم وما كانت من عاقبة يطمئن إليها المجاهدون. قال تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَزَانُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدَّرَى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتَيْهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّلَمِيْنَ ③ قَالُوا يَتُوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْتَثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ④ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ⑤ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّيْكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ⑥﴾ (هود: ٣١-٣٤).

وقد يكون القصد إقامة الحجة والإقناع بمحكایة أقوال الخصم أو التعريف بشخصية ما والتعليق عليها؛ فيبرز عنصر الحوار على طريقة الرواية للأقوال، ومن التعليب على أقوال الخصم ومحاجتهم هذا الحوار الذي جرى بين نوح وقومه على نحو ما تقدم في سورة هود (٣١-٣٤).

وقد يأتي الحدث والشخصية متساوين في الأهمية فيكمل كل منهما الآخر: ويتبادران على مركز الاهتمام^(١) كما في قصة مولد موسى عليه السلام: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّ رَأْدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ⑦ فَالْتَّقْطَهُ إَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجْنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِيْنَ ⑧

(١) سيميولوجية القصة في القرآن (ص: ٩٦).

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿الْقَصْصَ : ٩ - ٧﴾.

أما المكان والزمان: فهما عنصران مهمان في الحوار بإلتباسهما صورة من الواقع وتشخيصهما للأحداث في جو البيئة التي جرت فيها، وكل ما يتصل بهذه البيئة من ظروف وعادات لها تأثير في أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم.

إن الحوار القرآني لا يعنيه من ذكر المكان إلا ما جعلت منه جملة الأحداث المهمة مسرحاً له مثل ذكر مصر في حوار يوسف العليّ مع العزيز والملك وفي غياب السجن وعلى عرش الحكم^(١). قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آشَرَتْهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْحِرْمِي مَشْوَنَهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخِذُهُ وَلَدًا ﴿يوسف : ٢١﴾.

كما لا يعنيه من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة، ولا مدتها لكن قد يكون في تعينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها مثل المدة التي نامها أهل الكهف قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴿الكهف : ٢٥﴾.

والمدة التي أمات الله فيها الرجل الذي مر على قرية، قال تعالى: ﴿ كَمَا لَدِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴿البقرة : ٢٥٩﴾

وقد نجد الحدث والشخصية مجتمعة مع بعضها أو موزعة، فنرى عنصر الأحداث هو العنصر البارز في الحوار الذي يقصد به التخويف والإذار كما في قصة ثمود في سورة الشمس والقمر.

ولا يبرز عنصر الأشخاص إلا إذا قُصِدَ مثلاً تثبيت قلب النبي ﷺ فنلاحظ تعدد الشخصيات كما في سورة الأعراف والشعراء.

(١) سينكلوجية القصة في القرآن (ص : ٩٧).

والشخصية في الحوار القرآني لا يقصد بها الإنسان فحسب بل يقصد بها كل شخصية وقعت معها أحداث، وصدرت عنها عبارات وأفكار، أدت دوراً إيجابياً في الحوار مثل: الملائكة، والجن، والحيوانات، التي ذكر القرآن منها: الحمار، والكلب، والبقرة، والغراب. لكن الحوار لم يرد إلا عن بعض الطيور والحشرات مثل الهدед والنملة، ونرى أن القرآن عندما يتحدث عنهم يذكر أن الحيوانات تقوم بما يقوم به الشخص العادي، فقد تحدثت النملة، وتحدث الهدед كُلُّ بِلْعَيْهِ وَفَهِمَهُ سَلِيمَانُ الْكَلِيلُ لأن الله قد علمه منطقهما، وهذا قد أحدث لبساً عند البعض مثل الرازي وغيره فأنكروا أن يكون الحوار واقعياً أو على الحقيقة.

وعنصر الأسماء في الحوار القرآني ليس له دور بارز مثل: أسماء الرسل، والأنبياء، والملائكة والجن والملوك والوزراء، فالحوار في القرآن لم يقم وزناً لأسمائهم ومميزاتهم الحسية. فلا طول ولا عرض ولا لون ولا ملامح ولا قسمات من كل تلك التي تميز شخصية عن الأخرى ولنأخذ مثال أصحاب القرية، قال تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ٢١ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِنَائِلِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ٢٢ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الْرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ٢٣ قَالُوا إِنَّا رَأَيْنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ٢٤ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْبَلْعَ الْمُبِينَ ٢٥ قَالُوا إِنَّا تَطَهَّرُنَا بِكُمْ لَئِنْ لَّمْ تَتَنَاهُوا لِتَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمْسِنَّكُمْ مِّنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ٢٦ قَالُوا طَهِّرُكُم مَعَكُمْ إِنْ دُكَّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٢٧ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَأْتُونَ أَتَبْعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢٨ أَتَبْعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهَتَّدُونَ ٢٩» (يس: ١٣ - ٢١).

وفي بعض الأحيان نجد أن القرآن يذكر شيئاً من هذه السمات للضرورة كقوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعْةً مِنِ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٤٧).

يهمل القرآن الأسماء إهمالاً تاماً في الحوار الذي يراد به التخويف والذي يبرز فيه عنصر الحوادث ويخفي ما عداتها، كقوله تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة: ٢٥٩).

فهنا اختفى الاسم واختفت سمات الشخصية، بينما التركيز على الحدث للعبرة، وهو حيناً آخر يذكر الأسماء ليتمكن القارئ من متابعة الأفكار والوقوف على مجرياتها: «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٣ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» (الشعراء: ١٠٦ - ١١٠).

فلا حاجة لذكر الأسماء إلا لتمييز أصحاب القصة عن غيرهم مثل أسماء الأقوام أو الأنبياء. وعنصر الشخصية فيه يكاد أن يختفي لو لا بعض الأسماء وبعض الصفات، وإن العنصر القوى الذي يسير جنباً إلى جنب مع الحوار هو الحدث.

والحوار القرآني يعتمد على تنسيق الحوادث وعلى إبراز المواقف والأحداث تاركاً التفصيلات التي تعمل فيها العقول، أو يتصورها الخيال، وتبهمنا قدرة القرآن على تجسيم المعاني وتصوير الخواطر، وبراعته في العرض والأداء، وإعجازه في التعبير المركز المشع بالإيحاءات وتحوله إلى صورة حية وشخصوص متحركة، ومشاهد تنبض بالحياة^(١). كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّلَّمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَقَوَّنَ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ وَرَبِّيَقُ صَدَرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيْ هَرُونَ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبِ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَا إِيَّا تِنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأَتَيْا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠-١٦).

لقد تزه حوار القرآن عن أن يقول أي شيء غير ذي بال أو يساق لأي غرض يخالف الأخلاق بل هو مملوء بالعبر والمواعظ التي تقترب بالعرض لذا كان حواره تعليمياً. والحوار القرآني حوار من نوع خاص. وهو ليس فناً خالصاً إنما هو حوار صاغه الله سبحانه وتعالى ليكون مثلاً للناس، وهنا يختلف المؤلفون من البشر بما هو تنزيل من عزيز حكيم، فحوار القرآن الكريم بطبيعة الحال لابد أن يكون المثل الأرفع في الخلق والإيمان فإذا نحنينا جانب الموعظة التي يحملها القرآن ونظرنا إلى العرض الفني في الحوار القرآني لوجدنا في أغلب الأحيان عجباً ولا عجب فإنه تنزيل من عزيز حميد. إن حوار القرآن الكريم واقعى يساق للعبرة ولم يأت لمجرد التسلية أو المتعة^(٢). وقد قرر تعالى هذه الحقيقة حيث قال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِي وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

(١) منهج القصة في القرآن (ص: ٤٤).

(٢) المعجزة الكبرى في القرآن (ص: ١٦٢ - ١٦٣).

والحوار في القرآن له دور بارز في توجيه الدعاة إلى الله إلى اتخاذ مواقف صحيحة ومدرسة تجاه ما يلقونه. وهذا ما حدث عند نزول القرآن على رسوله الله ﷺ في مكة، فها هي القلة المؤمنة محصورة بين شعابها، والطريق شاق وطويل. فجاء الحوار ليكشف لهم نهاية الطريق ويبين لهم معالمه.

إن صدق الحوار فيما قصه الله تعالى من غيب مجهول للنبي ﷺ كان سبباً في إثبات الوحي والرسالة. فما نجده من حوار بين نوح وقومه، وإبراهيم وموسى عليهم السلام دليل على صدق الرسالة وإثبات الصلة بوحي الله ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيْهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَلْقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩).

والحوار القرآني دقيق في رسم الشخصيات على قلة عدد الألفاظ المستخدمة فيه وفيه دقة في رسم الملامح واختيار اللحظة الحاسمة لتوجيه العبرة إلى القلب.

نماذج من الحوار في القرآن:

حوار الملائكة والجن:

يذكرهم الله سبحانه وتعالى أنهم يحيطون بصورة بشرية فهذا جبريل عليه السلام يأتي مريم في صورة بشر فاضطربت واستعاذه بالرحمن: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَبِ مَرِيمَ إِذْ أَنْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٨﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٦ - ١٨) وهذه الملائكة تأتي لوطاً وإبراهيم أضيافاً أي: في صورة بشرية أيضاً، وفي كلتا الحالتين لا يدرى لوطاً وإبراهيم حقيقة ضيوفهما.

الحوار في الإسلام

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ ١١ فَلَمَّا رَأَهُ أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ نَكِرُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِفْفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لُوطٌ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةً فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ١٢ (هود: ٦٩ - ٧١).

أما الجن فمنهم مؤمن ومنهم غير مؤمن يتحاورون مع الرسول ﷺ بما يخص الإيمان: ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسِلِمِونَ وَمِنَ الْقَسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّرُوا ١٣ وَأَمَّا الْقَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٤ وَأَلَّوْ أَسْتَقْلُمُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَا سَقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٥ لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَدَدًا ﴾ (الجن: ١٤ - ١٧).

حوار الرسل والأنبياء مع قومهم:

من خلال القصص القرآني الذي يشغل مساحة كبيرة من كتاب الله، ومن بين ما نتعلم من هذا القصص، فضلاً عما يرد فيه من تشريع معجز، يغفل عنه الكثير، نجد نماذج الحوار بين أنبياء الله وأقوامهم.

حوار نوح عليه السلام مع قومه:

بعث نوح عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله ﴿ أَعْبُدُو أَنَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٥٩، المؤمنون: ٢٣) وهم هائمون في عبادة الأصنام. ثم بين لهم عاقبة الشرك بالله: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٦ أَنَّ لَا تَعْبُدُو أَلَّا أَنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (هود: ٢٥ - ٢٦)، فردوا عليه: ﴿ فَقَالَ

الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا
الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكُمْ بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَكَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُظْهِكُمْ
كَذَّبِينَ ﴿٢٧﴾ (هود: ٢٧).

فرد عليهم نوح بأربع: أنه على بينة من ربه عميت أبصارهم عنها، ولن يكرههم عليها، وأنه لن يسألهم أجرًا؛ لأن أجره على الله، وأنه لن يطرد الذين آمنوا، لأنه يخاف الله، ومن ينصره من الله، وأنه لن يقول لهم لن يؤتيكم الله خيراً؛ إنه إن فعل ذلك كان ظالماً، وأخيراً أنه لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب، ولا يدعى أنه ملك^(١). ﴿قَالَ يَقَوْمٌ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِنْ
عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴾٢٨﴿ وَيَقَوْمٌ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ
مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾٢٩﴿ وَيَقَوْمٌ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ
الَّهِ إِنْ طَرَدُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾٣٠﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَابٌ لِلَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ
الَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: ٢٨ - ٣١)،
فيقول قومه له: ﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْصَّادِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢). وهنا نصل إلى الإفحام، ويرد نوح
على ذلك: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾٣١﴿ وَلَا

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ١٣٦).

يَنْقُعُكُمْ نُصْحِيٌّ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَلَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَتْهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِيٍّ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُعَجِّرُمُونَ ﴿٣٤﴾ (هود: ٣٣-٣٤).

وتأتي العاقبة في النهاية بعد استهزائهم منه وهو يصنع الفلك ...

ثم يوجه نوح حواره لابنه فقد قال له: «... يَبْنَنِي أَرْكَبْ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ

مَعَ الْكُفَّارِ».

فكان رد ابنه الجاهل أنه سيعتصم بالجبل «قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ» فجاء رد الوالد الناصح الأمين «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ».

ولم يستطع الابن جواباً فقد تاه جوابه مع أمر الله الذي جاء «وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرِّبِينَ».

وانتهي المشهد الأليم للأب يشهد مصرع ابنه فتأخذه الشفقة بولده.

ثم يبدأ نوح حواره مع ريه: «وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَإِنَّتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ» وكان قد صدق وعد الله «قُلْنَا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ» وهنا تقرر القاعدة الربانية التي تفصل بين الكفر والإيمان، ويأتي معها التوجيه والتأنيب: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» [وفي قراءة: إنه عمل غير صالح] «فَلَا تَسْأَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّمَا أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

وهنا يعود العبد الأول إلى ربه يسأله المغفرة والرحمة في تذلل وخضوع: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٧).

حوار إبراهيم عليه السلام مع الصابئة:

قام إبراهيم عليه السلام بمناظرة قومه ومحاورتهم مبيناً لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الهياكل والأصنام، داعياً إياهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، وأبطل شبه المشركين بالبراهين الواضحة^(١). قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لِنَّ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجِّوْتِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٧٥ - ٨١).

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص: ١٣).

حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود:

كان الحوار بين إبراهيم عليه السلام والنمرود في مسألة الربوبية، كما أوضح قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ إِنَّ رَبَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحِبُّ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِبُّ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨). قال الحافظ ابن كثير: ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم عليه السلام ونمرود بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم، فجرت بينهما هذه المناظرة. اهـ^(١)

حوار إبراهيم عليه السلام مع الملائكة:

لقد تحاور إبراهيم عليه السلام مع الملائكة في شأن إهلاك قوم لوط، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوعُ وَجَاءَهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ (هود: ٧٤). قال الحافظ ابن كثير: قال سعيد بن جبير: لما جاء جبريل ومن معه قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوْا أَهْلَ هَذِهِ الْقُرْيَةِ﴾ (العنكبوت: ٣١). قال لهم: أتلهلكون قرية فيها ثلاثة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتلهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أريتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتلهلكونها؟ قالوا: لا، فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾

(١) تفسير ابن كثير (١/٣١٣).

لَنُنْجِنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿العنكبوت: ٣٢﴾. فسكت عنهم واطمأنت نفسه. اهـ^(١)

حوار موسى عليه السلام مع فرعون:

ابتدأ فرعون الحوار بالاستفسار والسؤال عن حقيقة الإله الذي أرسل موسى عليه السلام، فكان الجواب فيه البيان الشافي لحقيقة رب العالمين. قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْرَعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ رَبُّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ إِلَّا تَسْتَمِعُونَ ﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ أَلَا وَلِيَكُمْ آتَأْيُكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ قَالَ لِئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَا جَعَلْتَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ قَالَ أَوَلَوْ جَئْنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ قَالَ فَأَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣ - ٣١).

ويظهر من الحوار أن موسى عليه السلام تلطف مع فرعون طمعاً في استجابته للدعوة، وإرخاء لعنان الحوار معه، مريداً لقهره بالحجة الدامغة في باب النبوة، وهي إظهار المعجزة، فعرض له حتى يلجهه إلى طلب المعجزة^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٤٥٢/٢).

(٢) فتح البيان (١٣/٧).

حوار مؤمن آل فرعون:

وهو نموذج يتكرر. إذ كل فرعون لا يأتي إلا ومعه قائم الله بحجة، لا يخشي في الله لومة لائم، يكتم إيمانه.. حتى إذا وجد الباطل يهم ليطش بالحق صار سكوته إماً، وصار أمره ونهيه. قوله الحق واجباً.

يبدأ فرعون فيتهم موسى النبي بالسحر والكذب، ويأمر بقتل الأبناء، واستحياء النساء: ثم يمضي إلى موسى نفسه فيأمر بقتله لأنه يخشي أن يبدل دين قومه أو أن يظهر في الأرض الفساد !!

ويستعيد موسى بربه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ويهم فرعون اللعين بالتنفيذ، فينهض المؤمن الذي يكتم إيمانه ليلقنهم دروساً، وليرد كلمة الحق، وليرجدهم ولنستمع إلى الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِإِيمَانِنَا وَسُلْطَنَ مُبِينٍ ١١ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَقَرْوَنَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ١٢ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَقْتُلُو أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيِو نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكُفَّارُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ١٣ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْنِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ١٤ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمَ الْحِسَابِ ١٥ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ إِلَيْكُمْ قِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ١٦ يَنْقُومُ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الْرَّشَادِ ١٧ وَقَالَ الَّذِي

ءَامِنَ يَلْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ نُوحَ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٥﴾ وَيَقُولُمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْتَّنَادِ ﴿٦﴾ يَوْمَ تُوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴿٧﴾ (غافر: ٢٣ - ٣٣).

وكانت النتيجة بعد هذا الحوار الكريم والدعوة الطيبة وكلمة الحق : « فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٨﴾ الْنَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ الْسَّاعَةُ أَدْخِلُوًّا ءَالِ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٩﴾ (غافر: ٤٥ - ٤٦).

حوار أصحاب الجنة مع أصحاب النار:

في الحوار أطراف ثلاثة : أهل الجنة، وأهل النار، وأصحاب الأعراف.

- يبدأ الحوار بأصحاب الجنة : « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ (الأعراف: ٤٣).

- ثم يتوجهون إلى أصحاب النار : « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبِّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَنَ مُؤْذِنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴿١٢﴾ (الأعراف: ٤٤ - ٤٥).

- وهنا يظهر صوت أصحاب الأعراف متوجهين لأصحاب الجنة : « وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمُ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٣﴾ (الأعراف: ٤٦).

- ثم ينتقل الحوار إلى أصحاب النار: ﴿ وَإِذَا صُرِفْتُ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابَ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^{٤٩} وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافَ رَجَالًا يَعْرَفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمِيعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكِبِرُونَ ﴾^{٥٠} أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٩).

- وتأتي خاتمة الحوار ندماً يوم لا ينفع الندم: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠). و يأتي التبكيت لهم من أهل الجنة مع الحرمان أليماً ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكُفَّارِينَ ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوا وَلَعِبًا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الَّذِيَا فَالَّيَوْمَ نَسْلِهُمْ كَمَا نَسْلَوْا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِإِيمَانِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٥١-٥٠).



الفصل الرابع

صور الحوار في السنة النبوية

أ- الحوار في الدعوة إلى الله :

لقد كان الحوار أساساً في الدعوة إلى الله تعالى ، وكان النبي ﷺ يدعو قومه ليلاً ونهاراً مستخدماً أساليب الحوار وطرقه ، ومن الأمثلة التي حفظتها لنا السيرة النبوية في ذلك :

١- حوار الرسول ﷺ مع عتبة بن ربيعة :

أرسلت قريش عتبة بن ربيعة إلى الرسول ﷺ يُحادثه ، ويفاوضه ويفغره ، فجلس عتبة إلى الرسول ﷺ وقال : «يابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعابت به مَنْ مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها».»

فقال الرسول : «فُلْ - يا أبا الوليد - أسمع».»

قال : «يابن أخي ، إن كنت إنما تزيد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا ، وإن كنت إنما تزيد به شرفاً ، سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت إنما تزيد به ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطلب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى تُبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَأْوى منه».»

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع إليه ، قال : «أوقد فرغت يا أبا الوليد؟^(١)» ، قال : «نعم» ، قال : «فاسمع مني» ، قال : «أفعل» ، فقال رسول

الله ﷺ :

(١) انظر إلى الأدب النبوي الرفيع في الحوار بحسن الإنصات والاستماع مما ينتقده الكثيرون الآن في حواراتهم من كثرة المقاطعة والشغب ورفع الصوت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٤﴾ حِمْ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فَصَلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بِشَيْرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضُ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت : ٤-١].

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِيهَا يَقْرُؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعُهَا أَنْصَتْ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ مَعْتَمِدًا عَلَيْهَا، يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ اتَّهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السُّجْدَةِ فِيهَا فَسَجَدَ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَنْتَ وَذَاكَ»، أَيِّ: وَمَا تَخْتَارُ، فَقَامَ عَنْتَبَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «خَلَفَ بِاللَّهِ، لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِوْجَهِ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ»، وَطَلَبَ عَنْتَبَةَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوَا الرَّسُولَ ﷺ وَشَانَهُ، فَأَبْوَا وَقَالُوا لَهُ: «سَحْرُكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلْسَانَهُ»^(١).

وَمِنْ صُورِ الْحَوَارِ فِي الدُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ أَيْضًا:

حَوَارُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مَعَ أَصْحَاحِ النَّجَاشِيِّ:

أَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءُوا - وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسْاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأْلَهُمْ قَائِلًا: «مَا هَذَا الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا دِينِي، وَلَا دِينَ أَحَدٍ مِّنْ أَهْلِ الْمَلَلِ؟!».

فَأَجَابَهُ جَعْفَرٌ قَائِلًا: «أَيُّهَا الْمَلَكُ، كُنَا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمِيَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطِعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسْيِئُ الْجَوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْ الْمُضْعِفِ، فَكُنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا مِّنْنَا، نَعْرَفُ نَسْبَهُ وَصَدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لَنْوَحْدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلُعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمْرَنَا بِصَدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكُفُّ عَنِ الْمُحَارَمِ وَالدَّمَاءِ، وَنَهَايَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقُولِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتَمِّ، وَقُذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا نُشَرِّكُ بِهِ شَيْئًا، فَأَمْرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَعَدْدُ عَلَيْنَا أَمْوَالُ إِسْلَامٍ - فَصَدَقْنَاهُ وَآمَنَا بِهِ، وَاتَّبَعْنَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ،

(١) سيرة ابن هشام (١١/٣١٣)، وحسن إسناده الألباني في تخریجه فقه السيرة للغزالی ص ١٣.

فعدا علينا قومنا، فعدبونا وفتونا عن ديننا؛ ليروننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واحتراك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك».

فقال النجاشي : «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟» .

فقرأ عليه صدراً من **﴿كَيْعَص﴾** فبكى النجاشي حتى أخذت لحيته وبكت أساقفته حتى أخذلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال : «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة» .

ب- الحوار بين المسلمين :

إن المتأمل في أحاديث الرسول ﷺ يجد أن جانب الحوار أساس فيها، فقد كان النبي ﷺ يتخذ من الحوار سبيلاً إلى تعليم أصحابه الكرام أحكاماً جديدة، وكان الصحابة يسألونه ﷺ كي يتعلموا منه.

ففي جميع أبواب الحديث الشريف: الذكر، والدعاء، والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ومن قبل في أمور العقيدة والقضاء والقدر نجد البحث عن المعرفة أمراً أساسياً في حماوراته ﷺ.

ولقد سجلت كتب السنة النبوية تساؤلات متعددة وقعت من الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ، تتعلق بقضايا العقيدة وبيء الخلق، والقدر، والتشريعات، والعبادات، وعلى سبيل المثال :

١- الحوار حول العقيدة

عن عمران بن حصين - رضي الله عنهم - قال دخلت على النبي ﷺ وعلقت ناقتي بالباب فأتاه ناس منبني تميم فقال : «اقبلاوا البشري يابني تميم». قالوا قد بشرتنا فأعطانا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : «اقبلاوا البشري يا أهل

اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض». فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لو ددت أني كنت تركتها^(١).

ففي هذا الحديث يقص عمران بن حصين مشهداً في مجلس رسول الله ﷺ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم أقبلوا البشرى أي هلموا أعلمكم عملاً صالحًا يصل بكم إلى الجنة ويتحقق لكم السعادة الأبدية، لكن القوم ظنوا البشرى مالاً وما كلّ ومشارب، فطلبوا العطاء العاجل وألحوا في سؤاله. وفي هذه الأثناء دخل قوم آخرون جاءوا من أجل الهدف السامي والاستقامة على الحق، فبدأ الرسول ﷺ يشرح ويبين بدء الخلق ويجيب على تساؤلات القوم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: سلوني. فقال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلني يا رسول الله. قال: النار. فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله. قال: أبوك حذافة. قال: ثم أكثر أن يقول: سلوني سلوني. فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك. ثم قال رسول

(١) رواه البخاري [٣١٩١-٣١٩٠] كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] [سورة الروم، آية: ٢٧]، والترمذى [٣٩٥١]، كتاب المناقب، باب: في ثقيف وبني حنيفة، وأحمد [١٩٣٢١].

الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط وأنا أصلبي فلم أر كاليلوم في الخير والشر^(١).

ومعنى هذا الحديث: أن النبي ﷺ أخذ يبحث الناس على التساؤل عما يعن لهم من أمور الدين وعقائد الإسلام وحقائق الوجود، لكن البعض أخذ يسأل عن أمور ليست من الدين في شيء، حتى سأله أحدهم عن مصيره في الآخرة أفي الجنة أم النار؟ وسأل آخر عن حقيقة نسبه إلى أبيه. وهنا أدرك عمر بن الخطاب رض بفطنته ونقاء سيرته وصدق عقيدته أن الأمر بدأ يأخذ مسلكاً قد يغضب الله ورسوله فجثا على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد صل رسولنا^(٢).

عن معاذ رض قال كنت ردد النبي صل على حمار يقال له عفير فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا رسول الله أفلأ أبشر به الناس. قال: لا تبشرهم فيتكلوا^(٣).

ويستفاد من هذا الحوار وقوع اجتهاد الصحابة في زمن النبي صل وأن المجتهد لا لوم عليه إذا بذل وسعه وإن لم يصب الحق، وأنه إذا عمل بالاجتهاد لا تجب عليه الإعادة^(٤).

(١) رواه البخاري [٧٢٩٤]، في كتاب الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه، ومسلم [٢٣٥٩] كتاب الفضائل باب توقيره - صلى الله عليه وسلم - وترك إكثار سؤاله، وأحمد [١٢٢٤٨].

(٢) الحوار بين الجماعات الإسلامية (ص: ١٠١).

(٣) رواه البخاري [٢٨٥٦]، كتاب الجهاد والسير، باب: الفرس والحمار، ومسلم [٣٠]، ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً . والترمذى [٢٦٤٣]، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٤) فتح الباري (٤٤٤/١).

٢- الحوار في القضاء والقدر:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه طرقه وفاطمة بنت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ليلة فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثناً. فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع شيئاً ثم سمعته وهو يضرب فخذه يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١).

لقد حرص الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه على إيقاظ ابنته وزوجها لصلاة الليل؛ حتى يحصل على الثواب الجليل الذي أعده الله للمستغفرين بالأسحار. واعتذر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقدر وقال: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثناً. وب مجرد أن سمع الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه هذا الاعتذار لم يراجع علياً بشيء وإنما خرج متعجباً وهو يُذكره بقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

ومن عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا فسمع ذلك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فخرج كائناً فقئ في وجهه حب الرمان فقال: «بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضرروا كتاب الله بعضاً بعض إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا إنكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به والذي نهيت عنده فانتهوا»^(٢).

(١) رواه البخاري [١١٢٧]، أبواب التهجد، باب تحريض النبي على صلاة الليل والنواول من غير إيجاب، ومسلم [٧٧٥] كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، وأحمد [٩٠٢].

(٢) صحيح. رواه ابن ماجه [٨٥]، في المقدمة، باب في القدر، وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجال ثقات، وأحمد [٦٨٠٦]، وهذا لفظه. وروي مسلم [٢٦٦١]، نحوه بدون موضع الشاهد، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة [٦٩]، والمشكاة [٩٨، ٩٩، ٢٣٧] والظلال [٤٠٦]، والتعليق الرغيب [٨١-٨٢/١].

وفي موقف آخر تساءل الصحابة في أمر القدر" كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنaza في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته^(١) ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفosa إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إِلَّا وقد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله أفلأ نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقل: اعملوا فكل ميسر؛ أما أهل السعادة فيسرؤن لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة، فيسرؤن لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَيُسِّرُهُ الْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَأَسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَيُسِّرُهُ الْعُسْرَى﴾ (الليل: ٥-١٠)^(٢).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما تستقبل قال: «لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير». قال: ففيما العمل. فقال: «اعملوا فكل ميسر»^(٣).

(١) المخصرة - بكسر الميم - ما أخذه الإنسان بيده واختصر من عصا صغيرة وعказ صغير وغيرها، ونكس - بتخفيف الكاف وتشديدها - لغتان فصيحتان أي خفض رأسه، ونكت أي خط خطأ يسيراً مرة بعد مرة.

(٢) رواه البخاري [١٣٦٢، ٤٩٤٨]، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، ومسلم [٢٦٤٧، ٤٦٩٤]، واللقطة في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وأبو داود [٤٦٩٤]، والترمذى [٣٣٤٤].

(٣) رواه مسلم [٢٦٤٨]، وأحمد [١٣٧٠٢]، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاؤته وسعادته.

وعن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكتدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم. قال فقال: أفلا يكون ظلما. قال: ففزع من ذلك فرعا شديدا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألك إلا لأحزر عقلك. إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكتدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقال: لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّلَهَا ﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا﴾^(١).

٣- الحوار في الجانب التشريعي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك». فقال: يا رسول الله إذا رأي أحدهنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة. فجعل النبي ﷺ يقول: البينة وإلا حد في ظهرك. فقال هلال: والذى بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنَّ كَانَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدهما كاذب فهل منكم تائب». ثم قامت

(١) رواه مسلم [٢٦٥٠]، كتاب القدر، كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأحمد [١٩٤٢٤].

فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتكلأت ونكصت حتى ظنتها أنها ترجع. ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم. فمضت فقال النبي ﷺ: أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سايع الآلتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحماء. فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: لو لا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن^(١).

إن الله تعالى جعل حد القاذف بالزنا ثمانين جلدة ما لم يأت بأربعة شهادة لكن ما الحكم إذا قذف الرجل زوجته أخرج يلتمس البينة فيكون المشهد قد انتهي أم يسكت ويكون ديوثا؟ لقد جاء هلال بن أمية يتهم امرأته بالزنا ولم يكن أمام الرسول ﷺ بد من بيان حكم القذف العام الذي نزلت به الآيات، وظل الرجل يجادل رسول الله ﷺ حتى نزل الوحي يستثنى الأزواج من هذا الحكم العام، ويجعل لهم حكما خاصا هو اللعان.

ومن عائشة - رضي الله عنها - قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونشرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوك إليك، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي ثُجَدَ لَكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة: ١).^(٢)

(١) رواه البخاري [٤٧٤٧]، كتاب التفسير، باب: [والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين] الآية من (سورة النور، آية: ٧)، وأبو داود [٢٢٥٠]، كتاب الطلاق، باب في اللعان، والترمذى ، [٣١٧٩] كتاب تفسير القرآن، باب (تابع ٢٥).

(٢) صحيح. رواه ابن ماجه [٢٠٦٣]، كتاب الطلاق، باب الظهار، والحاكم (٥٢٣/٢)، (٣٨٢/٧)، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجه [١٦٩١]، والإرواء [٧/١٧٥].

إن الظهار كان طلاقاً في الجاهلية، وكان أوس بن الصامت شيخاً كبيراً، فظاهر من أمراته خولة بنت ثعلبة، فجاءت تلتمس الفتوى من رسول الله ﷺ فأخبرها أنها قد حرمت عليه، لكن المرأة كانت في حاجة إلى زوجها والد أبنائها وعائلتها فقالت: إن لي منه صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا. وظلت تجادل رسول الله ﷺ وتقول إنه لم يذكر طلاقاً، حتى نزل الوحي بحكم جديد هو أن الظهار ليس طلاقاً وإنما فيه كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً على هذا الترتيب.

ومن أبي ذر رض قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال: «يا أبا ذر. قلت: ليك يا رسول الله فقال: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً، تمضي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا شيء أرصله للدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا»، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه، ثم سار فقال: «إن الأكثرين هم المقلون يوم القيمة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «وقليل ما هم»^(١).

ومن أنس رض قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفتر. وقال الآخر: وأنا أعزّل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفتر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).

(١) رواه البخاري [٦٦٦٨]، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بليك وسعديك، ومسلم [٩٤]، مختصر في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، وأحمد [٢٠٨٤٠].

(٢) رواه البخاري [٥٠٦٣]، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم [١٤٠].

٤- الحوار لتطييب النفس :

حوار النبي ﷺ مع الأنصار :

في أعقاب معركة حُنین وزع النبي ﷺ الغنائم - وكانت كثيرةً - في قُريش ، وفي قبائل العرب ، ولم يُعط الأنصار منها شيئاً ، فغضب بعضهم ، حتى قال قاتلهم : « لَقَيَ - والله - رسول الله قومه ». .

فدخل عبد الله بن سعد بن عُبادة - وكان زعيم قومه الخزرج - حيًّا من الأنصار - فقال : « يا رسول الله ، إن هذا الحيًّا من الأنصار ، قد وجدوا عليك في أنفسهم ؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، فقسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عِظَاماً في قبائل العرب ، ولم يكُن في هذا الحيًّا من الأنصار منها شيءٌ ! ». .

فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من قومك يا سعد؟ ». .

قال : « يا رسول الله ، ما أنا إِلَّا من قومي ». .

قال : « فاجتمع لي قومك في هذه الحظيرة ». .

فخرج سعد ، فجمع الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معاشر الأنصار ، مقالةٌ بلغتني عنكم ، وجدةٌ وجدتُوها علىَّ في أنفسكم ، ألم آتكم ضُلَالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ ! ». .

قالوا : « بلى ، الله ورسوله أَمْنٌ وأَفْضَلُ ». .

ثم قال : « أَلَا تُجِيبُونِي يا معاشر الأنصار؟ ! ». .

قالوا : « بِعَا نُجِيبُكَ يا رسول الله؟ لَهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ ». .

قال : « أَمَا وَاللَّهُ ، لَوْ شَتَمْتُ لِقْلُومْتُمْ - وَلِصَدَقْتُمْ وَلِصَدَقَتُمْ - : أَتَيْتَنَا مُكَدِّيَا فَصَدَقَنَاكُمْ ، وَمَخْذُولَا فَنَصَرَنَاكُمْ ، وَطَرِيدَا فَأَوْيَنَاكُمْ ، وَعَائِلَا فَوَاسِيَنَاكُمْ . أَوْ جَدْتُمْ - يَا

(١) من المُنْ ، أي أكثر منه علينا وأعظم.

الحوار في الإسلام

معشر الأنصار- في لعاعة^(١)، من الدنيا، تألفتُ بها قلوب قومٍ ليسموا، وَوَكْلُتُمْ
إلى إسلامكم؟ ألا ترضون - يا معشر الأنصار- أن يذهب الناسُ بالشَّاةِ والبعير،
وتروجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمدَ بيده، لو لا الهجرة لكونتُ
امرأً من الأنصار، ولو سلك الناسُ شعباً وسلكتُ الأنصارُ شعباً، لسلكتُ شعبَ
الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، فبكى القومُ
حتَّى أَخْضَلُوا لِحَاظُهُ^(٢)، وقالوا: «رضينا برسول الله قسماً وحظاً»^(٣).



(١) اللعاعة: من النباتات الخضراء تسر العين شبهة الدنيا بها.

(٢) أي: بلوها بالدموع.

(٣) رواه البخاري (٤٣٣١) و (٧٢٤٥) ومسلم (١٠٦١).

الفصل الخامس

صور من الحوار بين الصحابة

الصحابة هم أعلم الناس بهدي النبي ﷺ، وعنه تلقوا الأحكام، وكانوا إذا اختلفوا حال حياته احتمموا إليه ﷺ، فلما قبض تحاوروا، وتناظروا، وتشاوروا، وردوا خلافهم إلى سنته ﷺ. والحوارات بينهم لا تكاد تمحى، وإليك نماذج منها:

الحوار يوم السقيفة:

تحاور أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة، وتدافعوا وتناظروا، حتى صدر الحق في أهله، فقد روت عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنج - قال إسماعيل يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ولبيعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله. قال: بأبي أنت وأمي طبت حيَا ومتاً والذى نفسي بيده لا يذيقك الله الموتى أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقيبه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين). قال: فنخرج الناس ي يكون. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفةبني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأمسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنني قد هياط كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل

منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكن النساء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فباعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نباعيك أنت فأنت سيدنا وأخينا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فباعه وبايعه الناس^(١).

الحوار بينهم في القدر:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرف لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين. فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ولا نرى أن تُقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارفعوا عني. ثم قال: ادعوا لي الأنصار. فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارفعوا عني. ثم قال: ادع لي منْ كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتاح. فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجالان فقالوا: نرى أن ترجع الناس ولا تُقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مُصَبِّح على ظهر فأصبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح: أَفِراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إيل هبيط وادياً له عدوَّان، إدعاهما خصبة، والأخرى جَدْبَةُ أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغياً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «إذا

(١) رواه البخاري [٣٦٧]، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخدًا خليلًا.

سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». قال : فحمد الله عمر ثم انصرف ^(١).

الحوار بينهم في جمع القرآن:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن وإنني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالموطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال عمر : هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأي عمر قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهمنك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فتبعد القرآن فاجتمعه. فووالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليًّا مما أمرني به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال : هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- ^(٢).

الحوار بينهم في قتال مانعى الزكاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفرَ منْ كفرَ من العرب فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه

(١) رواه البخاري [٥٧٢٩] ، في كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، ومسلم [٢٢١٩] ، كتاب الطب والمرض ، باب الطاعون والطيرة والكهاة ونحوهما.

(٢) رواه البخاري [٤٩٨٦] ، [١٤٠٠] ، في كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، والترمذى [٣١٠٣] ، كتاب تفسير القرآن ، باب (تابع باب ١٠).

الخوار في الإسلام

وحسابه على الله». فقال : والله لأقاتلن مَنْ فَرَقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ إِنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ مَالٌ وَاللَّهُ لَوْ مَنْعَنِي عَنِّا كَانُوا يُؤْدِنُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتْلَتْهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قال عمر رضي الله عنه : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ ^(١).

وَمِنَ الْخَوَارِاتِ الْمُشْهُورَةِ آخِرَ عَهْدِ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

خوار عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - مع الخوارج : وقد كان لهذه الماظرة تأثير كبير في سير الأحداث فيما بعد، حيث ظهرت حصافة ابن عباس، وفقهه، ومملكة الماظرة عنده .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما اعترضت الحَرُورِيَّةَ قلتُ لِعَلِيَّ : يا أمير المؤمنين ، أَبِرِدُ عن الصلاة ؟ فَلَعِلَّيُّ آتَيْتُهُمْ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمُهُمْ .
قال : إِنِّي أَخْوَفُهُمْ عَلَيْكَ ، قال : كلا إن شاء الله ، فلستُ أَحْسَنَ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ ، ثُمَّ دَخَلْتُ ، فَقَالُوا : مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا جَاءَ بِكَ ؟ .
قال : جَئْتُ أَحْدِثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَزَّلَ الْوَحْيُ وَهُمْ أَعْلَمُ
بِتَأْوِيلِهِ .

قال بعضهم : لَا تُحَدِّثُوهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَنُحَدِّثَنَّهُ .

قال : قلت : أَخْبِرُنِي مَا تَنْقِمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَّنِهِ وَأَوَّلَ مِنْ
آمِنِ بِهِ ، وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ ؟ ! .

قالوا : ثَلَاثَةً . قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ . قَالُوا : أَوْلَهُنَّ أَنَّهُ حَكَمَ الرَّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَقَدْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام : ٥٧]

(١) رواه البخاري [١٤٠٠] ، كتاب الزكاة ، باب وجود الزكاة ، ومسلم [٢٠] ، كتاب الإيمان ، باب الأمر .
يقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

قال : قلت : وماذا؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين فقد حرمته عليه دمائهم ! .

قال : قلت : وماذا؟ قالوا معا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ! .

قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم كتاب الله الحكم ، وحدثكم عن سنة نبيكم مالا تُنكرون أترجعون؟ قالوا نعم .

قال : قلت : أما قولكم : إنه حكم الرجال في دين الله ، فإن الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمَةٌ وَمَنْ قُتِلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فِيْ جَزَاءٍ مِثْلَ مَا قُتِلَ مِنْكُمْ إِنَّمَا يُحْكَمُ بِهِ ذُوْدُلْ مِنْكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥] ، وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وَإِنْ مِنَ النَّعْمَ يُحْكَمُ بِهِ ذُوْدُلْ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٣٥] .

أَنْشَدَكُمُ الله ، أَفْحَكُمُ الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم ، وصلاح ذات بينهم أحق ، أم في أربب ثنها ربع درهم؟ ! .

قالوا : في حقن دمائهم ، وصلاح ذات بينهم ، قال : أخرجت من هذه؟

قالوا : اللهم نعم .

قال : وما قولكم؟ قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمّكم ^(١) ، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ ! فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست أمّكم فقد كفرتم ، وخرجتم من الإسلام ؛ إن الله يقول : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِ ﴾

(١) يريد عائشة رضي الله عنها .

الحوار في الإسلام

أمهاتهم ﴿الأحزاب: ٦﴾، وأنتم متربدون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟.

قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: مَحَا نفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا قَرِيشًا يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةَ عَلَى أَنْ تَكْتُبَ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: اكْتُبْ: هَذَا مَا قَضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَقَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي، وَاكْتُبْ يَا عَلِيًّا: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. وَرَسُولُ اللَّهِ كَانَ أَفْضَلَ مَنْ عَلَيْيَّ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم ألفاً، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار^(١).



(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٧/١٠) وصحح شيخ الإسلام إسنادها كما بمنهاج السنة (٥٣٣/٨).

الفصل السادس

آداب الحوار

للحوار آداب يتحلى بها الداعية للتمهيد للحوار، وآداب عند البدء فيه، وآداب

بين يديه.

أولاً: الآداب التي يتحلى بها الداعية قبل البدء في الحوار:

١- إخلاص النية لله تعالى:

ينبغي ألا يدخل الداعية في حوار مع غيره في أي أمر من الأمور إلا إذا كان موجهاً نيته لله عز وجل، لا أن يقصد إظهار براعته وثقافته، أو أن يتغوق على الآخرين أو أن ينتزع الإعجاب والثناء، فذلك مما يحيط به عمله عند الله عز جل^(١). وحقيقة الإخلاص التبرؤ من كل ما دون الله أي أن المحاور ينبغي أن يقصد وجه الله بقوله وعمله وجهاده، وأن يتغىّر مرضاته وحسن مثوبته^(٢). ومن أغراض الحوار أن يكون حراسة الشريعة والذب عنها، ودلالة الناس على المهدى، وتبنيهم عليه^(٣).

فإذا لم تخلص النية لله تعالى لم يتحقق هذا الغرض. قال الشافعى: ما ناظرت أحداً إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه. اه^(٤). (وقال المزني صاحب الشافعى: ومن حق المناظرة أن تراد في الله عز وجل وأن يُقبلَ منها ما تَبَيَّنَ^(٥) فالمهم صحة الفكرة وظهور الحق. فإن من تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حميمية ورباء، وإن تكلم الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله، ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل^(٦)).

(١) أصول الحوار (ص: ٢٩).

(٢) فقه الدعوة إلى الله (ص: ٣٧٠).

(٣) الرد على المخالف (ص: ٥٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩).

(٥) آداب الحوار والمناظرة (ص: ٢٥).

(٦) بجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٢٣٥).

ولذلك على المحاور أن يراجع نيته قبل أن يدخل في حوار فيسأل نفسه، هل نيتها خالصة لله في هذا الحوار أو هذه المناقشة؟ وهل هناك مصلحة وفائدة ترجى من كلامي أم أنه قد يسبب آثاراً هي خلاف ما أحب؟ كأن يثير فتنة نائمة أو يفتح باب خلافٍ بين المسلمين، علينا هنا أن نتبه إلى تلبيس إبليس علينا فهو يوهمنا أننا ستحدث إحقاقاً للحق وتبياناً له، ثم يستدرجنا إلى مواقف؛ يتحقق فيها هوى النفس^(١).

ولكي يعتصم المحاور من الرياء ويبرأ من عقباه أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلم، وأستغفر لك لما لا أعلم^(٢).

وهذا الأدب قد يكون من الناحية النظرية سهلاً، ولكنه عند التطبيق يكون عزيزاً المنال، فكم من الناس يُظْهِرُ أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه ويريد العلوًّ والانتصار لشخصه أو لشيخه أو غير ذلك^(٣).

ولذلك نجد أن الأنبياء والمرسلين قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله وحوارهم مع قومهم. فهذا نوح عليه السلام يقول: «وَيَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ» (هود: ٢٩). ويقول أيضاً: «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحُ لَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الشعراء: ١٠٦-١٠٩). وهود يقول «يَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (هود: ٥١). وقال تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ لَا تَتَّقُونَ

(١) أصول الحوار (ص: ٢٩).

(٢) حَسَنٌ. رواه أحمد [١٩٦٠٦]، والطبراني في الأوسط [٣٤٧٩]، من حديث أبي موسى الأشعري عليه السلام، والحديث رواه أيضاً ابن أبي شيبة (١٠/٣٣٧) في المصنف والبخاري في التاريخ الكبير (٥٨/٩)،

والحديث ذكره البهشمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي الكاهلي ووثنه ابن حبان- المجمع [١٠/٢٢٢].

(٣) أدب الخلاف (ص: ٥٠).

إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ (الشعراء: ٤-١٢٧).

إِذَا عَلَى الْمَحَاوِرِ أَنْ يَقْصِدْ وَجْهَ اللَّهِ أَوْلَأَ ثُمَّ يَبْيَنْ قَصْدَهُ وَهُدُفُهُ مِنْ حَوَارِهِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مَعَانِدًا مُسْتَكْبِرًا فَهُنَّا شَعِيبُ التَّمَثِيلِ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: «إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (هُود: ٨٨).

٢- العلم:

العلم من أهم أسباب نجاح الحوار وبدونه يكون الضرر كبيراً؛ إذ يصبح الحوار تضييعاً للوقت والجهد. والعلم المقصود هو العلم المتعلق بموضوع الحوار ومادته، والعلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية، التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الطرف الآخر.

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق وللتفكير السليم أنكر الله على أهل الكتاب مُحَاجَّتَهُمْ دون علمٍ فقال تعالى: «هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (آل عمران: ٦٦).

يقول الإمام التسفي في تفسير هذه الآية الكريمة: لا يصح لكم أن تجادلوا مثل هذا الجدال الحال، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم ما نطق به التوراة والإنجيل، فلم تتحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم والله يعلم علم ما حاجتم فيه، وأنتم جاهلون به^(١).

وقد نهي الله تعالى عن اتباع ما لا علم لنا به أو أن نتدخل فيما لا نحسنه فقال: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» (الإسراء: ٣٦) أي: لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبّع مسلكاً لا يدرى أنه يوصله إلى مقصدته^(٢).

(١) تفسير التسفي (٧٠١/١).

(٢) تفسير الألوسي (١٥٧/٥).

فعلى المحاور أن لا يخوض في موضوع لا يعرفه جيداً ولا يدافع عن فكرة لم يقتتن بها تماماً فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يحاور من أجلها. وللمحاور إظهار علمه والتصريح بأنه أعلم، توثيقاً لقوله، إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، شريطةً أن لا يُؤدي ذلك إلى الكبر والغرور، فإن هذا يتنافى مع الإخلاص، ولا يستقيم مع العلم، ومن ذلك قول نوح عليه السلام: **﴿أَبْلَغُكُمْ رِسْلَتِ رَبِّيْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْكُمْ أَلَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (الأعراف: ٦٢). يقول الإمام الألوسي: الفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة أن تبليغ الرسالة معناه: أن يعرف أنواع التكاليف والأحكام، والنصيحة: الترغيب في الطاعة والتحذير من المعاشي والإرشاد إلى ما فيه مصالح العباد ومعنى علمه، أي أعلم من قدرته وبطشه الشديد على أعدائه ما لا تعلموه، قيل: كانوا لم يسمعوا بقومٍ حلّ بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين. ما يعلمون ما علمه نوح بالوحى^(١).

وقول إبراهيم عليه السلام: **﴿يَأَبْتَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾** (مريم: ٤٣).

وانظر إلى الخليل إبراهيم عليه السلام لم يصف أباه بالجهل ولا نفسه بالعلم الكامل فإن ذلك ينفر الناس وينعى الجليس من الائتلاف بل قال: إني أعطيت شيئاً من العلم قليلاً ولم تُعْطِه ولا ضيَرَ عليك في شيء إن اتبعت ابنك حتى يهديك إلى الصراط المستقيم، يا أبا هب أنا سائران في الطريق وأنا على علم به أفالا يكون من الخير أن تتبعني حتى تصل إلى بر السلام، وأنت أبي على كل حال وأنا ابنك البار وهذا جذب لأبيه ليصل إلى الحق بطريق سديدة حقاً يشككه في اعتقاده ثم يلمح له بأن الخير في اتباعه، وترك ما هو عليه.

(١) تفسير الألوسي (١٨٣/٣).

٣- الصدق:

عند الحوار لابد من احترام الحقيقة والقيام بمسئوليية الكلمة، وال الحوار الهدف المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما المجنوء إلى الغموض والماروغة فإنه قلة في الإخلاص وضعف في النفس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثم إلى فشل الحوار. ومن مقتضيات الحوار عدم كتم شيء من الحق أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المskوت عنها لصالح الطرف الآخر فإن ذلك قدح في مصداقية المحاور. والعقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح والاستقامة، ولذلك حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على إبراز هذا الجانب في حماوراتهم لأقوامهم فهذا هود بين أمانته وصدقه في التبليغ: «أُبِلِّغُكُمْ رَسُولِيَّتِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ» (الأعراف: ٦٨). ولا تكون أمانةً أو نصحاً دون صدق وقد وصف الله تعالى نبيه إدريس بالصدق فقال سبحانه: «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا» (مريم: ٥٦) وفي ذلك توجيه للدعاة وطالبي الحق حتى يتحلوا بالصدق فإنه يؤدي إلى الثقة في المحاور وهدوء نفس المتحاورين.

٤- التزام المحاور بما يدعوه إليه:

الحوار إما أن يكون حول قضية علمية أو عملية، فإن كان حول قضية عملية ينبغي أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يحاور لأجله ويدافع عنه، والعمل بما يعلم يحول الأفكار النظرية إلى حقائق علمية ملموسة يتأثر بها من يراها قبل أن يسمع من يتكلم عنها، فمن فرط في العمل وقصر في التنفيذ دل ذلك منه على اضطراب، وعدم يقين، وكان أضعف في حجته، وأعجز عن إقناع غيره. والموعظة التي لا يلتزم بها صاحبها تؤدي إلى شر عظيم وتؤدي إلى فتنه السامع وعدم اقتناعه بصححة ما يقوله المحاور^(١). قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَى عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمً

(١) فقه الدعوة إنكار المنكر (ص: ٥٠).

ولذلك نرى شعيباً خطيب الأنبياء عندما يتحدث مع قومه يبين لهم التزامه بالسلوك السوي، وأنه أول من التزم بما يأمرهم به فيقول: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ﴾ (هود: ٨٨). قال شعيب لقومه: وما أريد أن أخالفكم مائلاً إلى ما نهيتكم عنه بل أنا متمسك به فيكم لأنني أرى فيه الخير والرشاد في الدنيا والآخرة وأنا ما أريد إلا الإصلاح والخير العام لي ولكم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ليس لي فيما أفعل غرض خاص^(١).

والمقصود أن المحاور الناجح الذي يعطي المثل الصالح والقدوة الحسنة يمكنه أن يقنع الآخرين بآرائه، ويطلب منهم تصحيح أخطائهم لأنه يكسب احترامهم ومحبتهم عن جدارة واستحقاق بموافقة قوله لعمله والتزامه بما يدعو إليه ويحاور لأجله.

٥- التكافؤ بين المتحاورين:

ويقصد بالتكافؤ التقارب بين المتحاورين من حيث المنزلة والمكانة الاجتماعية والعلمية بقدر الإمكان ولا نقصد من ذلك امتناع الحوار مع من مختلف معه مكانة ولكن مراعاة تقارب السن والمنزلة له أثر في مجرى الحوار إيجاباً أو سلباً. قالوا: لا تصح المعاشرة ولا يظهر الحق بين متناظرين. حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والإنصاف وإلا فهو مراء أو مكابرة^(٢).

إن تقارب العلم والاتجاه والتفكير يسهل عملية الحوار، ويؤدي إلى نجاحها والاختلاف يؤدي إلى فشلها حتماً. فلا يتحاور فقيه مع شاعر في مسألة فقهية. ولا يتحاور نحوي مع عالم في الفيزياء في مسألة علمية. ومن الخطأ أيضاً أن يتكلم أحد الطرفين بلغة الواقع عن مشكلة اجتماعية ينشد لها الحل فيجيئه الآخر بلغة مثالية

(١) التفسير الواضح (٤٠/١٢).

(٢) آداب البحث والمناظرة (ص: ٢٥).

مجردة عن أرض الواقع^(١). ولذلك أرسل الله تعالى الرسل بلسان أقوامهم وكانت معجزاتهم مما برع فيه أولئك الأقوام وأرسل الله محمداً ﷺ بلسان قومه ومن أشرافهم. كذلك موسى عليه السلام^(٢) بعثه الله إلى فرعون فطلب المعونة والمؤازرة بأخيه: **﴿هُوَ أَفَصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾** (القصص: ٣٤). يعني إن أخي هارون هو أفصح مني لساناً وأقوى بياناً وأدرى مني بلهجة المصريين لأنه لم يترك بلادهم فأرسله معي معيناً واجعله وزيراً للتجيئ إليه **﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَئِ﴾**. يعني: ويحمل معى عبء هذه الرسالة فإني أخاف أن يُكذبنا. وأخاف أن يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا قبل أن تُبلغه رسالاتك، ونقيم عليه الحجة، وأن يتمرد على الحق ويطغى بملكه، وسلطانه وجنده وأعوانه^(٣).

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦) فقال الله تعالى لهما: لا تخافاً أن يفرط عليكم فأنتما بمحظي ورعايتي، أسمع قولكم، وأرى جميع أحوالكم، ولا تخافاً منه^(٤).

٦- المعرفة المسبقة بالطرف الآخر:

نظراً لتفاوت عقول الناس وأفهامهم ومستويات علمهم، فإن المحاور الفطن يعرف من يحاور، وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره^(٥). ومن الضروري أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة فيعلم شيئاً عن ظروفه وبيئته وقدره ومنزلته وعلمه وأحواله فيخاطبه بما يحقق الغرض، ويصل به إلى المطلوب من أيسر طريق^(٦). لذا يجب على المحاور أن يعرف مستوى الطرف

(١) كيف تحاور (ص: ٥٦).

(٢) تفسير السعدي (٢٦٣/٣).

(٣) تفسير السعدي (٢٦٣/٣).

(٤) أصول الحوار (ص: ٣٥).

(٥) مرشد الدعاة إلى الله (ص: ١٧).

الذي يحاوره فإن الطالب لا يخاطب كما يخاطب العالم^(١)، والكبير لا يخاطب كما يخاطب الصغير أو النظير والذكي لا يخاطب كالغبي.

إن وجود خلفية مسبقة عن المحاور يضفي على نفسية محاوره شيئاً من الألفة والاطمئنان والثقة والمعرفة التي تساعد على سير الحوار بطريقة هادفة؛ انظر إلى الملائكة عندما جاءوا إلى لوط القطّل لم يكن يعرفهم قالوا: ﴿قَالُوا يَأْتُلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَأْتِلُوطُ إِلَيْكَ﴾ (هود: ٨١). قال القرطبي: لما رأت الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفوه بأنفسهم فلما علم أنهم رسول مكن قومه من الدخول^(٢).

كذلك في قصة مريم عندما جاءها جبريل لينفح فيها طمأنها وعرفها بنفسه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم ١٩). كذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَأْمُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه: ١١ - ١٢). أي لما أتى موسى القطّل النار التي آنسها من بعيد، وهي في الحقيقة نور ناداه الله ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فأخبره أنه ربه، وأخبره أن يستعد ويهياً لمناجاته ويهتم لذلك^(٣).

٧- اختيار الظرف المناسب:

يمحسن بالحاور أن يلقي نظرة فاحصة فيما حوله قبل أي حوار ثم يحدد تلاويم الحال للحوار فإن وجده ملائماً استعان بالله وبدأ وإلا سكت وترى^(٤) وتقصد بالظرف المناسب:

- ١- ملاءمة المكان.
- ٢- ملاءمة الزمان.

(١) أصول الحوار (ص: ٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (٧٩/٩).

(٣) تفسير السعدي (٢٥٢/٣).

(٤) كيف تحاور (ص: ١٨).

٣- ملاءمة الجو المناخي.

٤- ملاءمة الحالة النفسية للمتحاورين.

٥- ملاءمة الموضوع.

أولاً: ملائمة المكان:

قد يكون نادياً عاماً أو بيت صديق أو مكتب عمل وقد يكون مسجداً أو سيارة^(١) فعلى إلها مراعاة المكان من حيث ضيقه وسعته؛ والأماكن العامة لا تصلح لحوار في قضية خاصة أو حوار طويل حيث تكثر فيها الشواغل والمقاطعات فلا تصلح أماكن الضجيج مثل الأسواق والمدارس ونحوها فلابد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية؛ لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء، وبقدر ما يقل المتحاورون بقدر ما ينقادون إلى الحق عند ظهوره.

ثانياً: ملائمة الزمان:

والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للحوار ومناسبة طول وقته لأحوال الناس^(٢). فيراعى اتساعه للموضوع الذي يُطرح للحوار فلا يُحدَّد وقت في نهاية العمل، ولا يكون في وقت متأخر من الليل حيث الرغبة في النوم أو قبل طعام أو استعداد لسفر بل يختار وقتاً يتسع للحوار؛ حتى لا يؤدي إلى بتره أو عدم الفائدة منه. بعض الحالات قد لا يملك المحاور أن يتحكم في تحديد موعد معين كأن يفاجأ في جمع من الناس من يُلِيسُ عليهم في أمر دينهم مثلاً أو يثير شبهها ويشكك في أصول وقواعد ومسَّمات يبني عليها دين المسلم عندها قد لا يسع المحاور إلا أن يتحين أقرب فرصة ويفرض نفسه لتصحِّح الأخطاء التي ربما علقت بأذهان المستمعين، ورد الشبهات، ومن ثم إسكات المتكلِّم^(٣).

(١) أصول الحوار: ص ٣٢.

(٢) مقومات الداعية الناجح (ص: ٩٩).

(٣) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٤٨١).

ثالثاً: مراعاة الجو المناخي:

إن وجود ما يؤذى جوًّا الحوار يؤثر على طبيعة الحوار و نتيجته في راعي الجو من حيث الحرارة والبرودة قبل البدء في النقاش فالحر الشديد أو البرد الشديد يؤثر على جسم الإنسان وتفكيره سلباً وإيجاباً.

رابعاً: مراعاة الحالة النفسية للمتحاورين:

المحاور اللبق هو الذي يعطي الظروف النفسية وزنها ولا يهملها فالإرهاق والجوع والتعب والحزن والألم كل هذه الحالات ونحوها لا يصلح أبداً أن يتم حوار مع من يعاني من شيء منها. وأيضاً يراعي حالة الحضور وهل هم على مستوى المناقشة أم لا؟ وهل فيهم من سيتدخل بشكل يفسدها، ويضيع إمكانية الانتفاع منها.

خامساً: ملائمة الموضوع:

على المحاور أن يتذكر أنه مطالب بحسن انتقاء الموضوعات التي يطرحها، وأن يكون الموضوع يندرج تحت اهتمام السامعين. مما يصلح أن يُقال أمام الخاصة لا يصلح أن يطرح أمام العامة وما يتقبله الناس في بلد قد يرفضونه في بلد آخر^(١).

ثانياً: آداب يتحلى بها الداعية عند بدء الحوار:

١- لا يبدأ الداعية بالحديث بل يجعل الطرف الآخر هو الذي يبدأ حتى يدرك طبيعته ويستشف أسلوبه ويعرف هل هو من يحاورون بالعقل أم بالعاطفة ويرى درجة وعيه، وفهمه حتى يسرع غوره فيحدد من أين يأتيه وكيف يحاوره^(٢).

٢- التلطف في بداية الحديث للدخول إلى قلب الطرف الآخر عن طريق:
أ- طرح أسئلة محايدة بطريقة توحى أنه يشاركه في بعض ما يقتضي وبذلك يستطيع أن يسرع غوره دون أن يستفزه^(٣). كما فعل المؤمن الذي جاء يدافع عن موسى، ذلك

(١) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ١١٧)، وأصول الحوار (ص: ٣٢).

(٢) كيف تماور (ص: ٢٥).

(٣) أصول الحوار (ص: ٣٥).

أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى أراد الانتصار له بطريقة يخفي عليهم بها أنه متغصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملائفة فقال: «أتقنلون رجالاً»، ولم يذكر اسمه بل قال رجالاً ليوهم أنه لا يعرفه.

ثم قال: «أن يقول ربى الله» ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هونبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متغصب له ولم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله: «وإن يك كاذباً» فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله: «وإن يك صادقاً» ولم يقل هو صادق، وكذلك قال: «يصبكم بعض الذي يعدكم» ولم يقل كل ما يعدكم ولو قال ذلك لعلموا أنه متغصب له، وأنه يزعم نبوته وأنه يصدقه. بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله: «إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب» وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذ ادعى الألوهية والربوبية^(١).

ب- بطرح أسئلة في أمور عامة ليست لها علاقة مباشرة بموضوع الحوار؛ لتهيئة نفس المحاور وإعطائه فرصة للتأقلم مع جو الحوار^(٢).

٣- عدم افتراض صفة مسبقة في المحاور فلا يفترض مسبقاً في محاوره الذكاء في كلمه بحيث لا يفهم، أو الغباء فيشرح ويبين ما لا يحتاج إلى شرح وبيان، وليعلم أن الله تعالى لم يختصه بالعقل والعلم والفهم دون غيره^(٣).

٤- يعمل على عدم استفزاز المحاور. وأن يفتح معه مجالاً للحديث في أمور تهدى للحوار، مثل سؤال الله تعالى لموسى عليه السلام: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١﴾ قَالَ هِيَ عَصَىٰ أَتَوْكَؤُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيٰ فِيهَا مَأْرِبٌ أُخْرَىٰ﴾ (طه: ١٧ - ١٨) ومع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام أتى الكلام بطريقة الاستفهام فقال: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿٢﴾، وذكر فيها هاتين

(١) الدعوة قواعد وأصول (ص: ١٢١).

(٢) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ١٢٣).

(٣) أصول الحوار (ص: ٣٥).

المنفعتين: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَمَى أَتَوْكَئُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمٍ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَأْرِبٌ أُخْرَى ﴾.. أي: مقاصد غير هذين الأمرین. وفي هذا السؤال غایة الإیناس للمسئول؛ حتى يكون هناك مجال لفتح الحوار وتهيئة النفس لقبوله.

ثالثاً: الأدب التي يتحلى بها الداعية أثناء الحوار:

الأدب الأول: حسن الاستماع:

إن حُسْنَ الاستماع للآخرين يشعرهم بأهمية ما يقولونه والجدية في التحاور معهم والثقة في الوقت ذاته فيما عندنا، هذا هو فن الاستماع للآخر وعدم الحرص على الكلام بدلاً منه لأن هذا الطمع يرهننا في حديث الآخرين.

فالإصغاء: هو فن القدرة على الانتباه والتمييز بين الحقائق والميول الشخصية كما أنه القدرة على التركيز فيما يقوله الآخرون وما يحاولون التعبير عنه، وهذا يتطلب سماع كل ما يقال وليس فقط ما يريد الشخص سماعه، ولذلك يشتمل فن الإصغاء على استجاباتٍ بناءٍ تساعد الشخص الآخر على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، والواقع أن كثيراً من الناس يخفقون في ترك انطباع جيد في نفوس الآخرين، ويعود السبب في ذلك إلى أنهم لم يتعلموا فن الإصغاء، إنهم لا يصغون باهتمام إلى حديث الآخرين ويحصرون اهتمامهم فقط فيما سيقولونه، ولا يلقون بالآخرين مما يصدر عن الآخرين من حديث وأفكار^(١).

والإصغاء إلى الطرف الآخر، هو نوع من التواضع بإعطاء الأهمية لكلام الآخرين، وهو يطرد العجب بالنفس وهو أدعى إلى الإخلاص والتجدد وفيه مراعاة

(١) الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد.

للوقت ولاستيعاب كلام الطرف الآخر إذ المستمع لا يستطيع أن يركز في سمعه إلا فترة قصيرة وبعدها يكل الذهن، ويقل التركيز^(١).

وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماماً، وأن يتضرر كل واحد منها صاحب حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه^(٢).

وقد استمع الله تعالى لأسوأ خلقه إبليس وترك له فرصة إكمال حديثه رغم بطلاه، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمْرَتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْأَصْنَافِ ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُرُونَ ﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَائِكَةَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف: ١٢-١٨).

وهكذا يتبيّن لنا: أن الله تعالى بعظمته وجلاله قد جعل إبليس من المنظرين وأمهله إلى يوم يبعثون واستجابة لطلبه رغم خبته وسوءه وتلك حكمة الله، كذلك أخبرنا عن استماع الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم وإنصاتهم لحججهم الواهية فهذه ردود قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَائِكَةُ أَسْتَكِبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْبَتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتَنَا﴾ (الأعراف: ٨٨).

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة (ص: ٢٣٦).

(٢) آداب الحديث والمناظرة (٢/ ٧٦)، وأصول المعرفة والاستدلال "الميداني" (ص: ٣٨٣).

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شَعِيبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٠) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْرَّشِيدُ ﴾ (هود: ٨٧). وفي هذه الآيات تبدو لنا أخلاق شعيب عليه السلام وحسن إنصاته رغم أنه يلقب بخطيب الأنبياء وتحمله لردود قومه ومهاجمتهم وتهديدهم إنه غاية ضبط النفس.

يقول صاحب الظلال: (ويتلطف شعيب تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه ويعرض عن تلك السخرية لا يباليها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم يتلطف في إشعارهم أنه على بيته من ربه كما يجده في ضميره وقلبه، وأنه على ثقة مما يقول، لأنه أotti من العلم ما لم يؤتوا) ^(١).

وقال الرازى: (إن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد، وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل على اختيار الطريق الأصوب والأصلح) ^(٢).

كما بين لنا تعالى في القرآن الكريم سوء أدب بعض الأقوام وعدم إنصاتهم وإعراضهم عن الاستماع فهو لاء قوم نوح عليه السلام قال تعالى واصفا حال نوح معهم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيَلَّا وَنَهَارًا ① فَلَمْ يَزْدَهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ② وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي إِذَا نِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتِكْبَارًا ③ ﴾ (نوح: ٥-٧).

وليس من الأدب عدم الاهتمام بكلام المحاور، أو عدم الالكترات برأيه أو تعمد الانشغال عنه أثناء كلامه بل ينبغي أن يتكلف الصبر على استماع محاوره ويتعمد إظهار الاهتمام بكلامه فهذا أدعى للتتفاهم بين الطرفين وأقرب لنجاح الحوار حتى

(١) في ظلال القرآن (ص: ١٩٢٠).

(٢) تفسير الرازى (١٨/٤٦).

وإن كان الكلام معروفاً لدى السامع أو مكرراً فهذا عطاء بن أبي رياح عالمة التابعين - رحمه الله - يقول: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد^(١).

ويكفيانا بياناً لأهمية الإنصات والاستماع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). وقال تعالى: ﴿ وَأَنَا أَخْتَرُكُ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (طه: ١٣).

قال القرطبي في معناها: إنه بذلك ينال الفهم عن الله تعالى، رُوي عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والإصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها^(٢).

أنواع الإصغاء:

بعد أن علمنا أن الإصغاء هو فن القدرة على الانتباه من أجل التمييز بين الحقائق والميول الشخصية يمكننا تقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

أ- الإصغاء إلى المعنى الكامل: حيث المعنى الذي يحاول الإنسان إيصاله يحتوي على عنصرين هما: المحتوى، والشعور، وهما معاً يوصلان المعنى المراد فهمه.
ب- الاستجابة للشعور: وهي قاعدة مهمة؛ حيث يكون المحتوى أقل أهمية لكن فيه كثير من الشعور الضمني للمحتوى وفي هذه الحالة يأتي الإصغاء بالتركيز على الشعور أكثر من المحتوى.

ج- ملاحظة جميع التلميحات: فالواقع أن كلمات المتحدث لا توصل كل ما يريد المتحدث إيصاله لنا لذلك ينبغي عند الإصغاء الانتباه إلى جميع وسائل التوصيل الأخرى ومنها تعبيرات الوجه وحركات العينين واليدين والتردد في قول شيء ما.

(١) سير أعلام النبلاء (٨٦ / ٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٧٦ / ١١).

الأسباب التي تؤدي إلى عدم الإنصات:

- ١- أن يكون لديك شيء تريده أن تقوله وتعتقد أنه أفضل مما يقوله المتحدث.
- ٢- أن تظن أنك تعرف الإجابة مسبقاً لما تعتقد أنه في صلب موضوع الحديث.
- ٣- إذا لم يعطوك المتحدث أي سبب أو دافع للإنصات كأن يتكلم بنبرة واحدة دون أن يغيرها ودون أن تصدر عنه أي حركة أو افعال يدعوك للإنصات.
- ٤- أن تكون سرعة حديث المتكلم أسرع بكثير من سرعة استيعاب المستمع.
- ٥- أن تعتقد أن المتكلم ليس لديه شيء مهم يقوله أو يستحق الاستماع.
- ٦- أن يكون لديك اعتراضات مسبقة بسبب معرفتك بالموضوع.
- ٧- أن يكون لديك آراء واتجاهات أخرى.
- ٨- أن تكون في حالة تفكير فيما تريده أن تقوله.
- ٩- أن تكون لديك إقتناع أن التحدث عمل إيجابي والإنصات عمل سلبي^(١).

الأسباب التي تؤدي بالناس إلى الإنصات:

- ١- حب المتحدث أو الإعجاب به فإن الناجحين في ميدان العلاقات الإنسانية المتمتين بحب الناس ومعاونتهم هم أنفسهم يحبون الناس ويتوددون إليهم ويتقربون منهم^(٢).
- ٢- أن تعتقد أن المتحدث لديه ما يستحق الاستماع.
- ٣- أن يكون هناك احتمال الثواب أو العقاب في الإنصات أو عدمه.
- ٤- حينما تعتقد أن هناك احتمالاً بأن يطلب منك التعليق على النقطة التي تم الحديث عنها.

(١) الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه.

(٢) كيف تنجح في معاملة الآخرين (ص: ١٩١).

- ٥- أن يكون لديك احتياج حقيقي ودافع للحصول على المعلومات.
 ٦- أن تعتقد أنك إذا أنتصرت جيداً للمتكلم فإنك تستطيع مناقشته فيما بعد.

الأدب الثاني: التدرج والبدء بالأهم:

إن ترتيب موضوعات الحوار ومعرفة الأهم وتحديد بوضوح يسهل كثيراً من مهمة المخاطر كما يتضح ذلك في بدء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة قومهم بأهم قضية وأعظم غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له^(١) فكان كل نبي يدعو قومه بقوله: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥). قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام. كذلك يوسف عليه السلام عندما سأله صاحب السجن كان جوابه بالأهم من ذلك فقال: ﴿يَاصَاحِبَ السِّجْنِ إِأْرَبَابُ مُتَفَرِّقُوْنَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ما تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَعْبُدُوْنَ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقِيمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْأَنْسَابِ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ (يوسف: ٤٠ - ٣٩). في يوسف عليه السلام بدأ معهما بالقضية الأهم وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته يتدرج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية فبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويوقظها ﴿يَاصَاحِبَ السِّجْنِ إِأْرَبَابُ مُتَفَرِّقُوْنَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وفي هذا السؤال جوابه فلا شك أن الواحد القهار خير وهو الذي له العبادة وحده.

(١) مقومات الداعية الناجح (ص: ٩٥).

ثم يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في مواجهة عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية فيقول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾. فتلك الآلة والأرباب لا دليل على عبادتها ولا حجة لها ولا برهان فلم يجعل الله لها سلطاناً، ولم ينزل بها من سلطان ثم يوجه يوسف عليه السلام حجته الخامسة فيقول: لمن ينبغي أن يكون السلطان والطاعة ولمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَقْرَبُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَكِنُّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقرر أخيراً أن الدين الصحيح القيم هو الذي لا يعبد فيه إلا الله وحده لا شريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه ^(١).

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في ذكر الفوائد من قصة يوسف عليه السلام: (ومنها أن يبدأ بالأهم فالأهم وأنه إذا سئل الفتى وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأله عنه أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه فإن يوسف لما سأله الفتى عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له) ^(٢).

وبالجملة فإن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش يعيث بالجهد ويفقد التركيز.

الأدب الثالث: إقرار المحاور على حقه في الخلاف:

إن من سنن الله تعالى في خلقه أن جعلهم مختلفين ولعل سبب ذلك تباين الطبائع فالناس مختلفون في تنشئتهم وثقافاتهم، في ميولهم ورغباتهم. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ

(١) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٠٣).

(٢) تفسير السعدي (٤٤٨ / ٢).

رَبُّكَ لِجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ حَلَقُهُمُ وَتَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ (هود: ١١٨ - ١١٩). فوّقوع الخلاف أمر مُسلمٌ به بين كل البشر فهم مختلفون في أسلوبهم وألوانهم وطبائعهم وفي مدركاتهم وفي عقولهم وأفهامهم وأشكالهم^(١) ولعل ذلك من أسباب تتابع الرسل وتواتي الكتب، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة ولا يزال واقعاً هو جزء من هذه الظاهرة الطبيعية فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد. ورغم أن الخلاف طبيعة بشرية واحدة فإن الله تعالى جعله منهجاً للاتفاق ونبذ الخلاف وأعطانا لغة الحوار كوسيلة من وسائل الاتفاق.

وحيث إن الخلاف هو منازعه بين متعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل^(٢) فإن الغالب أن ينبع عن ذلك الحوار أو النقاش الذي بواسطته يجسم الخلاف فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة؛ لذلك يراعى عند حدوث الخلاف أن يتم تحديد الأصل الذي يرجع إليه المتنازعون قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعُتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

(١) أدب الخلاف (ص: ١٢).

(٢) أدب الخلاف (ص: ١٢).

ويراعى أيضاً عدم الانسياق وراء الأهواء والالتزام بالضوابط المنهجية والاستناد إلى المنطق السليم واعتبار المخالف طرفاً في حوار متكافئ لا يجوز رفض رأيه سلفاً أو التعصب ضده أصلاً. وإنما كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ قُلْ لَا تُسْكُلُونَ عَمَّا أَجْرَمُنَا وَلَا نُسْكُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سبأ: ٢٤-٢٦).

إذا كان هذا خطاب المؤمنين مع غيرهم. أفلا يكون هذا درساً بليناً لهم فيما يجب عليهم في حوارهم عند الإختلاف فيما بينهم؟

ولنحذر عند اختلاف الآراء من اختلاف القلوب؛ لأن ذلك خطر يهدد الإيمان لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تهابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحابتم، أفسحوا السلام بينكم ^(١). وأخيراً ينبغي ألا يتجاوز المخاورةون حدودهم؛ فيعمدون إلى الإثارة والاستفزاز والدس والحقيقة والسخرية ^(٢).

وما ساعد على مواجهة الخلاف تحليل الأصول والفروع وتقرير الأولويات فلا يؤدي النزاع على الجزئيات إلى إهدار الاتفاق على الكليات ولا يتورط المختلفون حول نافلة في التجني على فريضة فلابد أن تقبل الحوار بصدر رحب وتسامح مع المخالفين، ونجعل شعارنا ما قرره الإمام ابن القيم بقوله: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب

(١) رواه مسلم [٥٤]، في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأبو داود [٥١٩٣]، كتاب الأدب، باب في إفشاء السلام، والترمذى [٢٦٨٨]، كتاب الاستذان باب ما جاء في إفشاء السلام.

(٢) أصول الحوار (ص: ٢٤).

فانظروا فيرأى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه^(١).

وقال الإمام الشافعي :رأى الصحابة لنا خير منرأينا لأنفسنا ونحن نقول ونصدق^(٢).
وما أجمل قول الإمام أبي حنيفة :رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب^(٣).

وقد روى أبو يوسف والحسن بن زياد كلاهما عن أبي حنيفة أنه قال : علمنا هذارأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب^(٤).
ولابد أن يضع المحاور في ذهنه أنه ربما كان لدى غيره شيء يتعلمه منه فيحرص على أن يظل المجال مفتوحاً لتقليل وجوه الرأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب دون أن تختلف القلوب وتتفرق الصفو^(٥).

وقد ذكر الشاطبي في الاعتصام^(٦) رواية عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- هي قوله : ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ؛ لأنه لو كان قوله واحداً لكان الناس في ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم. إن الإختلاف جملة وتفصيلاً رحمة من الله تعالى وتوسيعة إلا ما قامت الأدلة على بطلانه وشذ به قائله عن الإجماع أو عن

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١ / ٧٥)، وانظر أيضاً المدخل للفقه الإسلامي (ص: ١٠٣)، و منهاج الاجتهد في الإسلام (ص: ٦٤٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ٢٤١).

(٣) منهاج الاجتهد في الإسلام، (ص: ٨٩).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١ / ٧٥)، وانظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك (١٤٦ / ١٤٧).

(٥) أصول الحوار (ص: ٢٤).

(٦) الاعتصام للشاطبي (٢ / ١٧٠).

الجماهير من علماء المسلمين سلفاً وخلفاً وهذا ما يسميه علماء الأصول «ندرة»^(١) المخالف أو كان الخلاف فيه ضعيفاً^(٢).
أسباب عامة للخلاف بين الناس:

إن من الخلاف ما هو سائع ووجوده رحمة للمسلمين، ومنه ما هو غير سائع.
إذا أدرك المخاور قبل حواره أن الخلاف طبيعة بشرية أقبل على محاوره بنفس
طمئنة وروح هادئة وكان هذا سبباً في تقارب وجهات النظر وإيمانة روح الفرقة
والاختلاف^(٣)، والذي ينشأ عادة بسبب:

١- الجهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء ٣٦). وعن
عبد الله بن عمر رض أن رسول الله ص قال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً يتزعزعه
من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اخْذَ
الناس رؤوساً جهالاً فسألوا فأفتووا بغير علم فضلوا وأضلوا^(٤).

٢- اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَّهُ﴾ (الفرقان: ٤٣).

الأدب الرابع: التدعيم بالأمثلة والحقائق:

المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة^(٥)، وهو
يستخدم هذا الأسلوب حينما يريد الزيادة في تأكيد المعنى الذي يريد، والتمثيل هو
الحق أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ بِالْآخِرِ وَذَلِكَ بَأَنْ نَقِيسَ الْأَمْرَ الَّذِي نَرِيدُ إِثْبَاتَهُ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ
عند المخاطب، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وتظهر الجهة الجامحة بينهما^(٦).

(١) صفحات في أدب الرأي (ص: ٨٥).

(٢) كيف تحاور (ص: ١٤).

(٣) رواه البخاري [١٠٠]، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، ومسلم [٢٦٧٣]، كتاب
العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، والترمذى [٢٦٥٢].

(٤) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٦٤).

(٥) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٣٧٢).

من فوائد ضرب الأمثلة:

١- وسيلة لإقناع المخاور بالفكرة الصحيحة.

٢- وسيلة لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحاً وبياناً.

٣- تيسير الفهم وثبت المعنى في الذهن.

وقد لخص الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بعض فوائد ضرب الأمثلة في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن فقال: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة^(١).

ويبين ابن القيم: أن الأمثال تضرب لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به؛ فإنه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغرابة والوحدة وعدم النظير ففي الأمثال تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق وهو أمر لا يجده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً. فالآمثال شواهد للمعنى المراد ومزكية له فهي كالزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقة، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته^(٢).

ولا ننسى أن المستمع قد يفقد تركيزه أثناء الحوار فيأتي المثال مشيراً بفكرة لم تسمع أو مجليناً لعبارة لم تدرك، واستخدام الأمثلة فن يحتاج إلى الأمور التالية:

١- اختيار الوقت المناسب لاستخدام الأمثلة.

٢- تجنب الإغراء في استخدامها حتى لا يورث للسامع الملل.

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١٤٧ / ١).

(٢) إعلام الموقعين (١٨٢ - ١٨٣).

٣- تحرى دقة المثال.

٤- مراعاة أن تكون بمستوى السامع العادي لا دونه فيحقرها ولا فوقه فيعجز عن فهمها. ولما كان ضرب المثل له هذه الأهمية العظمى في الحوار فقد كثر استخدام القرآن الكريم له في مواضع كثيرة بأسلوب سهل وصور موجودة في واقع المخاطبين.

الأدب الخامس: طلب الإنظار وعدم التعجل:

قد يبتلى المحاور بخصم عجل لا يحسن الاستماع ولا يجيد الإنصات يقاطع أثناء الكلام ويرد قبل أن يفهم ويحبيب قبل أن ينتهي السؤال فعند ذلك ينبغي للمحاور أن يطلب من خصمه الانتظار والاستماع بهدوء وعدم التعجل وترك المقطاعات والمداخلات، وقد لا يكون الطرف الآخر كذلك ولكن ي يريد المحاور أن يؤكّد أمر الانتظار والتمهل ويخشى من استعجال حماوره فلا بأس بأن يذكره بطلب الإنظار ويفكّد عليه بعدم الاستعجال^(١)؛ لأن التسرع يفسد الحوار وقد ذكر العلماء من آداب المقابلة:

- ١- ألا يتعرض أحدهما ل الكلام الآخر، حتى يفهم مراده من كلامه^(٢).
 - ٢- أن لا يكون متسرعاً يقصد إسكات خصمه في زمن يسير لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية ويبعده عن منهج النطق السديد والتفكير في الوصول إلى الحق.
- إن القرآن الكريم يضرب لنا أروع الأمثلة في إنتظار الخصم حتى يتم حججه رغم بطلانها فهذا إبليس يتحدث عن آدم ويجادل ربه فيتبرأ ثم يطلب الإمهال إلى يوم يبعثون فيمهله الله تعالى ﴿قَالَ أَكَانَ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

(١) الحوار آدابه وضوابطه (ص: ٤٦٢).

(٢) آداب البحث وال مقابلة (٢/٧٦).

طِينٌ ﴿١﴾ قَالَ فَأَهِبْطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْصَّاغِرِينَ ﴿٢﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ ﴿٣﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنَظَّرِينَ ﴿٤﴾

(الأعراف : ١٢ - ١٥).

وليحذر المحاور من بذل دينه وهي المداهنة، قال تعالى: **﴿وَدُولُوا لَوْ تَدْهَنُ فِيهِنَّوْنَ﴾** [القلم : ٩]، فالمحاور يطلب الإنكار ويداري لكن لا يداهنه فالمداراة بذل الدنيا من خفض الجناح للناس ولبن الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وهي من أخلاق المؤمنين، والمداهنة بذل الدين وهي من أخلاق المنافقين^(١).

الأدب السادس: الهدوء وعدم الغضب:

من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور الهدوء وعدم الغضب فإذا لم يوافقك صاحبك على رأيك فلا تغضب ولا تحاول أن تحمل الناس على ما تراه حقاً وصواباً^(٢). ولا تترك الغضب يستولي على قلبك لأن صاحب العقل السليم يتغير أن يتعد عنه، وقد قال رسول الله ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يأمره بعمل وأن لا يكثر في الوصية قال: لا تغضب. ثم أعاد عليه فقال: لا تغضب^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب^(٤).

(١) فتح الباري : ١٠ / ٥٢٨.

(٢) أصول الحوار (ص: ٧١).

(٣) رواه البخاري [٦٦٦٦]، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، والترمذى [٢٠٢٠]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، والإمام أحمد في المسند [٢٧٣١١].

(٤) رواه البخاري [٦٦١٤]، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ومسلم [٢٦٠٩]، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وأحمد [٧١٧٨].

وفي الغضب عند الحوار محاولة لإبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها، فالغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته. وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر اللذين هما من صفات المؤمنين ويؤديان إلى أسلوبٍ من أساليب الحوار الجيد وخصوصاً إن كان محاورك من سريعي الغضب فأنت تأسره بهدوئك وطمأنينة نفسك^(١).

ويتحقق هذا الأدب بالوسائل التالية:

- ١- إشعار المعاور بالهدوء والصفاء وضبط النفس والتحكم في الأعصاب.
 - ٢- الهدوء المطلوب الذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم وفهم واستيعاب لكلامه وتمييز ما يمكن إقراره وما يجب رده ومراقبته لتصريحات الطرف الآخر.
 - ٣- أن لا يجعل الخوف والقلق والاضطراب يتسلل إلى نفسه وإن أحس به فعليه إخفاؤه عن الطرف الآخر واستعادة توازنه بقدر الإمكان.
 - ٤- حسن الاستماع والصمت والإنصات أما سرعة الانفعال والتوتر العصبي والبياج والقلق فتأثيرها سين على ذهن المعاور ونفسيته.
 - ٥- عدم رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع قال تعالى: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩).
- قال الزمخشري: فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وجعلهم حميراً وصوتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التشبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان^(٢).

(١) كيف تعاور (ص: ٣٩).

(٢) تفسير الكشاف (٢٣٤ / ٣).

وقال صاحب الظلال: «والغرض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته وما يزعق أو يغليظ في الخطاب إلا سيئ الأدب أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك باللهم والغلظة والزعاق^(١)».

٦- الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفوس الجاحمة إلى المهدوء والثقة فتنقلب الخصومة إلى الولاء وينقلب الهياج إلى وداعه بكلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية في وجه هائج غاضب، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح^(٢).

والأمثلة في هدوء الأنبياء وعدم الغضب كثيرة جداً فهم يواجهون التهم من أقوامهم على نحو ما استشهدنا به من آيات كريمة في مواضيع شتى.

وينبغي أن لا يسيطر على المحاور الهدائى الخجل، لأنه يفضي إلى توتر الأعصاب والتلعثم في الكلام واضطراب الجوارح وعدم الثقة بالنفس، فهو الحياة المذموم لأنها يصد عن الدعوة إلى الله، فالحياة المدحومة كله خير هو الخلق الذي يبعث على ترك القبائح لا أنه باعث على ترك إنكار المنكر والسكوت عن المحرمات وترك الدعوة إلى الله والمحاجة لدین الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما يعين على المهدوء الابتسام، فإن الوجه العابس الغاضب يكون مدخلًا للشيطان، فإن الشياطين تتلاعب بابن آدم عند الغضب، والبشر والطلاقة تملكان الروح كالإغداق بالمال، قال ابن حبان: (من بشّ للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملكون)^(٣).

وقيل لأحد السلف ما أبشكَ قال: إنه يُقْوَمُ علىَ بُرْخِيسْ، يريد أن البشاشة لا تكلف مالًا وتستدر صحبة وصديقاً^(٤).

(١) في ظلال الظلال (٥ / ٢٧٩).

(٢) في ظلال القرآن (١ / ١٩٣).

(٣) روضة العقلاء، ص ٧٥.

(٤) روضة العقلاء، ص ٧٥.

وكان عبد الله بن قدامة لا يناظر أحداً إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتسمه^(١)، وروي عن أبي حنيفة أنه قال لأصحابه: إذا ناظرتم فأظهروا الضحك، يقضي عليكم الجمهور بالغلبة^(٢). ما أجمل أن يحاور المرء وهو مبتسم باسمه وما أبعده إذا ضجر وعبس في حواره.

الأدب السابع: الاحترام المتبادل بين المتحاورين:

الحوار أسلوب راق للتفاهم بين الأطراف المختلفة للوصول إلى الحق، ولكي نحقق أفضل النتائج لابد من احترام الآخرين؛ لأن الخلاف ليس مسوغاً للتخلص عن الأخلاق الفاضلة، فنجد القرآن الكريم يأمرنا حتى في حالة جدالنا لمن يخالفنا في الدين أن يكون ذلك بالحسنى؛ قال تعالى: ﴿وَجَدَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

فعلى المحاور احترام الطرف الآخر مسلماً كان أو غير مسلم، وينحه حقه من التقدير والتوقير^(٣).

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: إن من خياركم أحسنتكم أخلاقاً^(٤). فقد كان ﷺ يعطي من يحاوره حقه من التقدير والاحترام، وكذلك الأنبياء عليهم السلام في حوارهم مع أقوامهم.

وسائل احترام المتحاورين:

١- مراعاة منزلة من تحاور معه إذا كنا نعرفه قبل ذلك. فنحن مأمورون بإنزال الناس منازلهم. فإذا كان له منزلة اجتماعية أو كبر في السن أو مكانة علمية لابد من إضفاء الألقاب المناسبة له بالحق والاحترام دون مبالغة أو تفاق.

(١) ذيل طبقات الخنابلة ٢/١٣٧.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/٨٨).

(٣) أصول الحوار (ص: ٥٣).

(٤) رواه البخاري [٣٥٥٩]، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم [٢٣٢١]، في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

أما إذا كان الشخص غير معروف لدينا فلا مانع من تكنته بأبي فلان أو إضفاء بعض الألقاب المتعارف عليها مثل الأخ فلان حسبما يقتضيه المقام.

- ٢- الثناء على جوانب الخير فيه وذكر صفاتـه الطيبة.
- ٣- إبداء الإعجاب بأفكارـه الصحيحة والاستدلالـات الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردهـا المحاورـ، ويـسلم بها وـربما يـقتبسـ المحاورـ من كلامـ صاحـبهـ في وقتـ لاحـقـ عـبـارـةـ جـيـدةـ تـفـوهـ بـهـاـ فيـ وقتـ سـابـقـ، وـهـذـاـ يـفـتـحـ قـلـبـ الـطـرـفـ الآـخـرـ لـقـبـولـ آـرـائـهـ وـيـذـهـبـ بـرـوحـ التـحـفـزـ الـتـيـ تـسـودـ عـادـةـ أـجـوـاءـ الـمـنـاظـرـ وـالـمـنـاقـشـ وـتـضـفـيـ علىـ الـحـوـارـ صـفـةـ الـمـوـضـوـعـيـةـ^(١).
- ٤- مـحاـوـلـةـ رـؤـيـةـ الـأـمـورـ مـنـ وـجـهـ نـظـرـ الـمـحـاـوـرـ.
- ٥- إـلـقـبـالـ عـلـىـ الـمـحـاـوـرـ وـالـنـظـرـ إـلـيـهـ وـالـتـبـسـمـ لـهـ.
- ٦- إـذـاـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ نـقـطـةـ أـخـرـىـ دـوـنـ الـاعـتـرـافـ بـالـتـسـلـيمـ نـخـتـرـمـ رـغـبـتـهـ لـأـنـاـ أـرـدـنـاـ إـبـلـاغـهـ الـحـقـ، وـلـيـسـ مـنـ الـضـرـوريـ الـاعـتـرـافـ بـهـ.
- ٧- عـدـمـ تـأـوـيـلـ الـكـلـامـ إـلـاـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـأـحـسـنـ مـاـ دـامـ هـنـاكـ مـجـالـ لـلـتـأـوـيـلـ الـحـسـنـ.
- ٨- عـدـمـ ذـكـرـ الـمـحـاـوـرـ بـمـاـ يـكـرـهـ أـوـ تـنـقـصـهـ إـلـيـهـ جـهـلـهـ وـقـصـورـهـ خـاصـةـ إـذـاـ كـانـ فـيـ ذـلـكـ مـصـلـحـةـ عـامـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ وـكـانـ الـقـصـدـ إـلـيـهـ الـحـقـ بـخـلـافـ الـحـوـارـ مـعـ أـهـلـ الـبـدـعـ وـالـضـلـالـاتـ فـإـنـهـ يـجـبـ تـوـضـيـعـ أـخـطـائـهـمـ وـإـلـهـارـ بـدـعـهـمـ.
- ٩- حـفـظـ الـلـسـانـ مـنـ الـاـسـتـهـزـاءـ وـالـاحـتـقـارـ وـالـكـلـامـ السـفـيـهـ وـالـاحـتـفـاظـ بـالـلـهـجـةـ الـمـهـذـبـةـ. لـأـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ يـضـرـبـ لـنـاـ أـرـوـعـ الـأـمـثـلـةـ فـيـ اـحـتـرـامـ الـآـخـرـيـنـ رـغـمـ عـنـادـهـمـ بـلـ وـكـفـرـهـمـ وـإـيـذـائـهـمـ.

(١) أـصـوـلـ الـحـوـارـ (صـ: ٥٤ـ).

الحوار في الإسلام

فالوصية لموسى وهارون (عليهما السلام) عند ذهابهما إلى فرعون جاءت بالحث على القوللين: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى» (طه: ٤٤) أي: قولا له قولا سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلطة في المقال ولا فظاظة في الأفعال^(١).

إن احترام المحاور يقتضي رحمته والرحمة خلق إسلامي أصيل قال تعالى: «مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

وقد يظن بعض الناس أن المناقضة والحوار يقتضيان الخصومة والعداء، وهذا غلط فإن الرحمة عامة للعموم، ألا ترى إلى النبي ﷺ لما جاء شاب يسأله أن يأذن له في الزنا، وزجره من حول النبي ﷺ فقال له النبي : ((أتحبه لأمك)) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال ﷺ ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ثم ذكر أتحبه لأختك، لعمتك، لخالتك، فلما ظهرت الحجة عليه قال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه^(٢).

وكذا انظر إلى حوار النبي ﷺ مع الذي بال في المسجد وكيف وجهه وعلمه، وحواره مع حكيم بن حزام الذي تكلم في الصلاة كما في صحيح مسلم، وذكر حكيم أنه لم ير معلماً للخير مثله فما نهره ولا عنفه ، فهو صلي الله عليه وسلم رحمة مهداة.

الأدب الثامن: إقامة الحجة:

الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق على يد أحد المتحاورين؛ فإذا تجنب المحاور أسلوب الإفحام والتحدي من البداية فإنه يستطيع الوصول إلى هدفه دون أن

(١) تفسير السعدي (٢٦٢/٣).

(٢) رواه أحمد (٢٥٦/٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٠/١).

يغضبه صاحبه لأنه قد يفهم الخصم ويُعجزه عن الجواب وفي نفس الوقت يترك في نفسه حقداً وغيظاً وهذه نتيجة لا يجب أن يصل إليها المتحاوران وربما كان كسب القلوب أهم من كسب الموقف. وقد يحتاج المحاور أحياناً إلى التحدي والإفحام إذا كان يتحاور مع مِنْ همهم الجدال والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الآخرين والإساءة إلى الفكرة وإهانة المبادئ فلا بأس بالهجوم الحاد على مثل هذه النوعية لتوضيح وَهَنِ أفكارِهم واضطربِ أقوالِهم وإِزَالَةِ لَدَهُمْ، ومكابرتهم الحق؛ لأنهم إنما يريدون بذلك معارضة ما خالف هواهم دون تدبر للحقائق، وهذا ما فعله إبراهيم الصلال عند مجاجته للنمرود الذي آتاه الله الملك؛ فاستعلى واستكبر وامتنع عن قبول الحق قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَسْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨). وبذلك وقف وانقطعت حجته وأضمرحت شبهه وبيان كذب دعوه.

الأدب التاسع: معرفة متى ينتهي الحوار:

إن ما يلاحظ في أغلب الحوارات والمناقشات أن الحديث يتفرع ويتشعب ويُحدُث في الكلام استطراد وتنوع، وتتدخل بحثاً حيث لو حاول المستمع أن يربط بين الأفكار آخرها وأولها لتعب كثيراً. ولو حاول أن يحصر القضايا التي طرحت لوجدها كثيرة، ومثل هذا الأمر يضيع الوقت والجهد ويبدد الطاقة ويجعل المناقشة عقيمة وسطحية وقليلة الفائدة، لذلك على المحاور أن يحرص ما استطاع إلى ذلك سبيلاً على التركيز في موضوع الحوار والتجاهل من الاستطراد وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة محددة ينصرف بعدها الناس وقد وضحت لديهم الأفكار والمواضيع واستوعبوا ما طرح عليهم^(١).

(١) أصول الحوار (ص: ٧٠).

ويجد المحاور نفسه في بعض الأحيان مضطراً إلى وقف الحوار إذا تبين له أن الظروف المحيطة لاستمراره غير مناسبة، أو أن الطرف الآخر دون المستوى المطلوب جدية وعلماً، فإن منْ بلغ حد اللجاجة لا ينفع معه الحوار^(١).

وفي بعض الأحيان يجد المناقش أن شقة الخلاف بينه وبين الطرف الآخر كبيرة جداً وأن هناك اختلافاً على أمور أساسية لا يسمح الوقت بمناقشتها أو تكون مناقشتها مع هذا بالذات تضييعاً للوقت وتبديراً للجهد عند ذلك يكون من الأفضل إغلاق المناقشة وإشعار الطرف الآخر بأننا لم نسحب عجزاً أو نترك النقاش هزيمة^(٢).

وقد ذكر القرآن ضرورة الإعراض في بعض المواقف حيث قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِّي إِذَا سَمِعْتُمْ إِيمَانَ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَفِّقِينَ وَالْكُفَّارِ إِنَّمَا فِي جَهَنَّمَ حَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠).

الأدب العاشر: استخدام كلمات طيبة أثناء الحوار:

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة وال الحوار الناجح فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه، وكم من باطل ظهر لأن الذي يدعو إليه فصيبح بلعيغ؟ ولذلك عندما كلف الله موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون ودعوته لعبادة الواحد القهار سأله تعالى ما يعينه على تلك المهمة الشاقة فقال: ﴿ وَأَحَلْلُ عُقْدَةَ الْمُنَفِّقِينَ وَالْكُفَّارِ إِنَّمَا فِي جَهَنَّمَ حَمِيعًا ﴾ (النور: ٤٤).

من لسانى ٤٤ يفْقَهُوا قَوْلِي ٤٤ (طه: ٢٧ - ٢٨) فالمحاور الجيد يناقش بتلطف وأنانية ويقدم لكلامه ويختتمه بعبارات تذوب رقة ولطفة وتبلغ من الأثر في نفس السامع ما لا تبلغه الحجة الدامغة قال تعالى ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٤ (طه: ٤٤) ولابد للمحاور أن يراقب نفسه أثناء حواره هل يتعالى بإشارة أو كلمة؟ هل هو

(١) انظر كيف تعاور (ص: ٦٧).

(٢) أصول الحوار (ص: ٤٧).

مستمع جيد؟ ويحرص على بساطة العبارة بلفظ موجز. فمن البيان أن يعرف متى يتكلم ومتى ينصت ومتى يجيب.

وهناك بعض الكلمات التي تفتح مغاليق القلوب وتفعل فيها فعل السحر مثل :

- المنداداً بالاسم الذي يحب أو بكنيته أو باللقب الذي يستحقه.
- أو قوله : لقد كانت مناسبةً سعيدةً أن تعرفنا عليك يا أخي.
- يطيب لي.
- معدنة اسمح لي.
- عفواً هلا شرحت لي وجهة نظرك.
- إن شهادتك العالية وعقليلتك المتفتحة تجعلني أتكلم معك بصرامة.
- تحدث شخص في هذا الموضوع فأبدى رأيه قائلاً ... حبذا لو أخذنا من كلامه.
- أقترح كذا.
- إنني أسمع لك ، إنني مصغٍ إليك.
- هل انتهيتَ من هذه النقطة؟
- نحن متفقان في غالب الأمور ، وخلافنا على أمور فرعية.
- إنني أحترم وجهة نظرك.
- اسمح لي أن أُبدي وجهة نظري في الموضوع.
- قد أكون مخطئاً وأشكرك لو تفضلت وصحت لي خطأي.
- أشكرك على هذه النقطة ولعلني أضيف إضافة صغيرة.
- أرى رأياً آخر قد أكون مخطئاً فيه فلنختبره سوياً.
- لا أدرى أو لا أعلم عن هذه القضية
- كنت سعيداً بالحوار مع شخص مثلك وأتمنى أن يكون بيننا لقاء دائم.
- آسف على ما يحصل ، ولكننا اتفقنا على أن يكون الحق هدفنا^(١).

الحوار في الإسلام

وهناك كلمات قد تفسد الحوار: (أنا - نحن - رأيي - تجربتي - خبرتي - تبين لي) لأن استعمال ضمير المتكلم قد يوقع في مدح النفس، والتأكيد على الخيرة والعلم قد يوقع في فساد النية ويترك انطباعاً سلبياً لدى السامع يجعله ينفر منه والإنسان بطبيعة يكره مَنْ يتعالى عليه.

مسائل مهمة أثناء الحوار:

- لا ترفع الصوت بصورة زائدة ولا تخفضه لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث وإنما خير الأمور الوسط، ويمكننا أن نخفض الصوت ونرفعه انفعالاً مع الحديث فإن لذلك دَخْلًا في تجديد الانتباه ولابد أن لا يكون الصوت على و Tingira واحدة، وحتى تتم الفائدة ينبغي أن لا نسرد الكلام سرداً بل نجزئه ونرتبه ونتمهل فيه ليفكر فيه السامع. فالضجيج لا يستر العجز والهدوء لا يضيع الحق. وعلينا التوقف قبلَ وبعدَ الأفكار المهمة^(٢).

- لا تصر على خطئك، فالإصرار على الخطأ يفقدك احترام الناس والأسلوب الصحيح أن نسلم بأخطائنا.

- لا تواجه محدثك بخطئه بقولك: سأثبت لك عكس ذلك وأنت مخطئ في هذا الأمر؛ لأن هذا الأسلوب يكسبك عداءه.

- لا تَسْخَرْ من يتحاور معك سواء بالكلمة أو بتعابيرات وجهك.

كلمةأخيرة:

الإنصاف عزيز، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجِدُونَكُمْ شَنِآنَ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا

هو أقرب للتقوى ﴿المائدة: ٨﴾، ما أجمل ما قال الشافعي: (ما أوردت الحق

والحججة على أحد فقبلها إلا هيئته وأعتقد مودته ولا كابرني على الحق أحد ودافع
الحججة إلا سقط من عيني^(١) :

قال ابن القيم :

وَتَعَرَّفَ مِنْ ثَوَبِيْنِ مَنْ يُلْبِسُهُمَا ❀❖❖ يُلْقَى الرَّدِيْ بِمَذْمِهِ وَهُوَ وَانْ
ثَوَبَ مِنَ الْجَهَلِ الْمَرْكَبُ فَوْقَهُ ❀❖❖ ثَوَبُ التَّعَصُّبِ بِئْسَتُ الثَّوَبَيْنَ
وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرُ حَلَّةٍ ❀❖❖ زَيَّنَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتْفَانَ^(٢)



(١) صفة الصفة ١٦٧/٢.

(٢) التونية بشرح هراس ١/٥٢.

الباب الثاني

التطور التاريخي للحوار

- الفصل الأول: الجذور التاريخية للحوار.
- الفصل الثاني: حوار الأمم السابقة في القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: الحوار مع اليهود.
- الفصل الرابع: الحوار مع الملحدين.
- الفصل الخامس: الحوار مع منكري البعث.
- الفصل السادس: الحوار مع المشركين.
- الفصل السابع: الحوار مع المنافقين.
- الفصل الثامن: حوار المؤمنين في القرآن الكريم.

الفصل الأول

الجذور التاريخية للحوار

اعتمدت المجتمعات من أقدم العصور على الحوار في التعليم، ونقل الأفكار والقيم والثقافة السائدة في المجتمع، والمحافظة عليها، ولم يكن الحوار مجرد أداة تعليمية تستخدم داخل قاعات التدريس التي هي في جوهرها شكل من أشكال العلاقة القائمة بين الأفراد والمؤسسات داخل المجتمع.

وبالرجوع إلى تاريخ الحوار يتضح أن طريقة الحوار كانت طريقة ذات ملامح متميزة على يد "سocrates" ، صحيح أنها كانت لها بذور عند السوفسطائيين ، ولكنها لم تكن قد اتضحت معالها ، وقد اعتمد السوفسطائيون على المقدرة الكلامية والقوة البينية أكثر من اعتمادهم على الدليل والمنطق والبرهان؛ فكل كلام مزخرف عندهم وكل عبارات منمقة في رأيهم هي الطريقة لكسب المنفعة ، أما البحث وراء الحقيقة فبعث باطل.

وقد استعمل "اليونانيون" الجدل بمعنى التحاور أو التخاطب بين الناس ؛ بينما كان أهل "أثينا" يعدون الجدل فنا عاليا ، أو فن البحث عن الحق.

أما طريقة الحوار عند "سocrates" ، فتعتمد على طرح الأسئلة والإجابة عنها، ومناقشة الإجابات عن طريق الأسئلة أيضا .. وهذه الطريقة تمر بثلاث مراحل : الأولى أسئلة يقصد منها أن يكتشف الشخص بنفسه أنه على باطل ، وليس محقا في اعتقاده. والمرحلة الثانية أسئلة يقصد منها أن يعرف الشخص أنه جاهم لا يعرف الحقيقة ؛ لذا فهو في حاجة إلى سocrates يرشده إليها ، وأخيرا .. أسئلة يقصد بها أن يصل الشخص المخطئ أو الجاهم إلى الحق والصواب بنفسه.

وفي العصر الجاهلي مارس العرب نوعا آخر من المخاورة في المنافرات ، وهي تقترب من خطب إصلاح ذات البين التي كان يقييمها الجاهليون ؛ فيقيم المخاصومون

حَكَمَا يُقْرَأُنَّ بِهِ، وَيَنْهَضُ كُلُّ مِنْهُمَا لِلتَّفَاهُرِ أَمَامَهُ، مُتَغَنِّيًّا بِشَرْفِهِ وَشَرْفِ ذُوِّيهِ، وَإِظْهَارِ عِيُوبِ مَنَافِسِهِ وَمَسَاوِيهِ.

وَالْمَنَافِرَةُ أَوِ الْمَفَاهِرَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ هِيَ الْمَبَاهَةُ فِي الْجَمْعِ الْمُخْتَشَدِ بِفَضَائِلِ الْأَصْلِ، وَمَكَارِمِ النَّسْبِ، وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَعُلُوِّ الْمَنْزَلَةِ، وَرُوُّعَةِ الْمَكَانَةِ، وَجَلِيلِ الْفَعَالِ؛ وَمِنْ ثُمَّ كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْدُهَا ضَرُورَةً طَبِيعِيَّةً لِكِيَانِهَا؛ تَأْلِيْفًا لِلْقُلُوبِ حَوْلَ الْقَبِيلَةِ، وَكَانَ الْحَوَارُ فِي الْمَنَافِرَةِ يَبْدُو أَكْثَرَ حَيَّيْةً وَتَنوِيْعًا، وَأَقْصَرُ مِنْ خَطْبَةِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، كَمَا أَنَّ الْعَرَاقَ يَظْهَرُ أَكْثَرَ عَنْفًا؛ كَأَنَّ الْخَصْمَيْنِ يَتَصَارِعُانِ وَيَتَجَادِلَاَنِ فِيهَا بِالْقَوْلِ بِمَا هُوَ أَحَدٌ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ، وَالْمَعْانِي تَبْدُو فِيهَا مُبَاشِرَةً صَرِيْحَةً، وَلَا يَلْمُحُ إِلَيْهَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَفَاهِرَةِ وَبَيْنَ خَطْبَةِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَنَّهُ فِي خَطْبَةِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ تَرَى الْمُتَصَالِحِيْنِ يَأْخُذُونَ بِالْعُقْلِ وَالرَّوْيَةِ بِقَدْرِ مَا يَنْسَاقُونَ بِالْاِنْفَعَالِ، أَمَّا الْمُتَنَافِرَانِ، فَإِنَّ كُلَّا مِنْهُمَا يَصْدِرُ عَنْ غَضْبٍ وَحَقْدٍ، وَتَنْزَعُ بِهِ الْاِنْفَعَالَاتُ نَزَوِيْعًا، وَلَا تَدْعُ لِلْعُقْلِ وَالرَّوْيَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(١).

تطور الحوار في عصر النبوة:

كان العصر الإسلامي في مجمله تنازعاً فكريًا اجتماعياً، إلى جانب التنازع السياسي الذي حدث بين قريش والنبي ﷺ في مستهل الدعوة، وبين المشركين وال المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد ازدهر دور الحوار في المجتمع، وخاصة بعد أن أخذ التخاصم بين النبي ﷺ والقرشيين صورة الحرب الفكرية، وما تطلبه من جدل وحوار؛ فلا يكاد يقال قولٌ حتى يعارضه رأي آخر؛ لكي يولد من الإنسان القديم مرة أخرى إنسان جديد مفتتح على عوامل الخير والعدالة.

ولهذا كان من الطبيعي أن يأتي الإسلام الذي أطلق العقول، وحططم أغلال الوثنية، وهدم الفلسفة الإغريقية ليعلم المسلم كيف يحاور، وكيف يجادل بما هي

(١) فعالية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، بثينة محمود محمد (ص: ٧٣).

أحسن، وهذا الحوار لا يتحقق إلا بتبادل الآراء في جو تسوده الشورى والخرابة والصراحة؛ ومن هنا فإن الإسلام لم ينظر إلى الحوار على أساس أنه ترف فكري، يدرب الإنسان على الانتصار والتفوق؛ بل على أساس أنه ضرورة تكسب الإنسان القدرة على استعمال أدوات الدفاع عن الحق بطريقة أكثر مرونة وذكاء؛ ولهذا ذم الله الأمم السابقة التي تتبع آراء أسلافها دون تفكير وتحميس، وعن عمي وجهل. وقد كان للأفكار الجديدة، التي دعا الإسلام جميع الناس إليها؛ حيث دفعهم إلى إعمال الفكر والتحرر من القوالب الجامدة؛ أثّرها الكبير في ازدهار الحوار، كما كان للصراع الذي دار بين الدعاة إلى الله والمرشّكين المعاندين وغيرهم في محاولة كل منهم جذب الآخر إليه عن طريق الإقناع والاستمالة؛ أثّرها الكبير أيضاً في ازدهار الحوار؛ وذلك من اللحظة الأولى التي أمر فيها اللهُ الرسول ﷺ أن يصدع بما يؤمر، وكانت أولى وسائله هي الحوار مع قومه.

وقد ضرب الرسول ﷺ أعظم الأمثال حين حاول أن يقنع قومه في حوار رائع: فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي ت يريد أن تُغير عليكم أكتتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً قط، قال: فإني نذير بين يدي عذاب شديد. وكأنه يضرب لنا مثلاً لأعظم معاور يستطيع أن يستخدم أدوات الإقناع والأدلة والبراهين وال Shawahed؛ ليقنع قومه بالدين الجديد. ومن ذلك أيضاً حواره مع المشرّكين عندما جاءوا يجادلونه ويستمرون به بالمال تارة، والجاه تارة؛ لينصرف عن الدين^(١)، وكان الرسول ﷺ دائمًاً الطرف الأكثر إقناعاً بقوة حجته، وسلامة منطقه.

كما ساعد مبدأ الحرية التي أفرها الإسلام - أي حرية النقد لإصلاح المجتمع، وإصلاح المنكر باللسان أيضاً - على ازدهار الحوار. وفي حياة النبي ﷺ كان الناس يجتمعون في مجالس الرأي والمشورة. وبعد موت النبي ﷺ حدث اجتماع السقيفة^(٢)؛

(١) الحوار لغة القرآن والسنة النبوية

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبراني (ص: ٢٠٧ - ٢١٣).

ليتحاوروا من أجل الوصول إلى الحق، وحتى بعد أن مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالطعنة، انبرى كل منهم ليدلي برأيه، ويشير على الآخرين في حوار هادئ رزين عاقل.

وقد كثرت المحاورة في التخاطب في عصر النبوة، وأصبحت أسلوباً أساسياً مؤثراً من أساليبها المتعددة؛ تبعاً لتعدد المواقف الداعية إليها؛ من تبادل للآراء، أو لاختلافها أو مطالبة فئة معينة من طوائف المجتمع بحقٍ أو بطلبٍ خاص. وهنا يشتدد الحوار، وتتولد المعاورة؛ لأن كل فئة تريد أن تدللي برأيها، وفي الوقت نفسه تستند إلى حجة تؤيد بها دعواها، وتدحض حجة معاورها.

وانتخبت المعاورة ألواناً مختلفة ومتعددة؛ فأحياناً تكون هادئة ومثمرة؛ فلا يراد منها إلا الوصول إلى الحق ومعرفة الصواب والتزامه؛ مثل الحوار الذي دار بين الرسول صلوات الله عليه وآله وسالم وبين الصحابة قبل غزوة بدر، وكذلك حواره معهم بعد الغزوة حول ما يجب عمله تجاه الأسرى؛ وكذلك الحوار بين المهاجرين والأنصار يوم السقيفة، وجميعها حوارات هادئة لا غلظة فيها ولا لجاجة، ولا مغالطة ولا افعال لإثبات ذات على حساب الآخرين، إنما تجد جهداً مضنياً في البحث عن الحجة التي تؤيد بها الآراء للوصول إلى خير المسلمين، وتتجدد بлагة في القول، وجمالاً في التعبير، ودقة في صوغ العبارات، مع حسن التكيف مع المواقف، التي تفرض نفسها دون قلق، أو اضطراب، أو خلل، في العبارات ذاتها.

وعلى العكس من ذلك تجد حوارات المشركين مع الصحابة أو مع الرسول صلوات الله عليه وآله وسالم؛ حيث تغلب عليها العصبية والجاهلية؛ إذ الهدف ليس الوصول إلى الحق والصواب، بقدر ما يكون العناد واللجاج والمكابرة، وتحكيم الأهواء والأغراض، والصد عن سبيل الله.

وأول مصدر تعلم منه المسلم فنون الحوار المختلفة هو القرآن الكريم؛ فقد نزل وبه فنون تعليم الكلام؛ معتمداً على الإقناع والتأثير بطريقة دفعت الناس إلى أن يتبعوه ويسيروا على نهجه، وبالحجج والبراهين التي تعطى الفكرة القوة الإقناعية.

والقرآن الكريم يجعل كل قضاياه سبلاً للحوار، ويجعل كل خلافه مع أعدائه ومخالفيه قائماً على الحوار المتوج الهادئ الرزين، ولا يجعل من القوة سبلاً وحيداً إلى التعامل مع المخالفين، إنما يجعلها عقوبة للمُصرّين على الباطل بعد سطوع الحق وبيانه؛ لتكون القوة أيضاً وسيلة من وسائل إعادتهم إلى الحق لصالح أنفسهم، والدليل على ذلك أن الله تعالى جلت قدرته يتخذ ذاته العليا مثلاً في المحاورة؛ فلا يفرض قوته وقدرته، وإنما يبسط حواره قبل القوة، ويضرب لنا سبحانه وتعالى أمثلة كثيرة على ذلك؛ ومنها على سبيل المثال حواره مع الملائكة على نحو ما شرحناه في مواضع عديدة في الباب الأول.

الحوار في عصر الصحابة رضي الله عنه:

امتاز الحوار في عصر الصحابة رضي الله عنه بآداب سامية، ويرجع السبب في ذلك إلى احتكامهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وآله وسنته عند وقوع الخلاف، كما أن المجتمع لم يكن قد ابتعد كثيراً عن هدي النبي صلوات الله عليه وآله وسنته وسنته.

وكانت الحقيقة وحدها هدف المخالفين؛ حيث لا يهم أحدهم أن تظهر الحقيقة على لسانه أو على لسان أخيه، وكذلك امتازوا بالتزامهم آداب الإسلام مع انتقاء أطيب الكلام، وتجنب الألفاظ الجارحة في الحوار والجدال، مع إحسان كل منهم للآخر، وتنزههم عن التمادي في الحوار بغير حق، وبذلهم أقصى أنواع الجهد في موضوع البحث؛ مما يضفي على الحوار صفة الجدية واحترام الآراء المطروحة، ويدفع المخالف لقبول الرأي الصحيح دون شعور بالحرج والضيق^(١).

والأسباب التي كانت تؤدي إلى اختلاف الصحابة رضي الله عنه في مجموعها لم تكن لتخرج عن تباعين في فهم النص: لغوية كانت أو اجتهادية، و تعالج بأدب إسلامي

(١) منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي (ص: ٤٧).

خالص؛ لذلك سرعان ما كانت هذه الاختلافات تضمحل وتزول بلقاء الرسول ﷺ، أو الاحتكام إلى نص من القرآن أو السنة، أدركه بعضهم وغاب عن الآخرين؛ لأن غايتها كانت نشد الحق وإصابة الحكم الصحيح، ولكن بوفاة النبي ﷺ الذي كان مصدراً للتشريع ومرجعاً للمسلمين في كل اختلافاتهم، بدأ الجدل يزداد لكثرة الموضوعات المستجدة، وظهور كثير من الأمور التي اختلف فيها الصحابة، وجاء في المقدمة الحوار حول ثلاثة موضوعات؛ هي:

أ- الحوارات التي كانت في عصر عثمان رضي الله عنه.

ب- الحوارات التي كانت في عصر علي رضي الله عنه.

ج- الحوار حول الإمامة والخلافة.

الحوار في العصر الأموي والعباسي:

وكان لانتشار الفرق الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، التي تبلورت آراؤها في شكل المدارس التي تدافع عن اتجاهاتها وأصولها العقائدية والفكيرية - الأثر الكبير والعظيم في ازدهار فنون الحوار؛ الذي كان يهدف أحياناً للوصول إلى الحق فيكون حواراً حقيقياً، وأحياناً يقصد به تغليب مذهب فكري على آخر، أو تغليب رأي على آخر فيكون جدالاً.

وقد ساعد على تطور صور الجدل التعصب المذموم عند الفرق الإسلامية ودفعها عن آرائها بشدة، اعتقاداً منها أنها على حق وسواها على باطل، كما أن هجرة العلماء من بلد إلى آخر، وطلبهم للعلم والاستزادة منه، ونشر أفكار وآراء هذا الدين بين مختلف الشعوب كان باعثاً قوياً على الاحتكاك الفكري، ونشأة الجدل، وكثرة المحاورة والمناظرة، وساعد أيضاً على هذا الحوار والجدل تَوْلُّ الفرق من بعضها؛ حتى أصبحت كل مدرسة فكرية تضم عشرات الفرق الإسلامية.

واستمرت الندوة في أداء دورها في العصرين الأموي والعباسي، وفيها كانت تدور فنون الحوار والتشاور، كذلك في مجالس الخلفاء، وفي المساجد، والقصور. ومن اللافت للنظر في العصر الأموي الحوارات التي كانت تتخلل خطب الوفود على الخلفاء، وكانت هذه الوفود غالباً ما تقدم على الخليفة، وقد سبق لها أن قالت ضده شعراً، يحفظه الخليفة أو أحد حاشيته؛ فيعاد عليها هذا الشعر، وَتَعَاتِبُ فِيهِ؛ فتقره، وتصمم على رأيها، وفي النهاية يجزل الخليفة لها العطاء.

وقد ارتقى الحوار في العصر العباسي؛ نظراً لأن الفكر الفارسي أثر في الحياة الإسلامية، وكان يحمل معه ثراث من الفكر اليوناني؛ لأن الفلسفة اليونانية كانت منتشرة في بلاد فارس قبل الإسلام، وكان هذا سبباً في كثرة العلوم الفلسفية، وانتشارها بين المسلمين، وكانت المناظرات والمناقشات تعقد في كل مكان، وكثير منها كان يعقد في مجالس الخلفاء - مثل الخليفة المأمون الذي كان معجباً بالفلسفة اليونانية - وقد كانت هذه المناظرات موضوع سبق المجددين للقول فيها؛ يتبارون في البيان وروعته، ويتسابقون في المعاني وأحكامها.

وقد سادت المناظرات في هذا العصر؛ لأن الحياة العقلية كانت لها السيادة، وعظم أمر العلم، وصارت المجالس ميداناً للمسابقة الكلامية والجدلية بين زعماء الفرق الإسلامية وكان المتكلمون يحرصون على بلاغة الكلام والتأثير بالإقناع بعد الإفحام. ومن عوامل ازدهار الحوار في العصر العباسي - أيضاً - ما دسه الزنادقة، وما دبروه للإسلام؛ بتأثيرٍ من الفرس الذين كانوا يريدون إحياء ملوكهم القديم؛ فلما لم يستطعوا ذلك عسكرياً، أرادوا تقويض الإسلام من الداخل بكثير من الآراء والمعتقدات، التي أثرت في ازدهار الحوار؛ فلم يجد الخلفاء بدًّا من محاربة الأفكار بالأفكار، والقضاء على كثير من تلك النظريات والمعتقدات الغربية على الإسلام؛ وذلك بالحوار، والجدل، والفكير المضاد.

الحوار في الإسلام

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن العصر العباسي كان عصر نضج العلوم العربية وبداية الازدهار الفكري وتكون المدارس في مختلف العلوم المرتبطة بالقرآن والسنّة، كما ازدهرت حركة الترجمة من اللغات الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية، وتمكنّت عقول المسلمين من استيعاب ذلك كله وفهمه وتأويله، وتحويله إلى نظريات ومناهج تخدم العقيدة إثباتاً ودفاعاً، ومادة تساعد على ازدهار الفكر الإسلامي الصحيح.



الفصل الثاني

حوار الأمم السابقة في القرآن الكريم

الحوار مع إبليس:

إن الإباء والكفر والكفر هو الذي دفع إبليس إلى الجدال والعناد، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَفَّارِ﴾ (البقرة: ٣٤) فقد مكاهنه في الجنة بين الملائكة، وخرج منها مذءوماً مدحوراً ملعوناً إلى يوم القيمة.

ذلك أن الكبر أفقده قدر نفسه، ودفعه إلى التطاول إلى مقام ربه، ليجادله في أمره، وليعطي لنفسه الخيرية على آدم أبي البشرية، وليستند هذه الخيرية إلى معاييره هو، لا إلى ما شرع الله وأمر ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (ص: ٧٦) مع أن الملائكة وهم من نور لا نار سجدوا وأطاعوا رب العالمين. ومع أن المعيار الذي ارتضاه رب العالمين ﴿وَلَقَدْ كَرِمْنَا بَنَى إِدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الْطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِيَعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣).

ومع أن القاعدة قبل ذلك كله: ﴿إِنَّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنباء: ٣٢).

الحوار مع الملائكة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

قال إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَعَلَمَ إَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِيَّةِ فَقَالَ إِنِّيُؤْنِي بِاسْمَاءٍ هَوَلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِي ﴿٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ قَالَ يَسَّادَمُ إِنِّيُهُمْ بِاسْمَاهِهِمْ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ بِاسْمَاهِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِيَّةِ أَسْجُدُوا لِإِادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبْنَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿٥﴾ وَقُلْنَا يَسَّادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتَمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ فَأَرْزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهِبْطُوا بَعْضُكُمْ لِيَعْضُ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَّعُ إِلَى حِينٍ ﴿٧﴾ فَتَلَقَّى إَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْتَّوَابُ الْرَّحِيمُ ﴿٨﴾ (البقرة: ٣٠ - ٣٧).

حوار أبني آدم:

وتأمل هذا الحوار الذي صاحب الصراع بين أبني آدم، وهو حوار تعليمي:

﴿وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَى إَادَمَ بِالْحَقِّ اذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنَ الْأَخْرَ قَالَ لَا قُتْلَنَكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ لِنَ بَسَطَتِ إِلَيَّ يَدَكَ لِتُقْتَلِنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِشْمِي وَأَثِمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ فَطَوَعْتُ لَهُ نَفْسِهِ فَقُتِلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَلَسِرِينَ ﴿٤﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَوْمَتَيْ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ (المائدة: ٢٧ - ٣١).

ويروي السدي عن ابن عباس وابن مسعود ﷺ: أنه كان لا يولد لأدم مولود إلا ومعه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه، وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها، وأنهما قربان إلى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية .. فنزلت النار فأكلت قربان هابيل «علامة القبول» وتركت قربان قابيل «علامة عدم القبول» فغضب وقال: لأنك أقتلناك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل ﴿إِنَّمَا يَتَّقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

حوار نوح عليه السلام مع قومه:

جاء نوح يدعو إلى الحق: ﴿أَنَّ أَعْبُدُو أَنَّ اللَّهَ وَاتَّقُوْهُ وَأَطِيعُوْنَ﴾ (نوح: ٣) «ما لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لِلَّهِ وَقَارَأَ» (نوح: ١٣)، ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوْا مَنْ لَمْ يَرِدْهُ مَا لَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح: ٢١)، ﴿وَقَالُوْلَا تَذَرُّنَّ إِلَّا هَتَّكُمْ وَلَا تَذَرُّنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْوَثْ وَيَعْوَقْ وَنَسَرًا﴾ وَقَدْ أَضْلَلُوْا كَثِيرًا وَلَا تَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح: ٢٣ - ٢٤).

حوار إبراهيم عليه السلام:

حطم لهم الأصنام وقال لهم ﴿بَلْ فَعَلَمَ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسُئَلُوْهُمْ إِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَ﴾ (الأنبياء: ٦٣).

وتدرج بهم من الشك ليصل بهم إلى اليقين ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ آلَيْلُ رَءَاءٍ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ فَلَمَّا رَأَهُ الْقَمَرَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٠٦).

بازاغا قال هندا ربي فلما أفل قال لين لم يهدني ربي لا تكون من **القوم الضالين** فلما رأى الشمس بازاغة قال هندا ربي هندا أكبّر فلما أفلت قال يقوم إني برأي ممما تشركون **إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** (الأنعام: ٧٦ - ٩٧).

وواجه أباه - وهو شerk - واجهه بالحق الذي يدحض الباطل بأسلوب لين كريم يصل إلى القلب، ويعذر إلى الله ألا يصد عن الحق بما ينفر القلب **وأذكّر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صديقاً نبياً** **إذ قال لأبيه يتأبّت لم تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُعني عنك شيئاً** **يتأبّت إني قد جاءني من العلّم ما لم يأتكم فاتّيغنى أهدك صرطاً سوياً** **يتأبّت لا تعبد الشّيطان إن الشّيطان كان للرحمٰن عصياً** **يتأبّت إني أخاف أن يمسك عذاباً من الرّحمن فت تكون للشّيطان ولّيًّا** (مريم: ٤١ - ٤٥).

وي فقد الأب - الضال - الحجة، فيلجم إلى التهديد بالقوة شأن أصحاب الباطل والضلال في كل زمان ومكان. **قال أراغب أنت عن الهٰئي يتأبراهيم لين لم تنته لآرجمتك وآهجرني مليّاً** (مريم: ٤٦).

في رد أبو الدعاء ردًا حانياً لكنه لا يتخلى عن الحق:

قال سلام عليك سأستغفرك لك ربّي إنّه كان بي حفيّاً (مريم: ٤٧) نهي الله عنه بعد ذلك **وأعزّل لكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربّي عسى ألا تكون بدعاء ربّي شقيّاً** (مريم: ٤٨) ويموت أبو إبراهيم على الكفر والضلال، ويبيى إبراهيم **الغطّالة** رائداً للحق والهدي؛ رغم ما ناله من عنت، وصد، وأذى.

﴿وَمَا كَارَ أَسْتِغْفَارٌ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَا وَهُوَ حَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَى لَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبه: ١١٤، ١١٥).

حوار موسى الشَّهِيد

موسى الشَّهِيد الذي يمثل الحق المنزَل من عند الله يتربى في حجر فرعون، الذي يمثل الباطل في أعتى صوره ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيْهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدُ لِي يَنْهَمِنْ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلَى أَطْلَعَ إِلَيَّ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرَ الْحَقِّ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٨، ٣٩).

﴿ أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَكَنِي ﴾ ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رِبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ ﴿ فَأَرَأَهُ الْأَكْيَةَ الْكُبْرَى ﴾ ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴾ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ ﴿ فَقَالَ أَنَاٰ رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤، ٢٥).

هذا فرعون، قمة الباطل، قمة الضلال، قمة الكفر، يواجه موسى الأعزل المحسن بالحق الذي معه، فماذا يحدث؟

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجَدِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٨ - ١٢٢).

فليوهم فرعون لأنهم لم يستأذنوه قبل الإياع
 ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّمَا تُمْتَهِنُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءادَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣).

ويضي في التهديد والوعيد الذي يمارسه كل طاغية متكبر

﴿لَا تُقْطِعُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَا أُصْبِنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٤).

ف كانت قوتهم وثباتهم واعتزازهم بعقيدتهم :

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَ الْآَنَّ إِنَّا إِمَّا نَأْتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا إِنَّا رَبَّنَا أَفْرَغْنَا عَلَيْنَا صَبَرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٥، ١٢٦).

وفي مكان آخر إجابة مشابهة لكنها أقوى دلالة على الإيمان الحق الذي ملأ الأرواح وملأ القلوب :

﴿قَالُوا لَن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ إِنَّا إِمَّا نَأْتِ رَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْثَرْهُنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّخْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧٢، ٧٣).

ويقدم القرآن العظيم في تاريخ الحوار بعد ذلك ما دار بين السيدة مريم - عليها السلام - وقومها ﴿يَأْتُخْتَ هَلْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأٌ سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيَّا ﴿٧٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ إِنَّمَا أَكْتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٨٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُوْةِ مَا دُمْتَ حَيًّا ﴿٨١﴾ وَبَرَّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴿٨٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبَعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٢٧ - ٣٣).

حوار عيسى عليه السلام مع الحواريين:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَآيِّدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾١١٥﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الْشَّهَدِينَ ﴾١١٦﴿ قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزُلْنَا عَلَيْنَا مَآيِّدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لَا وَلَنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَأَرْزُقَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾١١٧﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾١١٨﴾ (المائدة: ١١٥ - ١١٧).

حوار بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَحْدُذُونِي وَأَمِّي إِلَهُنِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُ الْعِيُوبَ ﴾١١٩﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَنَّنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُهُوا اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾١٢٠﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٢١﴾ (المائدة: ١١٦ - ١٢١).



الفصل الثالث

الحوار مع اليهود

اليهود هم أبناء يعقوب الﷺ، وهم المتسببون إلى دين موسى الﷺ، وقد انطروا على أنفسهم دائمًا، وعاشوا بمعزل عن أي مجتمع عاشوا فيه، وجاء الإسلام إليهم فوقفوا منه موقفاً عداءً تاماً، حيث حاجوا النبي ﷺ كثيراً واعتراضوا على كل ناحية دعاهم إليها، ويتبعنا البعض آيات الجدل في القرآن الكريم نلمح صفاتهم التي استمرت معهم. وانتقلت من جيل إلى جيل.

صفات اليهود في القرآن الكريم:

١- العنصرية في الجنس :

يؤمن اليهود أنهم من سلالة جنس فاضل عظيم يفوق بعظمته سائر البشر وأنهم رزقوا عبرية لا نظير لها. جاء في البروتوكول الخامس: إننا نقرأ في الناموس أن الله قد اختارنا لحكم الأرض، وقد وهبنا الله العبرية لنقوم بهذا العمل، وإذا ما وجد عبرى في صفوف الأعداء فقد يكون في وسعه مقاتلتنا، ولكن أني لعبرية جديدة أن تقف في وجه المخضرين من أمثالنا. وسوف يتخذ القتال صورة من البأس لم يشهد لها العالم مثيلاً. لقد انقضى الوقت الذي تقوم فيه لغير اليهود عبرية^(١).

ولقد أطلقوا على أنفسهم «شعب الله المختار» وهي في الحقيقة عنصرية زائفة لا تستند على شيءٍ من الحقائق لأن الحقائق في وضوحها بينةً كما يقول تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَيْرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

واليهود كغيرهم من الأمم جاءهم رسول، ونزل عليهم كتاب. ولكنهم مع الأيام اكتسبوا بعض الأوهام وألبوها ثوب الدين ونسبوها إلى الله وزعموا أنه جاء في سفر

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٤٧ ؛ ٤٨).

يشوع أن يشوع أخذ كل الأرض على حسب وعد الرب لموسى وأعطها يشوع ميراثاً لبني إسرائيل على حسب أقسامهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب^(١).

والقرآن الكريم في حواره ورده عليهم يوضح هذه الحقيقة، ويدفعها بموضوعية يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا يَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ تَحْنُّنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّهُوُدُ﴾ (المائدة: ١٨).

يدذكر ابن عباس رض أنه أتى النبي ص نعمان بن أضاء وبكري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله ص ودعاهم إلى الله وحضرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد ونحن والله أبناء الله وأحباوه^(٢). فنزلت الآية. وادعاؤهم هذا باطل ولذلك أمر الله رسوله ص أن يرد عليهم فقال له:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ (المائدة: ١٨).

أي إن صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادتكم العجل.

وإن كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع والحقيقة المؤكدة أن اليهود بشر كسائر البشر يغفر الله لهم أو يعذبهم إن شاء.

ومن صور هذه العنصرية ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ (البقرة: ١١١) وكانت أحلامهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً، وأن لا يدخل الجنة غيرهم، وكانت تلك أماناتهم الله لكن على لسانِ الرسول ص يقول لهم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١) أي هاتوا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وكان اليهود

(١) سفر يشوع : انظر الإصلاحات ١٣ - ٢١ وفيها بيان تقسيم الأرض على عشائر بنى إسرائيل.

(٢) رواه الطبرى في التفسير [٤/٥٠٥] [آية المائدة: ١٨].

يعتقدون أنهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يوماً بعد أيام عبادتهم العجل ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا الْنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (البقرة: ٨٠).

وكان الجواب على هذا الافتراض من الله حيث قال لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَتَنْخَذُنَّ عِنَّدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٨٠).

وبالطبع ليس لهم برهان على ادعاء دخول الجنة وليس معهم عهد من الله بعدم العذاب إلا أياماً ولذلك كان الرد عليهم إفحاماً لهم.

ويبقى الواقع المجرد وهو الاعتماد على الإيمان والعمل ولا شيء سوى ذلك. وما ادعوه من عنصرية فهو من أكاذيبهم التي درجوا عليها تزكية لأنفسهم وفخرًا بجنسهم. واليهود حديثاً هم اليهود في غرورهم وعنصرية وتعاليهم خاصة مع العرب والأمر ما ذكر الله رأيهم في العرب وبينه من واقع حديثهم حيث إنهم قالوا: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْمَيْنَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: ٧٥) والأميين المذكورون هم العرب يسمون بهذا الاسم في مقابل أهل الكتاب^(١). ويتصور اليهود أن العرب ليس لهم قدرة على المطالبة بحقوقهم لأنهم عبيد لليهود وخدم. هكذا يتصورون العرب الأميين ولا يؤمنون بسواد^(٢).

ومع هذا الغرور العنصري أشار القرآن الكريم إلى ملمع خطير قد يكون مفتاح هذا التعالي ، وهو إحساس اليهود باحتقار الناس لهم وشكهم في هذا الأمر دائمًا، وهذه القضية تأتي في وضعها الطبيعي؛ لأن الشعور بالنقص يدفع صاحبه إلى إبراز ما ليس فيه، وتقع صور خارجة عنه. يشير إلى ذلك قوله تعالى :

(١) الملل والنحل للشهر ستاني (١٨٩/١).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص: ٣٩١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُرُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧).

فموسى العليّ يبلغهم أمراً من تعاليم الله، لكنهم يردون عليه من خلال عقدة النقص فيهم. ومن إحساسهم بأن الناس يسخرون منهم، فيسألون موسى : أتتخذنا هزواً وسخرية بما تأمرنا به ، لكنه العليّ يرد عليهم بأن إحساسهم غير صحيح ؛ لأن الهراء في تبليغ أمر الله جهل وسفه لا يليق برسول.

إن العنصرية اليهودية ثابتة في نفوسهم ومستكنته في غرائزهم ، وقد اشتهروا بها حتى صارت إحدى خصائصهم.

٢- المادية في الاعتقادات :

يبلل اليهود دائماً إلى التجسيد في عقائدهم. ويربطون إيمانهم بالملائكة وَتَلْكَ طبيعتهم. وينظرون إلى الله نظرة الموس ، ويصفونه بأوصاف لا تليق إلا بالحوادث ، تقول توراتهم : «وسمعا - أي آدم وحواء - صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وأمرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة»^(١) هكذا تقول التوراة إن الله يمشي ويظهر بوجهه ويخفي آدم ومعه حواء من وجه الله ومقابله. ونظرة اليهود إلى الرسل هي الأخرى امتداد لعادتهم ، حيث يلحقون بهم النقص والسوء.

وقد أنزل اليهود بالرسل صفات النقص والخسفة وجردوهم من روحانية الوحي وعصمة الرسالة.

والحوار القرآني يبين طبيعة اليهود المادية. ويعقب على فسادها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكِّتبُ مَا قَالُوا وَقَتَّلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِعَيْرٍ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١).

(١) سفر التكوير . الإصلاح الثالث فقرة ٨.

روي أن النبي ﷺ كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهودبني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً. فقال فنحاص اليهودي: إن الله فقير حتى سأله القرضاً^(١). وذلك أنهم لا يجدون مانعاً من تشبيه الإله بالمحسماً.

وقد رد الله على قولهم وذكر أنه جريمة تضاف إلى جرائمهم الأخرى وسوف يذبون عليها.

ومن أمثلة هذا الحوار القرآني معهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِيرٌ أَبْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبه: ٣٠)

فهم لغلوهم في التشبيه والتجميد لا يستبعدون أن يكون الله ولد هو عزيز، ويرد عليهم هذا الرعم فيقول تعالى: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبه: ٣٠) لأنهم بقولهم كاذبون، ويُشَهِّدون الكفرة تماماً.

وكان لتأصل العقيدة المادية في اليهود أن قالوا لموسى عليه السلام حينما رأوا قوماً يعبدون أصناماً. ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ بَّعْدِهِمْ ﴾ فقد جادلوا موسى في شأن الأصنام وأرادوا العودة إليها. وبين لهم جهلهم وبطلان ما هم عليه، وما خديعتهم السريعة بعجل السامری إلا من هذا الطريق المادي.

ويبين الحوار القرآني كذلك نظرية اليهود إلى الرسل حيث استهزءوا بموسى وقالوا له ﴿ لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا ﴾ (البقرة: ٥٥) وقالوا: ﴿ فَأَذَهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَاهُ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤)، ولما طلب منهم هارون أن يتركوا عبادة العجل ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَلِكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٥٩/٣).

(طه: ٩١). وهكذا قامت مجادلتهم على الاستهزاء والسخرية وعدم المبالاة كشأنهم دائمًا مع الرسل.

أسلوب دعوة اليهود في الحوار القرآني:

إن إحاطة الداعية بخصائص اليهود تجعله يوجه الدعوة لهم بما يناسبهم ويسوق لهم أقوالًا تلائمهم، وقد ضرب القرآن الكريم وهو يمحكي أسلوب دعوتهم نوعاً من هذه الملاعمة. فنراه يذكرهم بالنعم التي وضعها الله لهم حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة ورزقهم طيبات كثيرة وجعلهم أفضل الخلق في عصرهم يقول تعالى حاكياً أسلوب دعوة اليهود^(١):

﴿يَبَرِّي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّى فَارَّهُبُونَ ﴿٤١﴾ وَإِمْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تَشْتَرِرُوا بِإِيمَانِي ثُمَّنَا قَلِيلًا وَإِيَّى فَاتَّقُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (البقرة: ٤٠، ٤١).

وهذه الآيات تناطح اليهود بـ يا بني إسرائيل أحب الأسماء إليهم، وتبين لهم نعم الله عليهم، وطالبهم بأن يوفوا عهودهم، ويؤمنوا بالقرآن المصدق للتوراة وأن يتركوا المادية ويخافوا الله وحده.

ومن المعلوم أن كون القرآن مصدقاً للتوراة يرفع الإحساس بالنقض من فكر اليهودي الذي يسمع القرآن وهو ي مدح التوراة، ويبين أنها تحوى هدي ونوراً.

ومن مراعاة القرآن لخصائص اليهود نجده يقدر علماءهم الذين هم قادة القوم وسادتهم. يقول تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسُئِلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (يونس: ٩٤).

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص: ٢٩٧).

والخطاب في الآية وإن كان موجهاً للنبي ﷺ فهو في الحقيقة موجه لعلماء اليهود كعادة الأسلوب القرآني في كثير من مواضعه، وبذلك يخاطب الله المؤمنين، ويطالعهم أن يقدروا علماء اليهود، ويسألوهم عن حقيقة القرآن المنزّل على النبي ﷺ. ومن هذه المراوغة تنويه القرآن بموسى عليه السلام وبني إسرائيل جميعاً ويتوراتهم؛ فيقول: ﴿ وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنَىٰ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدَىٰ وَذِكْرٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (غافر: ٥٣ - ٥٤).

ومع كل هذه المراوغة لغور اليهود وعنصرتهم يحاول القرآن أن يصحح أخطاءهم، ويصحح عقائدهم على صورة التساؤل فيقول تعالى: ﴿ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ يَأْيَتِ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٠). ثم يأخذهم إلى الحق من منطق التساؤل فيقول لهم: ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤). يقول الرازى: إن هذه الآية تتضمن منهاجاً يشد كل عقل سليم، وطبع مستقيم؛ إنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال^(١).

ويتمشى القرآن مع فكر اليهود، ويسلم لهم بظاهرهم في أنفسهم؛ تمهيداً لأخذهم إلى الإيمان؛ يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أُولَى أَهْلِ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الجمعة: ٦). ذلك أن قضية المودة مع الله وأنهم أبناءه وهو ولهم وحدهم تقتضي حب الإسراع إليه. والموت من أجل لقائه؛ فطالعهم القرآن أن يتمنوا الموت دليلاً على صدق زعمهم.

(١) مفاتيح الغيب (٢/٧٠٤).

لكنهم لا يحبون لقاء الله، ويكرهون الموت، يقول تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٧).

والقرآن الكريم مليء بأمثلة أخرى كثيرة تبين أسلوب الحوار مع اليهود ودعوتهم إلى الإسلام.



الفصل الرابع

الحوار مع الملحدين

لم تكن فكرة الإلحاد في وقت من الأوقات منتشرة انتشار فكرة الشرك، لأن الشرك إقرار بوجود الخالق وعدم توحيده بالعبادة، أما الإلحاد فإنه إنكار مطلق للألوهية، ونفي لوجود الله تعالى، إنه طمس لمعالم الفطرة، والمجتمع الذي جاء القرآن الكريم لإصلاحه يقر غالبه بوجود الخالق، وقد قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥).

لکنهم اتخدوا آلهة أخرى لأغراض في نفوسهم منها الرغبة في التقرب إلى الإله فقالوا:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ (الزمر: ٣).

وجود الله تبارك وتعالى حقيقة لا تقبل النقاش والجدال؛ لأنها ضرورة تسرى في الأحساس والمشاعر، وتغلغل في أعماق النفس الإنسانية.

وإذا كان الماديون والطبيعيون يتظاهرون بإنكار وجود الله فإن هذا الوجود الإلهي يفرض نفسه على أحاسيسهم ومشاعرهم ويقولون به من حيث لا يشعرون. (إنهم يقررون بضرورة وجود قوة تسير هذه القوى الكونية، وسواء أضافوا هذه القوة إلى قانون السبيبة للكون أم قانون التفاعل المادي لتلك القوى كما يرددون، فإن هذا إحساس بوجود خالق مدبر لهذا العالم ولكنهم يكابرون فطرتهم وأحاسيسهم؛ فيلحوذون إلى القول بأن وجود العالم كان مصادفة واتفاقاً، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع^(١)).

وإذا نظرنا إلى النصوص القرآنية لم نجد هدفها يوماً من الأيام إثبات وجود الله تعالى؛ لأن الإيمان بوجود الله ضرورة حتمية وبدهية لا تقبل الفطرة الإنسانية الأخذ والرد فيها وإن اخترت بعض الفطر الإنسانية ومالت إلى الجحود فهذا لا يعني عدم

(١) المنقد من الضلال للغزالى (ص: ٧٦) باختصار.

الإحساس بوجود الله ولكنها أصبت بنكسات أودت بها في الم tahat المظلمة، ولم تستخدم ما وهبها الله من تفكير للنظر في الكائنات والبصر في الموجودات؛ لتسدل به على خالق هذا الكون ومدبره^(١).

ولذلك كانت طريقة حوار القرآن مع الملحدين لها طابع مختلف عن طريقة الحوار مع المشركين؛ فالقضية هنا أخطر من حيث نوعيتها؛ رغم أن الملحدين أقل عدداً من المشركين، ولكن إلغاء فكرة الألوهية يحتاج في أسلوب حوارهم إلى مناقشة العقل وإثارة الحواس لتصحيح الفكرة.

فالتصور المنحرف الذي يتقبل العقائد الخاطئة لابد من تصحيحة، وقد رسم القرآن منهجاً للحوار بعد عرض قولهم وادعائهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُنَا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَّا يَظْنُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا تُشَلَّى عَلَيْهِمْ إِذَا يَأْتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَأْتُوْ بِأَبَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ قُلْ اللَّهُ يَحْكِيمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمِعُكُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمٌ يَخْسِرُ الْمُبْطَلُونَ ﴾ ﴿ وَتَرَفَ كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَبِهَا أَلَيْوَمْ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤ - ٢٨).

ويلخص الإمام الشهري إدعائهم في قولهم: (نحوت ونجيا وما يهلكنا إلا الدهر) إشارة إلى الطبائع الحسنة في العالم السفلي وقصرها للحياة والموت على تركبها وتحللها والجامع هو الطبيع، والمهلك هو الدهر^(٢).

مثل هذه الدعوى رد عليها القرآن الكريم، ورد تلك المقدمات التي أوردوها دليلاً لدعواهم، وقد رفض مقدماتهم بأمررين:

(١) مناهج الجدل (ص: ١٢٦).

(٢) الملل والنحل (٢٣٥/٢) بتصريف.

- ١- بنفي العلم عنهم ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ (الجاثية: ٢٤)
- ٢- إثبات الظن والتخرص في دعواهم ﴿إِنَّ نَّظُنَّ إِلَّا ظَنَّا وَمَا تَحْنُّ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية: ٣٢).

وبنفي المقدمات بطلت النتائج، وهكذا نرى أن القرآن قد استخدم في حواره مع الملاحدة العديد من الأدلة العلمية التي يتصل بعضها بالعقل، ويتصل بعضها بالكون.

١- الأدلة العقلية :

ونستعرضها من خلال قاعدتين :

القاعدة الأولى: العدم لا يخلق شيئاً :

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً لأنه غير موجود، فإذا تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يوم من إنسان وحيوان ونبات وتفكيرنا في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وتعاقب الليل والنهار في تحرك منتظم فإن العقل يجزم بأن هذا ليس من صنع العدم، فقوانين المادة تنص على أنه لا بد لكل موجود من مُوجد.

وهذا ما لفت القرآن الكريم انتباه المخاور إليه ليخاطبهم بهذه القاعدة فقال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِقُونَ﴾ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦).

القاعدة الثانية: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع :

إإن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو صفة عند الصانع فلا يمكن أن يوجد شيء إذا كان الصانع لا يملك قدرة أو صفة مكتنثه من فعل ذلك الشيء. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَابَّةٍ إِنَّا إِلَيْتُ لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾ ﴿وَأَخْتِلَفُ الَّلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفُ الْرِّيَاحِ إِنَّا إِلَيْتُ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَائِتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ (الجاثية: ٦ - ٣).

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١).

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنَّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ (الأعراف: ١٨٥).

فالقرآن يريد أن يدفع الإنسان إلى التفكير في الكون كله بما فيه من ظواهر ومخالقات من أجل البحث عن أسراره وعن القوانين الطبيعية المودعة فيه التي تحكمه وتوجهه في حركته، فأراد من الإنسان أن يرجع إلى صفاء فطرته^(١).

كما تلاحظ أن القرآن الكريم لا يقتصر على دعوة الإنسان للتفكير في ذلك كله بل يحاول أن يطرح أمامه الخطوات الأولى في هذا السبيل ليدلله على بدايات الطريق. وهو يكثُر من ذكر الآيات الكونية لكنه ساقها في أساليب مختلفة يجمع مِرَّة الآيات السماوية إلى الآيات الأرضية في إطار واحد، وأخرى يذكر الآيات الأرضية منفردة، للتبيه على عموم الاستدلال بها لقربها من مشاهد الحس الممد للعقل بالعلم عن طريق الحواس.

فالحس هي النواخذ المادية التي يستطيع العقل أن يدرك بواسطتها - في أول خطوة نحو الحقائق الكونية - والروابط العنصرية والوسائل الطبيعية بين ذرات الموجودات على تنوع أشكالها واختلاف أنواعها فيحكم ويستبطن^(٢).

٢- الأدلة الكونية:

إن الحياة تتحرك أمام نظر الملحد بجماليها الرائع لتخاطب وجده وعقله وفكره وفي نفسه السؤال منْ خلق هذا وَمَنْ أوجده؟ يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ

(١) الإيمان للزندياني (ص: ٢٩ - ٣٢). بتصرف.

(٢) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين (ص: ٢٧٨).

النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (البقرة: ١٦٤).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبَّ وَالنَّوْتَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيَّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَانِّي تُوْفِكُونَ ﴾ ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحَ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْشُّجُونَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلَنَا الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلَنَا الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَقْهُرُونَ ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَابِكًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالرِّيَّتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرَةٍ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهَ إِنْ فِي ذَلِكُمْ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٥ - ٩٩).

ويقول تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ آسَتَوْنَ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمَّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَضِّلُ الْأَيَّتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُونَ رَبِّكُمْ تُوْقِنُونَ ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ أَنْثَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرٌ وَجَنَّتٌ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤ - ٢).

ونحن لا نقصد من خلال عرض هذه الآيات أن يستشهد بها المحاور عند حواره مع الملحدين؛ لأن الملحدين ينكرون وجود الله، وإنما فيها دلالات تعلم المحاور كيف يخاطب عقل الملحدين بحشد الآيات الكونية، وقد يثير ذلك اهتمامه فيصغي لها سمعه ويفتح لها قلبه فتخرج منه الظلمات إلى النور.

ونلاحظ أن القرآن لا يتحدث عن مظاهر الكون بالطريقة الفلسفية الجامدة ولا بالطريقة الخيالية إنما بالواقع المحسّن الذي لا يستطيع أن يخرج عن نطاق حواس أي إنسان^(١) وذلك بالطريقة العقلية.

ويكون ذلك بطرح الفكرة المعتادة إلى جانب فكرة الإيمان بالله ثم طرح الفروض المحتملة؛ فتبدأ بعملية النفي والإثبات لتكون النتيجة في مصلحة الفرض الذي يثبت أمام النقد كما ورد في قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

فهناك فروض ثلاثة:

١- أن لا يكون هناك خالق.

٢- أن يكون الخالق هو المخلوق نفسه.

٣- أن يكون الله هو الخالق^(٢).

وقد طرحت الآيات الفرضين الأولين بأسلوب إنكارى؛ لضعفهما وبطلانهما، وذلك بأن العقل والعلم والحس يرفض وجوداً من غير موجود، وأن الفرض الثاني مستحيل أيضاً؛ لأن خلق الإنسان نفسه يفرض كونه سابقاً لنفسه في الوجود فيلزم أن يكون الشيء موجوداً في حالة عدمه، وهذا تناقض ومستحيل، فلم يبق إلا الفرض الثالث وهو أن الله هو الخالق وهو الصحيح، ويثبت ذلك في قوله تعالى:

(١) القرآن والملحدون (ص: ٢١١).

(٢) الحوار في القرآن (ص: ٩٠).

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿إِنَّتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ أَخْلَقُونَ ﴾ ﴿نَحْنُ قَدْرَنَا بِيَنْكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنَشِّكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْشَّاءَ أَلْأَوَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿إِنَّتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْزَّارِعُونَ ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَّمًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ ﴿إِنَّا لَمُغَرَّمُونَ ﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ ﴾ ﴿إِنَّتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ﴿إِنَّتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ ﴿فَسَيِّحٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ٥٧ - ٧٤).

وقد استوعب هذا المنهج أئمة الإسلام، فها هو الإمام أبو حنيفة النعمان يحاور طائفة من الملحدين فيجيبهم بنفس هذا الطريق وبتلك الحجة.

فقد اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة، فقالوا: ما الدليل على وجود الصانع؟
قال: دعوني فخاطري مشغول بأمرٍ غريبٍ.
قالوا: ما هو؟

قال: بلغني أنَّ في دجلة سفينةً ملوعةً من أصناف الأمة العجيبة، وهي ذاهبةً وراجعةً من غير أحدٍ يحركها، ولا يقوم عليها!.
قالوا له: ألمجنون أنت؟!

قال: وما ذاك؟!

قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل.

قال لهم: فكيف صدقت عقولكم أنَّ هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدَّوَّار السَّيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث وتحرك هذا المتحرّكات بغير متحرك، فرجعوا على أنفسهم باللام^(١).



(١) العقل والنُّقل لابن تيمية (١٢٧/٣).

الفصل الخامس

الحوار مع منكري البعث

تعتبر قضية إنكار البعث من أهم القضايا الأساسية التي واجهها الإسلام إذ أن الناس تعودوا أن يقتصر حكمهم على المحس الملموس، وهذه نظرية قاصرة محدودة، فاستبعدوا أن يتحول الحمد إلى حياة، وأن تعاد حياة الإنسان بعد الوفاة. ومن ناحية ثانية فهم لا يريدون البعث؛ لأنهم يرفضون قضية الحساب والجزاء **﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَقْجُرَ أَمَامَهُ﴾** (القيامة: ٥).

والبشرية بما هو مرتکز في فطرتها من حب اللقاء تقاوم فكرة عدم المحس لأنها تحس بالحسنة عندما تختنق فيها بواعث الأمل باستمرار هذه الحياة، وقضية إنكار البعث والجزاء متداة في الأمم الماضية عبر القرون والعصور، وقد ذكر الله تعالى أقوال الأمم المكذبة؛ فقال تعالى: **﴿قَالُواْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَمًا أَءِنَا لَمْ بَعُثُوْنَ﴾** (الأنبياء: ٤٦) **﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** (المؤمنون: ٨٢ - ٨٣)، وقال تعالى: **﴿كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَصْحَّبُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ﴾** (النمل: ١٢) **﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْرَانٌ لُوطٌ﴾** (النمل: ١٣) **﴿وَأَصْحَّبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ نُوحٍ كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُّلَ فَحَقٌّ وَعِيدٌ﴾** (النمل: ١٤) **﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ حَلْقِ جَدِيدٍ﴾** (النمل: ١٥ - ١٦).

شبهات منكري البعث:

- ١- استبعاد إعادة الأجساد بعد تحللها، وفتت العظام.
- ٢- أن الإنسان إذا مات وفارقته الروح لا تعود إليه مرة أخرى.
- ٣- أن السباع لو أكلت إنساناً وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الأكل فكيف يمكن التفريق بينها.

والقرآن الكريم يرد على جميع المنكرين للبعث مهما اختلفت بياتهم وتنوعت أساليبهم بمنطق الحجة والبرهان، ويقيم البراهين الحسية والعقلية على المعاد، ولقد نهج القرآن في استدلاله على إمكان البعث وتحقيق وقوعه منهجاً قوياً يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بالمحسن وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة.

الطرق التي استخدمها القرآن في الاستدلال على البعث:

١- طريقة ذكر قصص السابقين:

وهم الذين رد الله عليهم أرواحهم بعد موتهم، وقد رأى ذلك من كان في زمانهم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا فَأَخَذْتُكُمُ الْصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥ - ٥٦)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَأَذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمُ الْوُفُّ حَذَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُوْمَ أَحِيَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَعَالَدِي مَرَّ عَلَى قَرِيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا تُهُ مِائَةُ اللَّهِ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لِي شَتَّ قَالَ لِي شَتُّ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لِي شَتَّ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى

الْعِظَامُ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة: ٢٥٩).

فالقرآن الكريم اتبع عدة وسائل لتصحيح هذه الفكرة وناقشها معهم.

٢- الطريقة العقلية:

وهي قياس الإعادة على البدء، ومنه قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (الروم: ٢٧).

ومنه قوله تعالى: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْكِمُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْكِمُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوْلَيَسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بِلَى وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (يس: ٧٨ - ٨٢).

فإن القدرة على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية تستلزم القدرة على ذلك في النهاية. لأن أساس الإمكان والاستحالة فيهما واحد لا يختلف ولا يتعدد.

٣- الطريقة الحسية:

وذلك بتقريب ما يستبعدهونه إلى ما يقع تحت محسوساتهم ويتكرر مشهده عليهم دائمًا قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْعَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجْلٍ مُسَمَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفَالًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَسْدَدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَى إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكِيلًا

يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ إِاتِيَّةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَعْبَثُ مَنِ فِي الْقُبُورِ ﴿٣﴾ (الحج: ٥ - ٧).

وفي هذه الآية دليلان على إمكان البعث؛ دليل في الأنفس ودليل في الآفاق، إنه نظام الحياة الذي لا يتغير، إيجاد من العدم، ثم مصير إلى العدم، ثم حياة، وهذا حال الإنسان والنبات الذي يرونـه في واقعـهم: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَلَمًا وَرُفَّتْنَا أُعْنَى لَمْ بَعُثْنَوْنَ حَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥﴾ أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً فَسَيَنْعَضُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٦﴾ (الإسراء: ٤٩ - ٥١).

وهي أنـكم مـهما تـفرقـتم وـعلى أـيةـ حـالـةـ كـنـتمـ فـالـلـهـ قـادـرـ عـلـىـ بـعـثـكـمـ وـإـعـادـتـكـمـ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

بهـذاـ المـنـطـقـ الواـضـحـ وـالـبـرهـانـ القـاطـعـ يـرـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـىـ منـكـرـ الـبعثـ ماـ يـرـاهـ، وـبـماـ يـقـعـ تـحـتـ إـدـرـاكـهـ مـنـ الـأـمـورـ.



الفصل السادس

الحوار مع المشركين

ها هو القرآن العظيم يعلمنا كيف تكون دعوة المشركين إلى ساحة الإيمان فيها هو الله عز وجل يضرب لنا الأمثال؛ فيخاطب العقول والقلوب بأكثر من طريق: فاما الأول، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَخْدُثُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلْمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ بِالخَلْقِ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَأَحْتَمَلَ الْسَّيْلُ زَبَدًا رَأْبِيًّا وَمِمَّا يُوَقِّدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْتِعَاءَ حِلْيَةً أَوْ مَتَاعًا زَبَدًا مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الْزَبَدُ فَيَذَهِبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٦، ١٧).

وفيه يشبه رب العالمين الحق بالماء؛ بما يحمل من خير وحياة، كما يشبهه بالمعدن النفيس أو المعدن المفید، ويشبه الباطل بالزبد يطفو على الماء بما يحمل من غشاء، أو بالخبث يطفو حين يدخل المعدن النفيس النار، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فماذا تكون النتيجة؟

فاما الزبد فيذهب جفاء لا قيمة له؛ كما يذهب الباطل، وأما ما ينفع الناس وهو الماء والمعدن النفيس فيمكث في الأرض كما يمكث الحق على الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال.

واما المثل الثاني ففي قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِيفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فقد صور الحق بقذيفة، يطلقها الله تعالى ليصيب بها الباطل في دماغه فتزهقه وتهلكه! وإذا كان هذا هو الصراع بين الحق والباطل ...

فإن السؤال الذي يطرح نفسه، لم يعرضون عن الحق، ويلجأون إلى الصراع؟^(١).

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ بِجَحَدِهِنَّ﴾ (الأنعام: ٣٢).

﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقَهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وهنا يرد التساؤل: إذا كانوا يعلمون الحق فلم يكتمون، فلم يجحدون؟! ونستطيع أن نتبين شيئاً من أسباب إعراض كفار مكة عن رسول الله ﷺ وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَاتِينَ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)

أي مكة والطائف، عندئذ فإنهم يريدون رجلاً ذا مواصفات دنيوية معينة.

ويرد القرآن الكريم عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢)

وتلمح شيئاً من عنادهم وتطاولهم على الله، ورغبتهم في الهلاك بشرط ألا يكون محمد ﷺ رسولاً، وذلك في سورة الأنفال ﴿وَإِذَا تُشَلِّي عَلَيْهِمْ مَّا يَأْتُنَا قَالُوا فَدَسْمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿وَإِذْ قَالُوا أَلَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢ - ٣١).

ويريدون بعد هذا رسولاً خاصاً بمواصفات الملك والعظمة الدنيوية، لكن الله تعالى له إرادة أخرى، تأمل معنى هذه الآيات الكريمة في سورة الفرقان ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الْرَّسُولِ يَأْكُلُ الْطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ

(١) أدب الحوار والمناظرة (ص: ٤٠).

مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَكْبِرُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلَّوْ فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ حَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَهَنَّمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنَهَرُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ (الفرقان: ٧ - ١١).

ثم انظر إلى كفار مكة وهم يطلبون مطالب خاصة تدخل في أحلام الصحراء كي يؤمنوا، وتحكي سورة الإسراء هذا الحوار القرآني الفريد ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَحِيلٍ وَعِنْبٍ فَتُفْجِرَ الْأَنَهَرَ خِلْلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ﴿١﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيقَكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرَئُهُ فُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٤﴾ فُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمِئِنِينَ لَنَرَكُلُنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٥﴾ فُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٦﴾ (الإسراء: ٩٠ - ٩٦).

ويحاول الكفار احتواء الدعوة الإسلامية، والتأثير عليها من خلال ترغيب النبي ﷺ أو تهديده على النحو الذي أورده كتب السيرة النبوية التي روت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً في قومه - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معاشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد ، فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها ؛ فنعطيه أيها شاء ، وي كيف عنا؟ - وذلك حين أسلم حمزة رض ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون ، فقالوا: يا أبا الوليد قم فكلمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي: إنك منا حيث علمت من

البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهـم، وكفرت به مـنْ مضـى من آباءـهم، فاسـمع منـي أعرضـ عليك أـموراً تـنظرـ فيهاـ، لـعلـكـ تـقبلـ منهاـ بعضـهاـ.

قال فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكتناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدأوى منه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: افعل.

قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرِءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ (فصلت: ٤ - ١) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو
يقرؤُها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمداً
عليهما، يستمع منه، حتى انتهي رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد
سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك!

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: خلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبو الوليد قال:
ورائي أني سمعت قوله والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر
ولا بالكهانة، يا معاشر قريش أطليعوني واجعلوه لها لي، خلوا بين الرجل وما هو فيه،

فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي قال به نبأ، فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملوككم، وعزه عزكم وكتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذارأيي فاصنعوا ما بدا لكم^(١).

هذا نموذج من الحوار يوضح لك سبب تعنتهم وغطرستهم مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث، أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأحسن بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلا وموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلوراكم بعض سفهائكم لأوّل قتيم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نخرج حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك.. ثم تفرقوا فلما أصبحوا.. خرج

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه ابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن جابر- الدر المثور للسيوطى [٦٧٢/٥]، ورواه أبو يعلي في مسنده [١٨١٨]، والبيهقي في الدلائل [٢٣١-٢٣٠/١]، وأبو نعيم في دلائل النبوة [١٨٢]، ومصنف ابن أبي شيبة [١٤/٢٩٥-٢٩٦]، وعبد بن حميد في المنتخب [١١٢٣]، والحاكم في المستدرك [٢٥٣/٢]، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظر المطالب العالية [٤٢٨٥] وقال البيهقي: رواه أبو يعلي وفيه الأجلح الكندي وثقة ابن معين وغيره، وضعفه النساءي وغيره وبقية رجاله ثقات- مجمع الزوائد [٦/١٩-٢٠]، وحسنه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية.

الأخنس بن شريق حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته، فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعمنا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفريسي رهان، قالوا منانبي يأتيه الوحي من السماء، فمتي ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه! فقام عنه الأخنس وتركه^(١).



(١) سيرة ابن هشام (ص: ٦٣)، وهذا مرسل، ابن شهاب من صغار التابعين ولم يلق أبا سفيان.

الفصل السابع

الحوار مع المنافقين

إن أخطر نوع من الناس الذين واجهمهم الإسلام هم ذلك النوع الذي لم يظهر في بداية الدعوة إذ لم تكن ثمة حاجة إلى ظهوره منذ البداية، حيث الكفر يمارس نشاطه من مركز قوة لا يخشى شيئاً. لذلك نجد الكافرين يصرحون بکفرهم ويحاربون رسول الله ﷺ وصحابته بكل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية دون جل حتى إذا انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة وقويت شوكة الإسلام وتبدلت الصورة؛ بدأ الكفار بالحرب الخفية، وهي النفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر.

والنفاق من الناحية النفسية يعتبر نتيجة لضعف النفس وعدم قدرتها على التصرّح بمعتقداتها، فالنفوس إذا كانت قوية تصرّح بمعتقداتها مهما ترتب على ذلك من نتائج؛ لأن النفاق يورثها عذاباً في النفس ووخزاً في الضمير يهون احتمال عذاب البدن دون احتماله، أما النفوس الضعيفة فإنها عندما تواجه معتقداً قوياً يخالف معتقداتها، وهو يملّك الهيمنة عليها لا تصرّح بمعتقداتها بل تضعف أمام تلك القوة المهيمنة عليها، وتحاول أن تسلك طريقاً يؤمن لها سبيلاً الحياة في ظلل تلك القوة المهيمنة عليها، وإن كان ذلك يؤدي إلى تغطية معتقداتها.

وكلما زادت قوة الدولة المهيمنة عليها وتكررت انتصاراتها زاد ضعف تلك النفوس الضعيفة واشتد هلعها، وقد يوجد النفاق من يملّك قوة وهيمنة على المسلمين؛ فيظهر لهم الإسلام نفّاقاً ليحتفظ بمركزه بينهم. ومع ذلك فإن هذا لا يخرج النفاق عن كونه ضعفاً في النفس لأن صاحب النفس القوية لا يرضى لنفسه أن يقيم حكمه على مداهنة من يختلفون معه في العقيدة^(١).

وللمنافقين أهداف تحملوا من أجلها هذه المخاطر وأخفوا معتقدهم الحقيقي، ومن أهم هذه الأهداف:

(١) المنافقون في القرآن الكريم (ص: ١٩).

- ١- الحصول على المصالح المادية: وذلك أن المسلم في دولة الإسلام له الحرية التامة في التصرف في أمواله في حدود تعاليم الشريعة، كما أن له حقوقاً مشروعة في بيت مال المسلمين تضمن له عيشاً كريماً. وإذا كان من أهل الكفاءة فإنه يستطيع أن يصل إلى عمل في الدولة يتقاضى به أجراً من بيت المال وإذا اشترك في الجهاد كان له حظ من الغنائم، فالمافقون يطمعون في هذه المصالح التي تفوّتهم إذا أظهروا كفرهم.
 - ٢- الحصول على الجاه والشرف: وذلك أن المسلم في دار الإسلام إذا كان متميزاً فإنه يتبوأ المنزلة العالية لدى ولاة الأمر، وهذا الأمر مرغوب فيه، وتشهيه بعض النفوس الضعيفة، كما تشهي المال وأكثر، فإذا ما أظهر المافقون التقوى والورع حصلوا على ما يريدون من هذا الأمر.
 - ٣- اتخاذ النفاق وسيلة للوصول إلى مراكز الحكم والقيادة: إما تلبية لنداء شهوة الرئاسة التي تسيطر على بعض الناس، وإما للتوصل بذلك إلى تنفيذ خططاتهم الخبيثة وأهدافهم الدينية إذا كانوا من أصحاب المبادئ الهدامة، وبغير النفاق لا يستطيعون الوصول إلى ذلك ماداموا في دار الإسلام؛ لأن المسلمين مهما كانت درجة إيمانهم سيكتشفون أمرهم ويخاربونهم.
 - ٤- وقاية لأنفسهم وأموالهم: وذلك لأن الإسلام يعصم الدماء والأموال، والمنافقون من الكفار إذا أظهروا كفرهم عاملهم المؤمنون معاملة الكفار والمرتدين.
 - ٥- اتخاذ النفاق وسيلة لحرب الإسلام وال المسلمين: وذلك بنشر الرذائل في المجتمع الإسلامي، ومحاولة تسييس المؤمنين عن التمسك بدينهم والجهاد في سبيله وتشكيك ضعفاء الإيمان منهم بمعتقداتهم، والتجسس على دولة الإسلام لصالح أعدائهم، وهم بهذا يجمعون بين محاربة المؤمنين وكسب رضا أعدائهم، والتقارب إليهم.
- إن الخطاب مع المنافقين له شكل خاص يميزه، وهو المبدأ الذي طلب الحق تبارك وتعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يتعامل معهم على أساسه؛ حيث قال: ﴿ يَأَيُّهَا أَيُّهَا الْبَرِّيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُولَئِنَّمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (التحريم: ٩).

وهو تعامل تبدو عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد^(١). والمنافق كما قال عنه الحسن رض : (المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئاً إلا ركبه). وقال أيضاً : (من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج)^(٢).

ولذلك نجد أن القرآن قد أكد على جهادهم ونبذهم من المجتمع شأنهم شأن الكافرين لأن خطتهم عظيم، وهم يخافون الجihad والقتال، ولا يشاركون فيه.

يقول تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقَبْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنُكُمْ هُمْ لِلْكُفَّرِ يَوْمَدِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٦٧).

ويبين الله تعالى فرحة هم بمحاسبيهم الدنيوية ونظرتهم القاصرة : ﴿ فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتُلُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَقِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبه : ٨١).

ونلاحظ الغلطة في الرد عليهم، وبيان عدم فقههم ومعرفتهم : ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةً أَنَّ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهُوا مَعَ رَسُولِهِ أَسْتَعِذَنَكَ أُولُو الْأَطْقُولِ مِنْهُمْ وَقَاتُلُوا ذُرِّنَا نَكُنْ مَعَ الْقَعْدِينَ ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبه : ٨٦، ٨٧). وقد تبدو من بعضهم رغبة في الخروج مع المجاهدين للحصول على المغانم، ولكن يأتي العقاب من الله تعالى بالحرمان الكلي من الذهاب لأن خروجهم فيه ضرر على صفوف المسلمين من ناحية، ولأن المسلمين صاحب

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص : ٤١٩).

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين (ص : ٨٩ - ٩٠).

عقيدة صحيحة ومبدأ ثابت من ناحية أخرى، أما الذبذبة فهي من صفات المنافقين الذين يرفضون الخروج ثم يرثبون فيه أو يغيرون آراءهم حسب مصالحهم الدينية^(١) :

﴿فَإِنْ رَجَعْكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَلَنْ تُقْتَلُوا مَعِي عَدُوًا إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِفِينَ﴾ (التوبه: ٨٣). وهم يتحلون بالأعذار، ويظهرون الرغبة في التوبة ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْرَ لَنَا﴾ ولكن الله تعالى فضحهم ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتِّهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ويواجههم بالحقيقة التي يتجاهلونها ﴿فَلَمْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ ويقرر الحقيقة العظمى التي تضاد النفاق المبني على الخفاء فيقول: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (الفتح: ١١).

أسلوب الحوار مع المنافقين:

والقرآن الكريم في حواره مع المنافقين اتبع عدة أساليب منها:

أولاً: أسلوب التوبية والتخييف:

فهذه الآيات تصرح بتوبتهم ﴿بَلْ ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبِّيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (الفتح: ١٢).

ينتقل الخطاب إلى زيادة في التوبية باستخدام التخييف من الله تعالى والتذكير بأن من يفعل ذلك ثم فهو من الكافرين ومصيره النار باستخدام أحد اسمائها ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (الفتح: ١٣).

(١) الحوار في القرآن (ص: ١٠١).

ثانياً: الأسلوب العقلي:

ثم يأتي دور العقل فلو كانت عندهم عقول يفكرون بها ما وصلوا إلى هذه الحالة. فيقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفتح: ١٤). فمن كان يحكمه ملك الملوك كيف تسول له نفسه معصيته؟ وبين الله تعالى أنهم بجهلهم يظنون أن في قدرتهم معاندة الله والخروج عن أمره وتحدي إرادته ولكن السبب دائمًا أنهم لا يفقهون كما وصفهم الله بذلك بقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخْلَفُونَ إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَبَعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح: ١٥).

ثالثاً: أسلوب فضح الصفات:

والآيات تفضح صفات المنافقين، ولكتها فضيحة مقرونة بالذكير وليس مجردة، فمن صفاتهم:

١- الشك في وعد الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْهَلُ يَشْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوْا وَبِسْتَعِذْنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَنَّبَيَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّلُوا أَلْفِتَنَةً لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّشُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرَا ﴿٢﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ أَلْدَبَرَ وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا ﴿٣﴾ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ١٢ - ١٧).

٢- والبخل على الإسلام وال المسلمين: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَرَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْهُمُونَ ﴾ (المنافقون: ٧).

وهكذا نلاحظ دائمًا أن المنافقين ينسون حقيقة هامة، وهي أن الأمر كله لله وأن مقايد السماوات والأرض بيده سبحانه، وأنه المعطي المانع المحبي الميت المذل، ولذلك نجد الآيات تتجه إلى تذكيرهم بهذه الحقائق، ﴿ يَقُولُونَ لِئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ أَعْزَزَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨).

٣- المعصية والإعراض عن حكم الله إلا إذا كان في مصلحتهم: ﴿ وَيَقُولُونَ إَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطْعَنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكَّمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعَنِينَ ﴾ (النور: ٤٧ - ٤٩).

ثم يقرر الله تعالى بعد إخراجهم من الإيمان أن مشكلتهم الحقيقة أن قلوبهم مريضة فيقول: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور: ٥٠).

٤- الخوف من الموت والحرص على المصالح الدينية: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيَّدِيْكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِاتُوا أَزْكَوْةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَحْشِيَّةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشِيَّةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَعَذُّ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتَيَّلَا ﴾ (النساء: ٧٧).

وتأتي الحقيقة التي يفر منها المنافقون ليقررها رب العزة والجلال ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُذْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨).

رابعاً: استخدام الأسلوب الواضح في بيان مصيرهم:

هذا هو أسلوب القرآن في بيان مصير المنافقين، وحقيقة حالهم في الآخرة، عسى أن يوقظ هذا الأسلوب تلك المشاعر، وعسى أن تجد هذه الكلمات صدى في نفوسهم.

فإن كانت المصالح الدنيوية قد طغت على عقولهم فأعمت أبصارهم فأين هم يوم القيمة ما كانوا يتظاهرون به؟.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا نَقْتَسِّ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَإِنَّمَسْوًا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بَسُورٌ لَّهُ بَابٌ بَأَطْنَهُ فِيهِ الْرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿٢١﴾ يُنَادِونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّتُمْ أَنفُسَكُمْ وَرَبَّصْتُمْ وَأَرْتَبَتُمْ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٢٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَكُمْ أَنَّارٌ هِيَ مَوْلَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. (الحديد: ١٣ - ١٥).

وهكذا نرى منهج القرآن في الحوار مع المنافقين هو المواجهة والتصريح بالعقاب والتخويف والذكير بآيات الله وقدرة الله وعظمته، وفضح صفاتهم ومواجهتهم بها والتذكير باليوم الآخر وما سيؤولون إليه.



الفصل الثامن

حوار المؤمنين في القرآن الكريم

خاطب الله تعالى جميع الفئات وأصلاح جميع النسيمات ودعا الكل بأساليب مختلفة كُلٌّ على قدر إيمانه وعلى حسب نفسيته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ﴾ (الملك: ١٤). وقد استعرضنا فيما سبق تاريخ الحوار مع المشركين والملحدين ومنكري البعث والمنافقين، أما هنا فسوف نعرض طريقة القرآن الكريم في خطاب الفتاة التي استجابت لربها ونفذت تعاليمه، واتخذت قيمه منهاجاً وسلوكاً.

إنها فتاة قليلة ولكنها جديرة بالعناية والاهتمام، إذ هذه الفتاة هي التي تحمل المشعل لتضيء لغيرها، وهي التي تنقل أحكام الله تعالى إلى الناس أجمعين ولذلك نلاحظ أن خطاب الله تعالى لهذه المجموعة خطاب توجيه لكيفية تعاملهم مع غيرهم. وهم أصحاب منهج ورسالة واضحة. قال تعالى: ﴿فَلِذِلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِمَّا أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥). كما نلاحظ حوار المؤمنين مع غيرهم من المدعوبين.

سمات حوار المؤمنين:

إن القرآن الكريم قد رسم للداعية إلى الله صور وأشكال الحوار التي يتبعها في دعوته لأصحاب الملل الأخرى ومنها:

١- بيان مواطن اتفاق المؤمنين مع غيرهم من اليهود والنصارى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَتَّدُوا قُلْ بَلْ مِلَّ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴽ١٦٢﴾ قُولُوا إِمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾ فَإِنَّمَا أَمْنَوْا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَّكُفِّيْكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ (البقرة: ١٣٥ - ١٣٧).

فالقضية قضية دعوة بالحسنى وليس دعوة إجبارية فإن استمعوا فقد انتفعوا وإنما الله ولهم المؤمنين، وهذا يشعر الداعية بالأمان لسماع الله تعالى وعلمه بما يدور.

٢- الحرص على إسماع غيرهم آيات الله:

سماع القرآن الكريم له تأثير عجيب على الناس كافة، وعلى النصارى بشكل خاص، وقد تواترت الأخبار بسماع الكفار للقرآن وبدا أثره واضحًا على أكثرهم، فهذا عمر بن الخطاب رض وهذا سعد بن زُرارة رض وغيرهم كثير، كان سبب إيمانهم سمع هذه الآيات التي لامست شغاف القلوب فلم يستطع لها ردًا، ولذلك يلفت القرآن انتباه المؤمنين إلى استخدام هذا الأسلوب في دعوة النصارى.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَلِيُّهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُّهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمَعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكَتُبْنَا مَعَ الشَّهَدِينَ ﴿٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا حَانَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الْأَصْلَحِينَ ﴿٩﴾ فَأَتَبْهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا آَنَهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ (المائدة: ٨٢ - ٨٥).

٣- الجدال والتي هي أحسن:

يضطر المؤمنون أحياناً إلى الدخول في مناظرات مع أهل الكتاب لإثبات ما يدعون إليه وإنكار ما يدعوه غيرهم وعلى المؤمن أن يكون منهجه في الحوار واضحًا وأن يؤكّد الاتّفاق على المبادئ، فالإله واحد، والشّرائع المنزّلة من عند الله واحدة، وعلى هذين المبدأين ينبغي أن يكون النقاش فإذا حصل الظلم والتّعدى جاءت نهاية النقاش فكل له دينه قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا إِنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ لَكُمْ وَمَنْ يُنْهَى فَإِنَّمَا يُنْهَى عَنِ الْمُنْهَى وَمَا يَنْهَا إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْمُنْهَى وَمَا يُنْهَى إِلَّا إِلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

٤- إظهار حرص الداعية على مصلحة من يدعوه:

إن إحساس الآخرين بمحبة الداعي وحرصه عليهم له أثر عجيب في كسب القلوب، خصوصاً إذا بَيَّنَ ذلك وقرنه بالعلم ووضوح مصير الأمم السابقة وعرفهم بالله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصْبِكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ يَقُولُ لَكُمْ أَمْلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (غافر: ٢٨ - ٢٩).

إن هذه التساؤلات وهذه الحيادية في السّماع تتيح أكبر الفرص لسماع دعوة الله لولا دعوة الفتنة الذين يعملون أيضاً: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ

وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُولُ مِنْ أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْحِزَابِ ﴿٢﴾ مِثْلُ دَأْبِ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣﴾ وَيَقُولُ مِنْ أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْتَّنَادِ ﴿٤﴾ يَوْمَ تُوَلَّوْنَ مُدَبِّرِيْنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴿٥﴾

(غافر: ٢٩ - ٣٣).

٥- عدم اليأس في طريق الدعوة:

وعند صدق الإيمان ينتفي الإحساس بالخوف، عجيب سحر هذا الإيمان إنه كالشراة التي تشعل ما حولها؛ إنه كالشعلة التي تضيء الكون. قد ندعوا الناس ولكن نخاف من سلطانهم ومن كثرة عنادهم ومكانتهم العلمية أو الاجتماعية، ولكن كتاب الله يُسقِطُ كل هذه الصروح؛ ليبين أن لحظة الهدایة ليس لها معيار محدد، فهو لاء هم سحرة فرعون جاءوا بعلمهم وعملهم ليتحذّروا موسى؛ فماذا كانت النتيجة؟

﴿فَجَمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجَمَّعُونَ ﴿١﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفَرْعَوْنَ إِنَّنَا لَأَجْرَأَنَا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٥﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٦﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٨﴾ قَالُوا

ءَامَنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِمَّا تُمْلِئُ لَهُ قَبْلَ أَنْ إَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ أَلَّذِي عَلِمْتُمُ الْسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ وَلَا صَبَّيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّا نَطَّمْعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا حَطَبَنَا أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ (الشعراء : ٣٨ - ٥١).

إنه اليقين بالله والإيمان الذي لا مس شغاف القلوب؛ فسقطت هيبة فرعون الزائفة أمام إجلال الله وعزته الله؛ فصدعوا بالحق، ووثقوا في الله، ورجوا مغفرته ورحمته.

٦- الاعتراف بفضل الله تعالى:

قد تختلط المفاهيم على البعض، ويظنون أنفسهم في أعلى الدرجات قرباً من الله تعالى لمجرد التزامهم ببعض الأمور الشرعية، ويشعر الإنسان بفضله على غيره وأنه أسدى معروفاً لله تعالى، وفي الحقيقة أن الله هو صاحب الفضل والمنة أن هدانا لهذا وما كنا لننهدي لو لا أن هدانا الله، وبيان حقيقة الإيمان ويحث النفس على الالتزام بهذه الصفات؛ حتى يصل الإنسان حقاً لأعلى الدرجات.

﴿قَالَتِ الْأَغْرَابُ إِمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ إِلَيْمَنْ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتُكُمْ مِّنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَلَّذِينَ إِمَّا نُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْصَّادِقُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلَيْمٌ ﴿١﴾ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَنَكُمْ لِلْأَيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ (الحجرات: ١٤ - ١٨).

٧- عرض الأدلة لزيادة الإيمان:

كثير من الناس عندما يطّالب بالدليل يتهمه البعض بضعف الإيمان وأنه لا ضرورة لذلك، فهذا إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل ومع ذلك طلب رؤية كيفية الخلق ليس للإيمان ولكن للاطمئنان ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ ثُخِيَ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الظَّرِيرَ فَصُرْهُنَّ إِلَيَّكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزَءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَبَّانِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وقد يحتاج المؤمن في وقت من الأوقات للأدلة وبيان الحكم في بعض الأمور حتى يصل إلى الطمأنينة وزيادة الإيمان.

٨- المؤمن يبشر إخوانه المؤمنين برحمة الله:

إن الكلمات التي يخاطب بها الدعاة إخوانهم كلمات كلها خير وبركة ورحمة، والحديث مع المؤمنين ليس كالحديث مع غيرهم؛ إنه حديث يتقاطر منه الحب وتفتح فيه آفاق السلام والود والخطأ عندهم غير مقصود ويتبعة دائمًا الإصلاح.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَأْتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٤).

٩- الدعوة للاحتكام إلى الله:

فليس لهم خيرٌ إذا قضى الله ورسوله أمرًا؛ لأنهم عرفوا معنى الألوهية ومعنى العبودية ففازوا وأفلحوا. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحُكُّمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَانِزُونَ﴾ (النور: ٥١، ٥٢).

والمؤمنون طيّعون التسليم والطاعة، وإن أخطأوا فعن جهل، وباب التوبة مفتوح لهم، وهم دعاء ولا يتحدون إلا بخير، ويجادلون بالتي هي أحسن، ويذكرون الناس، ولا ييأسون مهما كانت نوعية من يخاطبون. وخطاب القرآن الكريم لهم خطابٌ رقيق ليس فيه تعنيف ولا توبیخ؛ بل فيه قبول وتبشير بالفوز، ووعد بالفلاح.



الباب الثالث

الحوار مع النفس والحوار مع الآخر

- الفصل الأول: الحوار مع النفس.
 - أولاً: الحوار بمحاسبة النفس.
 - ثانياً: الحوار بالتدبر والتفكير والتعقل والتأمل.
- الفصل الثاني: الحوار مع الآخر .
 - أولاً: المعاشرة.
 - ثانياً: الحوار مع أهل الكتاب.

الفصل الأول

الحوار مع النفس

الحوار مع النفس ينشأ داخلها لتصحيح مسارها، وإقامة اعوجاجها، وذلك بالمراجعة والمحاسبة، أو بالتأمل، والتذكرة، والتدبر، الذي يعيد المسلم إلى استجمام خواطره ليستقيم على الجادة.

أولاً: محاسبة النفس

من لوازم الحوار مع النفس محاسبتها، ومناقشتها، ومداومة سؤالها. قال الحسن رضي الله عنه: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيمة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفاجئه الشيء، ويعجبه فيقول: والله إني لأشتريك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من حيلة إليك، هيئات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن، وحال بين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله.

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنِي صاحبة كذا، ألسنِي صاحبة كذا، ثم ذمها، ثم خطمتها، ثم ألمتها كتاب الله عز وجل فكان لها قائدأ. فحق على المؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها قال الله تعالى **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾**

مِنْ خَيْرٍ مُّخْضَرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدًا بَعِيدًا
وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿آل عمران: ٣٠﴾.

محاسبة النفس قبل العمل، وبعد:

محاسبة النفس قبل العمل:

وتكون بوقوف صاحبها عند أول همه وإرادته، فلا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح بعضهم هذا فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد وقف أولاً ونظر هل ذلك العمل مقدور عليه، أو غير مقدور عليه ولا مستطاع، فإن لم يكن مقدوراً عليه لم يقدم عليه، وإن كان مقدوراً عليه وقف وقفه أخرى ونظر، هل فعله خير من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفه الثالثة هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم وإن أفضى به مطلوبه لثلا تعتاد النفس الشرك ويختفف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخفف عليها ذلك يقل عليها العمل حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفه أخرى ونظر هل هو مُعَانٌ عليه وله أعون يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعون أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن jihad بمكة حتى صارت له شوكة وأنصار، وإن وجده معاناً عليه فليقدم عليه فإنه منصور بإذن الله ولا يفوت النجاح إلا منْ فُوتَ خصلة من هذه

الحصول وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح ، فهذه أربعة مقامات يحتاج العبد إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل.

محاسبة النفس بعد العمل:

وهي ثلاثة أنواع :

الأول : محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي ، وحق الله في الطاعة ستة أمور : الإخلاص في العمل ، والنصيحة لله فيه ، ومتابعة الرسول ﷺ ، وشهود مشهد الإحسان ، وشهود منة الله ، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه هل وَفِي هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني : محاسبتها على عمل تركه خيراً من فعله.

الثالث : محاسبتها على أمر مباح لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ أم أراد به متابعاً زائلاً؟

وترك المحاسبة والاسترسال مع النفس يؤول به إلى الهلاك وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة ، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواجهة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألف والمعتاد.

وجماع ذلك : أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض فإن تذكر نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح ، ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ، ثم يحاسب نفسه على الغفلة فإن كان قد غفل عما خُلِقَ له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى ، ثم يحاسبها على ما تكلم به أوْ مَشَّتْهُ رجلاه أو بطشت يداه أو سمعت أذناه ماذا أرادت بهذا؟

الحوار في الإسلام

ولم فَعَلْتُهُ وَعَلَى أَيِّ وَجْهٍ فَعَلَتْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيَسْتَأْلِمُ الظَّالِمُونَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٨). قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فَلَنَقُصَّنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَابِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٦، ٧).

فَإِذَا سُئِلَ الصَّادِقُونَ وَحُسْبَوْا عَلَى صِدْقِهِمْ فَمَا الظُّنُونُ بِالْكَاذِبِينَ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (التكاثر: ٨).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرَ الطَّبَرِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ تَعَالَى ثُمَّ لِي سَأَلُنَّكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا: مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ؟ وَمَنْ أَيْنَ وَصَلَّتُمْ إِلَيْهِ؟ وَفِيمَا أَصْبَمْتُمُوهُ؟ وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ؟

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ عَبْدٍ عَمَّا اسْتَوْدَعَهُ مِنْ نِعْمَةٍ وَحَقَّهُ.

وَالنَّعِيمُ الْمُسْتَوْلُ عَنْهُ نُوْعَانُ: نُوْعٌ أَخْدَى مِنْحَةٍ وَصُرْفٌ فِي حَقِّهِ فَيُسْأَلُ عَنْ شُكْرِهِ، وَنُوْعٌ أَخْدَى بِغَيْرِ مِنْحَةٍ وَصُرْفٌ فِي غَيْرِ حَقِّهِ فَيُسْأَلُ عَنْ مِسْتَخْرَجِهِ وَمِصْرَفِهِ.

فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مَسْؤُلًا مَحَاسِبًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقَلْبِهِ كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ وَأَبْصَرَ وَأَفْوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا ﴾ (الإِسْرَاء: ٣٦). فَهُوَ حَقِيقَةٌ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُنَاقِشَ الْحِسَابَ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وجُوبِ مَحَاسِبَةِ النَّفْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا

أَتَقْرَبُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِعَدِّ ﴾ (الْحُسْنَ: ١٨).

يَقُولُ تَعَالَى: لِيَنْظُرَ أَحْدَكُمْ مَا قَدَّمَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَمِنَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي تَنْجِيهُ، أَمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي تُؤْيِدُهُ؟

قال قتادة: مازال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كفداً.
والمقصود: أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها، والاسترسال
معها.

فوائد محاسبة النفس:

١- الاطلاع على عيوبها: ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يكن إزالته، فإذا
اطلع على عيوبها، مقتتها في ذات الله تعالى.

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عنه قال: «لا يفقه الرجل كل الفقه
حتى يقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً».

قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رائحة ما قدر أحد أن يجلس إلىَّ.

قال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع
الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أوقاته كان مغروراً، ومن نظر إليها
باستحسانٍ شيءٌ منها فقد أهلكها.

وعن عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - عن قول الله
عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٣٢) فقالت:
يا بُنْيَيَّ، هؤلاء في الجنة أما السابق فمَنْ مَضَى على عهد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهد له
رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة والرزق، وأما المقتضى فمن اتَّبع أثره من أصحابه حتى لحق به،
وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك. فجعلت نفسها معنا^(١).

(١) الأثر أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه،
وانظر الدر المنشور للسيوطى (٤٧٢/٥) وهو في الطبراني في الأوسط (٦٠٩٤)، وانظر مجمع
البحرين (٣٣٧٥).

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن رجلاً منبني إسرائيل تعبد ستين سنة في طلب حاجة فلم يظفر بها، فقال في نفسه والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك، فأتي في منامه فقيل له: أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة فإنه خير من عبادتك تلك السنين.

فالنفس داعية إلى المهالك معينة للأعداء طامحة إلى كل قبيح متّعة لكل سوء فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة.

ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف ما يدنو بالعمل.

٢- أن يعرف العبد حق الله تعالى عليه: ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي، وهي قليلة المنفعة.

وأفع ما للقلب: النظر في حق الله على العباد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه والإذراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يُطاع ولا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكّر فلا يُكفر. فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه علم يقيناً أنه غير مؤد له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك.

فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالى وبنفسهم، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم، وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته.

وإذا تأمّلت حال أكثر الناس وجدتهم بصدّ ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم، ومن هنا انقطعوا عن الله وحُجّبَت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه.



ثانياً: الحوار مع النفس بالتدبر والتذكرة

إن الذي يتدبّر آيات الذكر الحكيم يجد فيها الحث على الاستزادة من العلم: ﴿ وَقُلْ رَبِّ رِذْنِي عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤).

وعلى التأمل والبحث والنظر في ملوكوت الله: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١). ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية: ٢٠، ١٧).

وعلى التفكير والتدبر: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٩). ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (الروم: ٨). ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢). ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

وتحث على التذكرة والتبصر: ﴿ وَبَيْنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢١). ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد: ١٩). ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ١٧). ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩). ﴿ وَلَقَدْ عِلْمَتُمُ الْئَشَاءَ الْأَوَّلَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٢).

كما يجد دعوةً إلى التعقل واستنارة البصيرة: ﴿ كَذَلِكَ يُحِيِّ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٣). ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٨). ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤). ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَا》 (الحج: ٤٦). 《وَلَهُ أَخْتِلَفَ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ》 (المؤمنون: ٨٠). كَذَلِكَ 《نُفَصِّلُ الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ》 (الروم: ٢٨). 《إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرِيَّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ》 (الزخرف: ٣) ^(١).

ولا يخفى علينا أن الدعوات القرآنية لا يقوم بواجهها وحقها إلا أولو الألباب (الذين ورد ذكرهم في ست عشرة آيةٌ قرآنيةً) الذين يتأملون في الكون، ويلتمسون العبرة، ويحسنون التدبر في آيات الله، ويقودهم هذا إلى أداء العبادة الصحيحة، والقنوت لله تعالى، والخذر منه، ورجاء رحمته ^(٢).

وهذه المعاني المتقدمة نقرأها عندما نطالع بعض هذه الموضع في قوله تعالى: 《وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَّةٌ يَأْوِي إِلَيْهِ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ》 (البقرة: ١٧٩). 《وَتَّقُونِ يَأْوِي إِلَيْهِ الْأَلْبَبُ》 (البقرة: ١٩٧). 《وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَبُ》 (آل عمران: ٧). 《إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَبُ》 (الرعد: ١٩). 《وَلَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلَيَذَكِّرُ أُولُو الْأَلْبَبُ》 (إبراهيم: ٥٢). 《لِيَدَبَّرُوا مَا يَتَّهِي وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَبُ》 (ص: ٢٩). 《أَمَّنْ هُوَ قَنِيتْ إِنَاءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَاءِمًا يَحْدُرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَبُ》 (الزمر: ٩).

(١) الآيات التي ورد فيها ذكر (العقل) في القرآن الكريم هي تسع وأربعون آية؛ تدعو جميعها إلى إعمال العقل في جنبات الكون، ولذا نلاحظ ارتباطها بكلمة (آية) و (آيات) في ثلاث عشرة آية في مثل 《فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الْرِّيَاحِ إِنَّمَا يَقُولُونَ يَعْقِلُونَ》 (الجاثية: ٥) وهذا أمر له دلالته؛ فآيات الله في كونه وفي قرآنه تستنفر العقل الواعي لكي يدرك عظمة الله وإعجازه وإبداعه في هذه الآية.

(٢) الإسلام والبعث الحضاري (ص: ١٤٥).

وتؤكدأً لدعوة أولي الألباب إلى التأمل والتعرف إلى جلال الله وعظمته، وبديع صنعه وحكم آياته، فإننا نجد أن القرآن الكريم لا يدع موطناً في الكون دون أن يطوف بالإنسان خالله، ويستثير فيه النظرة التأملية، ويلفت أصحاب العقول الراجحة إلى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون ﴿سُرِّيهِمْ إِاَيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، وإعادة النظر في ظواهر الكون والبحث عن حكمها وتصارييفها يُظهرُ لنا حقائق نورانية، ويفتح عين البصيرة، ونرداد من الله هداية ويقيناً، وسبيل ذلك بآيات الإدراك. واستخدام الحواس استخداماً وظيفياً صحيحاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨). ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٨). ﴿يُقْلِبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَا يُؤْلِي إِلَيْكُمْ الْأَبْصَرِ﴾ (النور: ٤٤).

مواضع آيات التدبر في القرآن التي تتحدث عن أولي الألباب:

- في سورة البقرة ثلاث آيات مختلفة السياق والموضوع هي:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأْوِي إِلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).
 ﴿وَتَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزْدِ الْتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَأْوِي إِلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٧).
 ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

- وفي سورة آل عمران آياتان: الأولى تتحدث عن عصمة الفكر من البحث فيما وراء المادة، لأن هذا النوع من البحث يقوم على التخمين والتوهם. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ إِاَيَّتُ تُحَكَّمَتْ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِّهَتْ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَبَّهَ

مِنْهُ أَبْتَغِيَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتَغِيَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُ سِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِيمَانًا بِهِ، كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَبِ》 (آل عمران: ٧).

والأخرى تطلق العنان للفكر كي يبحث ويستنتاج في المادة وأسرارها وقوانينها؛ وقيام الله عليها، وإحكامه لوجودها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الَّلَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَبِ ﴾^١ الَّذِينَ يَذَكُّرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

٣- وأما في سورة المائدة فنجد تمييزاً لأصناف الناس، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالظَّيْمُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْوِلِي الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ١٠٠).

٤- وفي سورة يوسف بيان بأهمية القصص القرآني: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبَرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (يوسف: ١١١).

٥- وفي سورة الرعد مفصل عن الخليل النبيلة التي يستجمعها أولو الألباب، وتضبط مسالكهم كلها قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَبِ ﴾^٢ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيَثَاقَ﴾ (الرعد: ١٩، ٢٠).

٦- وفي ختام سورة إبراهيم (الموضع التاسع) نجد وصفاً للصراع بين الحق والباطل والآثار القريبة والبعيدة لهذا الصراع، سواء في دنيا الناس أو في الآخرة مع رب العالمين.

وقد ختمت السورة بهذه الآية: ﴿هَذَا يَكُنُ لِلنَّاسِ وَلَيَنْدَرُوا بِهِ وَلَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ وَلَيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَاب﴾ (إبراهيم: ٥٢).

٧- وفي سورة (ص) نجد الموضعين العاشر والحادي عشر لأولي الألباب. في الموضع الأول يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لَيَدَبَّرُوا إِلَيْتِهِ وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَاب﴾ (ص: ٢٩).

القرآن غزير بالمعاني، مفعّم بالحقائق، بيد أن الطريق لاستبانته هذا كله هو إمعان النظر، وتعقيم البصر، وطرق الأبواب دون يأس، فإن حُسْنَ الفهم عطاءً أعلى قبل أن يكون كد الذهن وطول التلاوة.

أما الموضع الآخر في سورة (ص)، فنجد في قصة أیوب السَّلِيلُ الذي أُلْحِتَ عليه الأوجاع، فانحصر داخل عبوديته يتالم ويؤمل، يتحمل ويرجو، حتى تَأْدَنَ اللَّهُ بالفرج، وجاءت العافية المنتظرة: ﴿وَهَبَنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَنَا لِأُولَى الْأَلْبَاب﴾ وَحْدَهُ يَدِكَ ضِعْثَانَ فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ أَعْبُدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾ (ص: ٤٣، ٤٤).

٨- وفي سورة الزمر ثلاث مواضع:

في الموضع الأول حديث عن القائمين بالليل، هناك رجال في أعصابهم مدخر من نشاط لا يستنفده شبح النهار الطويل، فهم يبقون مع إدبار النهار وإقبال الليل قادرين على العمل، فماذا يعملون؟. يميتون الليل بالغفلة؟ أم يجعلونه أحمر بالعصيان، إنهم يضيئون جوانبه بالعبادة والتهجد مقتدين بإمام العابدين. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِنَّهُمْ أَلَّيلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْدُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا

رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ》 (الزمر: ٩).

ففي أول الآية ذكر لإيقاظ الخاشعين وطوى ذكر النيام الذين لا يرجون ولا يحذرون! كأنهم أقل من أن يذكروا في هذه المفاضلة، وهم بداهة لا يحسبون من أولي الألباب.

وفي الموضع الثاني من سورة الزمر نرى معالم للشخصية المسلمة التي تشد الأكمل والأجمل في كل ما يعرض عليها، إنها توازن بين المبادئ، والمذاهب، وتأثير الأحسن باستمرار.

من الناس من تراه صريح عقدة ثابتة في دمه، ومنهم من تراه سائب القيادة بمحرره تيار هنا وتيار هناك، أما أولو الألباب في هذا الموضع فهو أهؤم الغالب مع الأشرف والأفضل^(١).

قال تعالى: 《فَبَشِّرْ عِبَادِ 》 الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ》 (الزمر: ١٧، ١٨).

والموقع الأخير لكلمة «أولي الألباب» في سورة الزمر يتناول مصدراً من مصادر الإيمان الحق، وكيف يبني هذا الإيمان على التفكير الوعي؟

قال تعالى: 《أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ رَزْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْيِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ》 (الزمر: ٢١).

إن أولي الألباب هم الذين يعرفون الله، ويسبحون بحمده، أما الجهال وأنصار العلماء ومرضى القلوب فهم الذين يتمتعون وياكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.

(١) علل وأدوية (ص: ٦٠).

٩- وفي سورة غافر الموضع الخامس عشر: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنَىٰ إِسْرَأِيلَ الْكِتَابَ هُدَىٰ وَذِكْرٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (غافر: ٥٣).

١٠- أما آخر موضع في القرآن ذُكر فيه أولو الألباب فهو في سورة الطلاق قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْوِلِي الْأَلْبَابَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتَّلُّو عَلَيْكُمْ ءَابِيَتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الْأَصْلِحَاتِ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى الْفُورٍ ﴾ (الطلاق: ١١، ١٠). وهكذا فإن الحوار مع النفس بالتأمل والتدبر يمكن أن يرتقي بالمرء إلى مرتبة أولي الألباب.



الفصل الثاني

صور الحوار مع الآخر

أولاً: المناظرة:

المناظرة حوار بين اثنين بلوغًا إلى الحق أو وصولاً للصواب في مسألة واحدة أو عدة مسائل، ولها أركان، وشروط، وضوابط، وآداب.

أركان المناظرة:

وهما ركنان: موضوع المناظرة، وطرف المناظرة.

الركن الأول: موضوع المناظرة:

وموضوع المناظرة إما يتعلق بالعقيدة، مثل المسائل التي خالف فيها أصحاب الفرق المبتدة عقيدة أهل السنة والجماعة. أو متعلق بأحكام فقهية، مثل المسائل التي تَنَاطَّرَ فيها علماء الأمة والسلف الصالح مع غيرهم من العلماء، وإما موضوعات الخلافة ونظام الحكم.

والصنف الأول من الموضوعات تعتمد المناظرة فيه على النصوص الشرعية والأدلة العقلية.

وأما الموضوعات الفقهية، سواء كانت من النصوص عليه، واحتاجت لإزالة بعض الشبهات عنها، أم كانت غير منصوص عليها واحتاجت للاجتهداد، فإن أكثر هذه الموضوعات تعتمد المناظرة فيها على النصوص الشرعية وعلى قواعد أصولية مُسْتَقَأةٍ من علم أصول الفقه.

الركن الثاني: طرفا المناظرة:

وهما طرفان يبغيان بلوغ الحق ويسمى البادئ «عارض الموضوع» معللاً، والمتعرض سائلاً. أو يسمى البادئ «عارض الموضوع» مانعاً، والمتعرض مستدلاً.

وذلك تبعاً لموضوع المعاشرة. وقد يتغير الأمر أثناء المعاشرة؛ فينقلب السائل معللاً، والمعلل سائلاً، أو المانع مستدلاً والمستدل مانعاً.

شروط المعاشرة:

الشرط الأول: أن يكون المعاشران على علم بموضوع المعاشرة.

الشرط الثاني: أن يكون المعاشران على معرفة بما يُحتاجُ إليه من قوانين المعاشرة وقواعدها، حول الموضوع الذي يريدان المعاشرة فيه.

الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما يجري المعاشر في فالبدويات والمسلمات لا يجري المعاشر فيها^(١).

الشرط الرابع: أن يُجري المعاشران معاشرتهما على عرف واحد، فإذا كان الكلام على عرف الفقهاء؛ فلا يلتجأ الطرف الثاني إلى عرف النحاة أو الفلاسفة ونحو ذلك.

ضوابط المعاشرة:

هذه الضوابط تميز المعاشرة عن الجدل المذموم أو السفسطة، فليس الأمر انتصاراً لرأي، أو إعجاباً لكل ذي رأي برأيه، لكنه بحث عن الحقيقة، وبلغ إلى الصواب، ومن هنا جاءت هذه الضوابط:

١- تخلّي كلٍّ من الفريقين عن وجهة نظر مسبقة، وإعلانهما الاستعداد لتقبل الحقيقة، وقد أرشد إليها القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤).

٢- الامتناع عن الإيذاء والسخرية، أو البذاءة، أو الفحش، قال تعالى ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾ (الحجرات: ١١). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ

(١) أدب الحوار والمعاشرة (ص: ٦٥).

وَلَا تَنَابُّوْا بِالْأَلْقَبِ ﴿الحجرات: ١١﴾. وقال تعالى: ﴿أَجْتَبَنُّوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ﴿الحجرات: ١٢﴾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»^(١).

٣- التزام الأدلة الأصولية أو العقلية، وتقديمها مؤيدة بالقرآن أو السنة، وألا يقدم دليلاً تردیداً لأصل الدعوى، وألا يطعن إلا على الأسس التي يجري عليها التناظر، وألا يكون في بعض كلامه ما ينقض الآخر.

٤- التسليم بال المسلمات وقبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة.

آداب المناقضة:

يمكن أن نجمل ما قاله العلماء في آداب المناقضة فيما يلي :

١- الترتيب: بمعنى أنه لا يحسن الاستعجال في البحث قبل تام الفهم، فإن في ذلك فائدة للمعلم والسائل على السواء.

أما المعلم: فقد يغير الدليل، أو يزيد عليه بما يدفع الاعتراض، أو يحذف منه ما يوجب الخلل، أو يدلل على مقدمة نظرية، أو ينبع على مقدمة خفية، فيسلم من مناقشة الخصم.

وأما السؤال، فربما يختلط بالاستعمال فيظهر جهله، وقد يذكر المعلم بعد إقامة دليله ما يظهر به ما خفي على السائل فيكيفه مؤنة البحث، وقد يؤدي استعجال البحث إلى فساد.

(١) صحيح. رواه الترمذى [١٩٧٧]، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللغة، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى [١٩٧٧]، والسلسلة الصحيحة [٣٢٠]، ورواه أحمد [٣٨٢٩].

٢- ألا يهاب وألا يحقر: بمعنى ألا يقع فريسة الخوف أو فريسة العجب، فكلاهما يؤثر على كفاءته وقد قيل في ذلك: ألا يناظر منْ هو أعلى منه مقاماً؛ لأنَّه يؤدي إلى التساهل، والتسليم له بما يقول خشيةً منه.

والعبرة في هذا بالأثر النفسي، فقد لا يترك الأعلى مقاماً أثراً في نفس المناظر فلا يهابه، ومن ثم لا يؤثر على قدرته على المناظرة.

٣- ألا يختصر، وألا يطيل، وألا يخرج عن المطلوب: فالاختصار يخل بالفهم ولا يوصل إلى المطلوب والإطالة تمل السامع فينقطع عن الوصول إلى المطلوب، والخروج عن موضوع المناظرة يؤدي إلى الانتشار المفوت للمطلوب.

٤- أن يتتجنب في ألفاظه الغريب والمحتمل من غير قرينة، وكلام السفهاء؛ لأنَّ الغريب يكون غير موصى، والمحتمل من غير قرينة، كذلك، وكلام السفهاء من صفات الجهال يسترون بها جهلهم.

وأن يكلم كلَّ مقام بما هو وظيفته، ففي علم الكلام يتكلم باليقين المفيد للاعتقاد، وفي الفقه بالأدلة المفيدة للظن.

٥- الجلوس جلسة المتبه، مقابلًا للمناظر، مقبلًا عليه، متتجنبًا أوقات عدم الاعتدال [الجوع، الامتناء، الغضب، المدافعة^(١)] ومتتجنبًا الضحك، والصوت العالي، وما يزيل الميبة^(٢).

٦- البدء من نقطة التقاء: فليس النقص والهدم سبيلاً إلى النقوس: إنه لون من الصد عن سبيل الله لا ينبغي أن يقع فيه المسلم المحاور، وكل إنسان، ولو كان غير مسلم، لا يعدم نقطة خيرٍ في قلبه يبدأ بها المسلم فيدخل إليها، أو يدخل منها، ثم ينميها وييسر بها إلى هدفه الذي يريد.

(١) أي وهو يدافع الأخرين: البول والبراز.

(٢) علم آداب البحث والمناظرة (ص: ٢٧).

- ﴿ وَقُولُواْ إِمَّا بِاللَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦).

- ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشَرِّكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُواْ أَشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

- ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَفِرِينَ ﴿٦﴾ قَالَ فَعَلَّمْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا حِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: ٢١-١٩).

- ﴿ يَاصَاحِبِي السِّجْنِ إِنَّ رَبِّيَ الْأَكْبَرَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ٣٩).

- ﴿ يَاصَاحِبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ وَخَمْرًا ﴾ (يوسف: ٤١).
٧- البدء بإثارة العاطفة وتوجيه الاهتمام: كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ مَنْ أَعْبُدُوْا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٩).

- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَى إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَى لَكُمْ أَتَبَعَكُمْ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُلُنَا بَادِيَ الْرَأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ

نَظِئُكُمْ كَلَدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَأْقُومِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي
وَأَتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَثِرُهُونَ ﴿٥﴾ وَيَأْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا
أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَنَكِنَّى أَرْسَلْكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٦﴾ وَيَأْقُومِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدُتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَزَّا إِنْ اللَّهُ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرُونَ أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ
جَدَلْنَا فَأَكْثَرُتْ جِدَالَنَا ﴿٨﴾ (هود: ٢٥ - ٣٢).

٨- التذكير بأنعم الله ولفت الانتباه لآيات الله في الأنفس والآفاق :

- «أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَأَذْكُرُوْا إِذْ جَعَلْكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادُكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً
فَادْكُرُوْا إِلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الأعراف: ٦٩).

- «وَأَذْكُرُوْا إِذْ جَعَلْكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَادْكُرُوْا إِلَاءَ اللَّهِ
وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» (الأعراف: ٧٤).

- «وَأَذْكُرُوْا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ» (الأعراف: ٨٦).

- «وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ أَمَدَكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَنِينَ
وَجَنَّتِ وَعَيْنِ ﴿٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الشعراء: ١٣٢ - ١٣٥).

- ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ فُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ الْسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحِرُونَ ﴾ ﴿ (المؤمنون : ٨٤ - ٨٩) .

- ﴿ أَمَنَ خَلْقَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِ الَّهُ مَعَ الَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿ أَمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ حِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِ الَّهُ مَعَ الَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أَمَنَ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِ الَّهُ مَعَ الَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ أَمَنَ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الْرِّيحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَءِ الَّهُ مَعَ الَّهِ تَعَلَّى الَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ أَمَنَ يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِ الَّهُ مَعَ الَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرُّهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ (النمل : ٥٩ - ٦٤) .

٩- البدء بصدمة تفيق: وتستخدم عادة مع من كان القرآن على قلوبهم فاحتاجوا إلى ما يزيل هذا القرآن أو طمس بصيرتهم فاحتاجوا إلى ما يُفْتِّنُهم^(١) .

- ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ عَيْرُهُ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ ﴾ ﴿ (الأعراف : ٦٥) .

- ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْأَوِكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ (الأعراف: ٧١).

- ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿ يَقُولُمْ لَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ وَيَقُولُمْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْمُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ٥٠ - ٥٢).

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥). إن الدعوة بالحكمة تعني تغيير الأسلوب حسب المقام فمن أصلحته الكلمة الطيبة فلا يصار إلى غيرها، ومن أصلحته الكلمة العنيفة فهي الحكمة في هذا الموضع.

- ومنها ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿ يوم ترثونها تذهل كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرٍ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: ٢، ١).

- ومنها: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالَّذِي عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالَّذِي شَيَّأَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان: ٣٣).

- بل إن الصدمة أحياناً تلزم المؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قُوَّاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُوْنَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعَلُوْنَ مَا يُؤْمِرُوْنَ﴾ (التحريم: ٦).

١٠ الدعوة إلى إعمال النظر في رفق وأدب:

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحِدَةِ أَنْ تَقْوُمُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوْا﴾ (سبأ: ٤٦). أي: أدعوكم إلى واحدة، قيل خصلة واحدة. أو كلمة واحدة هي: لا إله إلا الله. أو هي: القرآن، أن تقوموا: أي: للحق .. ﴿كُوْنُوا قَوَّامِيْنَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥).

للله مشنى وفرادى .. أي مجتمعين ومنفردین .. أو متشاورین أو من غير تشاور ..

أو المشنى عمل النهار والفرادى عمل الليل.

ثم تفكروا: دعوة إلى التفكير .. إن وقفنا عليها .. مطلق التفكير في النفس والآفاق .. ما يُفضي إلى التوحيد وهو منهج قويم في الحوار. أن ترك خصمك يصل إلى الحق الذي ت يريد وهو يظن أنه هو الذي اكتشفه فيكون أكثر إقبالاً وأكثر استمساكاً.

ومنه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٦﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُوْنَ عَمَّا أَجْرَمَنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٢٧﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيْمُ﴾ (سبأ: ٢٤ - ٢٦).

فقد سألهم عنمن يرْزُقُ. ثم أجابهم أنه الله. ثم جعل تقريرا فيه احتمالاً: إما أن يكونوا على هدى أو في ضلال أي أحد الغرين على هدى والآخر على ضلال، وهو يدعو إلى التفكير. ثم جعل خياراً آخر. **﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾**.

ولئن كان الإجرام بمعنى الكسب، فلقد كان في استعماله في جانب المؤمنين، وجعل العمل في جانب الكافرين.. إما لونا من المساواة حيث لا تجحب فيه مجاملة للفريق الآخر، أو لونا من التأليف يجعل الفعل الأقرب إلى الخطأ في جانبهم كما تقول تواضعا: قد أكون مخطئا.

هذا لون من أدب الحوار جميل. وهو موضوع، يرد المخطئ إلى الصواب، ويرد البطل إلى الحق. وفي النهاية يترك الأمر للتفكير. **﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾** يعني يحكم بيننا **﴿ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾**.

وفي حوار إبراهيم عليه السلام مع الكافرين الذين يعبدون الأصنام: **﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾** **﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَنْكِفِينَ ﴾** **﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾** **﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾** (الشعراء: ٧٠ - ٧٣).

فيها إيقاظ لضمائرهم وعقولهم ودعوة إلى إعمال النظر، فلما لم يفلح جأ إلى وسيلة عملية لإنفاسهم، وذلك بأن كسر أصنامهم، وجعل الفأس على رأس كبيرهم، كما تحدثت سورة الأنبياء، وسيأتي تفصيلها بعد قليل.

١١ - استخدام أسلوب الاستفهام التقريري، وهو الذي يعتمد على مقدمات **بَيْنَنَا: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾** (البلد: ٨).

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾

(يس: ٨١).

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

ومنها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما لم يصل معهم إلى نتيجة بالحوار بخلاف حل عملي ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَيْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّمَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَأَيَّدُ كُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَالُوا فَأَتُوْنَا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشَهَّدُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٨ - ٦١).

وهكذا كان الإفحام: ﴿قَالُوا إِنَّتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَيْرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٢ - ٦٣).

وكانت النتيجة: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٤ - ٦٥).

ثم كان التقرير: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٧ - ٦٦).

فتركتوا أسلوب المحاجرة ولجأوا إلى أسلوب الغاشمين والمعتدين:

﴿قَالُوا حَرَّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِيِّينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨).

فتدخلت إرادة الله عز وجل.

﴿قُلْنَا يَسْنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

ثانياً: الحوار مع أهل الكتاب:

احتوى القرآن الكريم على أفضل الأساليب، وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم، وقد نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ بالحجج البينة والبراهين القاطعة: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (سورة الصاف: ٩). وقد وَفِي سبحانه وتعالى بما وعد، وأظهر دينه بالحججة والبيان، ونصره بالسيف والسان، وأيد أهله على من سواهم، ونصرهم بالحججة على من ناوأهُمْ، كما أظهرهم بالسيف على من كانوا له يحاربون، وذلك في قوله تعالى «وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَنِيلُونَ» (الصفات: ١٧٣) وأيد رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة العلمية، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية، بما لم يبق بعده للمخالف إلا محض العناد، وكفي لمن جانب الاعتساف، وَسَلَكَ طرِيقَ العدْلِ والإِنْصَافِ ما تضمنه القرآن العربي المبين، من البينات والحجج والبراهين، فهو الشفاء النافع لمن استشفي، والكافية التامة لمن به استكفي وهو الهدى والنور وشفاء وسوسنة الصدور، وهو الكفيل بالانتصار على المبطلين لمن كان به خيراً كما قال تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِئْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان: ٣٣)، فلا يأتي صاحب باطل بحججة إلا وفي القرآن ما يُبَطِّلُها ويلقيها من شاهقٍ، كما قال تعالى: «بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» (الأنبياء: ١٨).

فكتاب الله تعالى، «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت: ٤٢) وكلام الله الحكيم أعلى وأعز من أن يُرَدَّ إلى منهج بشرى قاصر محدود، وإذا تبعنا منهج القرآن في الحوار مع أهل الكتاب، فسنجد أنه استخدم كافة سبل الإقناع والتأثير بما في ذلك القصص القرآني والوعظ والتهديد.

صور الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم: الحوار بالاستفهام الإنكارى:

وقد ورد هذا كثيراً في القرآن الكريم في سياق محاورة أهل الكتاب وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام، فلا يملكون جواباً لما تحويه هذه الأفعال من فساد، يعرف بـَدَاهَةً بالفطرة، ولما تحويه من تناقض ومخالفة لما في كتبهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِإِيمَانِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشَهَّدُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٠). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِإِيمَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَبِ لِمَ تَصْدُرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِعَوْنَاهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٨، ٩٩). وقوله تعالى مخاطباً لهم بخطاب الغائب ليكون أبلغ في التأثير: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الْرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦).

فإذا سمع الكاتب بهذه الاستفهامات فإنه يحار ولا يجد لها جواباً، فإن كان في قلبه أدنى ذرة من خير فإنه يسلم ويترك ما كان عليه من الكفر والصد عن سبيل الله وكتم الحق، وإن كان غير ذلك قامت عليه الحجة ويقع في غاية الخرج؛ وذلك لأن الكاتب يُقرُّ بوقوع هذه الأمور منه فإنه يكفر بآيات الله ويلبس الحق بالباطل مع كتمانه الحق وصده عن سبيل الله وأهل الكتاب لا يستطيعون إنكار ذلك كما لا يستطيعون إنكار علمهم بصفة النبي ﷺ في كتبهم كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وقد تواترت الروايات عن أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ تتضمن اعترافهم بصدقه ومعرفتهم أنه هو المبشر به في كتبهم، وقد كانوا ينتظرونـه، فلما بعث كفراً به مَنْ كفر ومن هذه الروايات الدالة على ذلك:

- ١- قصة بحيري الراهب الذي رأى النبي ﷺ - في رحلته الأولى للشام وكان صبياً - ورأى خاتم النبوة في ظهره فسأل أبا طالب، ما هذا الغلام منك؟ قال: ابتي. قال له بحيري: ما هو ابنك وما ينبغي أن يكون أبوه حياً، ثم أوصاه به وحذره من اليهود^(١).
- ٢- لما خاف النبي ﷺ على نفسه عندما نزل عليه الوحي وأخبر ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر وتعلم النصرانية - فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى^(٢).
- ٣- قدم إلى النبي ﷺ بمكة عشرون رجلاً من نصارى الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه، فدعاهم النبي ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم

(١) سيرة ابن هشام (١/١٦٥ - ١٦٧)، ورواه الترمذى في السنن [٥٩٠/٥] حديث [٣٦٢٠]، وقال حديث حسن غريب، ورواه الحاكم وصححه [٦١٥/٢] لكنْ تعقبه الذهبي قائلاً: أظنه موضوعاً وبعضاً باطل انتهى، وانظر كذلك السيرة النبوية للذهبي [٢٨]، وصححه الألبانى في صحيح السيرة النبوية لابن كثير [ص: ٢٨]، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف [٢٨٦/١٤]، وابن أبي الدنيا في هواتف الجنان [١٩٤] والطبرى في التاريخ [٢٧٧-٢٧٨/٢]، والبيهقي في الدلائل [٢٤/٢]، والخطيب فى تاريخ بغداد [٢٥٢/١٠]، وأخرجه ابن سعد من طرق معضلة فى الطبقات الكبرى [١/١٢٠، ١٥٣]، ورواية ابن إسحاق مرسلة، وأبو نعيم في الدلائل [٥٤/٥١]، وذكره أكرم العمرى في السيرة النبوية الصحيحة وأطال التَّفَصِّى فى ذكر الأسانيد والطرق ثم مال إلى ما حكم به الذهبي من التَّكَارَة بقوله: وإنما سُقْتَ كلام الذهبي بتمامه لأنَّه أَعْلَمُ مَنْ انتقد هذه الرواية - وكذا انتقدها ابن سيد الناس في عيون الأثر [٤٣/١]، انظر: أكرم العمرى [١/١٠٦-١٠٩]. ونقل الشيخ الألبانى تصحيحه عند المجزري ومال إلى تصحيحه في تعليق على فقه السيرة [ص: ٦٨]، وصححه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية [٥٩]، وذكره سعد المرصفي في الجامع الصحيح للسيرة النبوية [ص: ٣٧٢] قال: وقال الجزرى: إسناده صحيح، تحفة الأحوذى [١٠/٦٦]، وصححه السيوطي لشواهده الخصائص [١٤٢/١]، وقال ابن حجر: رجاله رجال الثقات وزاد فيها لفظه منكرة الإصابة [١٨٣/١]، رقم [٧٩١]، وانظر صحيح سنن الترمذى للألبانى [١٩١/٣]، [٢٨٦٢].

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٢٢)، وأصلها في البخارى [٤] بلفظ: «هذا الناموس الذي ترَأَّسَ الله على موسى عليه السلام»، كتاب بداء الوحي باب [٣]، وذكره أيضاً الذهبي في السيرة النبوية [٦٤-٦٣].

الحوار في الإسلام

القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وعرفوا منه ما كان يُوصَفُ لهم في كتابهم من أمره^(١).

٤- قصة سلمان الفارسي وقد عاصر خمسة أساقفة في بلاد متفرقة، يوصي كلُّ واحد منهم سلمانَ عند موته إلى الآخر حتى بلغ آخرهم فقال له سلمان: بم تأمرني؟ قال: ولكنه قد أَظَلَ زمانَ نبِيٍّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم العليّ يخرج بأرض العرب مُهاجرَه إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تحفي: يأكل المهدية ولا يأكل الصدقة. وبين كفيه خاتم النبوة. وملعون أن سلمان قصد أرض العرب فاستُرِقَ فبيع إلى يهود المدينة فلما هاجر النبي ص وعلم مطابقة الأوصاف له أسلم^(٢).

٥- خبر عبد الله بن سلام عندما أسلم ونصح اليهود بقوله: (يا معاشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونه مكتوباً

(١) سيرة ابن هشام (٢٨ - ٢٩ / ٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١٩٨ / ١ - ٢٠٢)، الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند [٤٤١ / ٥ - ٤٤٤]، والبيهقي في الدلائل [٩٢ - ٩٧ / ٢]، والخطيب في التاريخ [١٦٤ - ١٦٩ / ١١]، وأبو نعيم في الدلائل [١٩٩]، ورواه ابن سعد في الطبقات [٤ / ٨٥ - ٧٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٦٥ - ٦٠]، والحديث حَسَنَةُ إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية [ص: ٤٣]، ورواه الذهبي في السير [١ / ٥١١ - ٥٠٦]، والحاكم وصححه [٢ / ١٦]، وقال في مجمع الزوائد: رواه أحمد كله والطبراني في الكبير بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرَح بالسماع ورجال الرواية الثانية انفرد بها أحمد ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة ورواه البزار انتهى، مجمع الزوائد [٩ / ٣٣٦]، كما حسنه أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة [١ / ١٢٢]، وصححه الألباني في صحيح السيرة لابن كثير (٦٢ - ٦٣).

عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأؤمن به وأصدقه وأعرفه^(١).

٦- خبر مُخْبِرِيق و كان يهودياً و كان يعرف النبي ﷺ فلما جاء يوم أحد - و كان يوم السبت - قال: يا معاشر اليهود والله إنكم لتعلمون أنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ حَقٌّ قالوا: إنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ. قال: لَا سَبْتَ لَكُمْ، ثُمَّ أَخْذَ سَلَاحَهِ وَقُتِّلَ بِأَحَدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (مخيرق خير يهود)^(٢).

٧- عندما حاصر النبي ﷺ بني قريظة قال كعب بن أسد: يا معاشر يهود وقد نزل بكم من الأمر ما ترَوْنَ وإنني عارضُ عليكم خللاً ثلاثاً فخذلوا أيها شِئْتمْ. قالوا: وما هي: قال: نتابع هذا الرجل فوالله لقد تبين لكم أنه لنَبِيٍّ مرسَلٌ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فرفضوا، فعرض عليهم قتل أبنائهم ونسائهم ثم يقاتلون فرفضوا، فعرض عليهم القتال يوم السبت فرفضوا، فرفضوا حكم سعد بن معاذ فقتل مقاتليهم وسبى نسائهم وذرياتهم^(٣).

والروايات كثيرة، وهي تؤكِّد عِلْمَهُم برسول الله ﷺ واعترافهم بذلك فيما بينهم ما لا يستطيعون إنكاره عند مخاطبة الله عز وجل لهم بتلك الاستفهامات الاستنكارية التي تبلغ مداها في التأثير وإقامة الحجة، وقد وردت تلك الاستفهامات في معانٍ أخرى في حوار أهل الكتاب.

(١) المرجع السابق (١١٨/٢)، وأصله البخاري في مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي بين أصحابه .[٣٩٣٨]

(٢) المرجع السابق (١١٩/٢)، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة [٦/٤٧] رقم [٧٨٦٧]، وقال: الزبير بن بكار في أخبار المدينة ... فذكره - وذكرها بلحظ آخر وعزها لعمر بن شبة في أخبار المدينة.

(٣) المرجع السابق (١٤٢/٣)، الحديث أصله البخاري في كتاب المغازي باب مَرْجِعِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَحْزَابِ [٤١٢١]، ومسلم في الجهاد والسير بباب الحكم فيمن حارب ونقض العهد [١٧٦٨] وأبو داود في الأدب بباب ما جاء في القيام [٥٢١٥].

الحوار معهم بذكر قصص السابقين:

قد يساق الدليل في قصة وَيَأْخُذُ صورَهُ من واقع الحياة في حوادثها فتصفي إليه الآذان، وتميل إليه النفوسُ وترتاح إليه الأفئدةُ، وتتأثر بما فيه من عظاتٍ وعبر، وقد اتخذ القرآنُ الكريم من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير^(١). فنجد أن القرآن في محاورة أهل الكتاب وغيرهم يورد القصص التي فيها من إقامة الحاجة والتأثير الشيء الكثير.

وأكثر القصص التي وردت في القرآن قصصُ الأنبياء، وسنكتفي بمثال واحد وهو قصة إبراهيم العليّة. فقد وردت قصة إبراهيم العليّة في مواضع عديدة منها ما ورد في سورة البقرة ضمن محاورة أهل الكتاب، وقد وردت بعد قوله تعالى ﴿يَسِّنَ إِسْرَاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي أَلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٢٢) وورد بعدها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٣٥). والآيات طويلة تبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤).

إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤)، وقد ذكر الفخر الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائتها في محاورة أهل الكتاب وغيرهم بقوله: والحكمة فيه أن إبراهيم العليّة شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقررين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم العليّة أموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه وبيانه من وجوه:

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص: ٧٣).

الأول : أنه تعالى أمره ببعض التكاليف فلما وفي بها وخرج عن عهدها لا جرم نال النبوة والإمامية ، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمرشكين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد . والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه .

الثاني : أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين ، فهو لاء متى أرادوا هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل .

الثالث : أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم عليه السلام ؛ ليكون ذلك كالحجارة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك .

الرابع : أن القبلة لما حولت إلى الكعبة المشرفة شق ذلك على اليهود والنصارى فيبين الله تعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بفضله ووجوب الاقتداء به ، فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم ^(١) .

ومنها أن إبراهيم عليه السلام دعا بخروج النبي ﷺ ﴿ رَبَّنَا وَأَبَعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة : ١٣٠) ، فلا حجة لهم بترك متابعته .

ومنها بيان الله أن إبراهيم عليه السلام الذي يتشربون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد كما كانت وصيته لأبنائه ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَأَ تَمُوْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢) .

يقول سيد قطب بعد هذه القصة : في ظل البيان التاريخي الحاسم لقصة العهد مع إبراهيم وقصة البيت الحرام كعبة المسلمين ، ولحقيقة الوراثة وحقيقة الدين ، يناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين ، ويعرض لحجتهم وجدلهم ومحالهم فيبدو هذا

كُلُّهُ ضعيفاً شاحباً كما يبدو فيه الْعَنْتُ والادعاءُ بلا دليل. كذلك تبدو العقيدةُ الإسلامية عقيدةً طبيعيةً شاملةً لا ينحرفُ عنها إلا المتعنتون^(١).

وهكذا فإن القصة في القرآن لها دُورُهَا البالغ في محاورة أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْفُرْقَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ لَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل: ٧٦، ٧٧) وقال تعالى مبيناً فوائد القصص القرآني في نهاية قصة يوسف ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلَّبَبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَا كِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

الحوار معهم بالوعظ والتذكير:

إن أهل الكتاب لا تنقصهم الحقائقُ كما لا يخفى عليهم البُهْي ، وإنما ينقصهم الإيمان؛ لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويدركهم ليりدهم إلى الحق ، ولكي لا يبقى لديهم حجة أو عذر.

فتارة يذكرون بنعم الله عليهم والتي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان لا بالكفر والجحود، فيسرد النعم التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل . في آيات كثيرة يطول سردها . ابتداء بتفضيلهم على العالمين ومروراً بإنجائهم من آل فرعون وإغراق آل فرعون وَغَفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ اتَّخِذُهُمُ الْعَجْلَ، وإحيائهم بعد موتهم، وتنطيل الله عليهم الغمام وإنزال المن والسلوى، وتفجير الأرض اثنتا عشرة عيناً . إلى آخر تلك النعم^(٢). وسنذكر مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿يَسْبِئُنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّى فَارَهُبُونِ﴾

(١) في ظلال القرآن (١١٧/١).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب (ص: ١٩٢).

وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعِيَّاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّى فَاتَّقُونَ ﴿البقرة: ٤١، ٤٠﴾

وتارة أخرى يذكرون عاقبة الكفر والعصيان بضرب أمثلة لمن عصى أو كفر منهم، وكيف كانت عاقبته؟ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عِلِّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدْنَا مِنْكُمْ فِي الْسَّبِّتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً حَسِيْرِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا حَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٦٥-٦٦).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِمْنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَهَا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّ أَصْحَابَ الْسَّبِّتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (النساء: ٤٧) وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرِيرَةَ فَكُلُّوْمِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَيْكُمْ وَسَزِيْدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ الْسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ (البقرة: ٥٩، ٥٨) ويقول تعالى عن بعض بنى إسرائيل: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِعَصْبَرْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَأْيَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحُقْقِ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

وتارة يذكرون يوم القيمة وبشدة عذاب الله للعصاة، ليكون ذلك رادعاً لهم عن عصيانهم وكفرهم بـ محمد ﷺ. ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً بنى إسرائيل: ﴿وَأَنَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨)، ويقول تعالى: ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ

ءَاتَيْنَاهُم مِنْ إِعْيَاءٍ بِسِينَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿البقرة: ٢١١﴾.

ويقول تعالى في سياق محاورة أهل الكتاب: «إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِعَيْرٍ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِبَطُتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ ﴿آل عمران: ٢١ - ٢٢﴾، ويقول تعالى «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَاهُ الْنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّ لَمَّا يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيُمَسِّئُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عِذَابٌ أَلِيمٌ ﴿المائدة: ٧٢ - ٧٣﴾.

ويقول تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عِذَابٌ أَلِيمٌ ﴿البقرة: ١٧٤﴾.

وقد نزلت هذه الآية في اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وشعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب، كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا، فلما بعث محمد ﷺ خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمرَ محمدٍ ﷺ وَمَرْ شِرَاعَهُ^(١).

(١) تفسير الرازبي (٢٥/٥)، الأثر عن ابن عباس ذكره السيوطي في الدر المثور، قال: أخرج الثعلبي بسنده ضعيف عن ابن عباس - فذكره الدر المثور [١٣٠٩].

وقد كان النبي ﷺ يحاور أهل الكتاب بهذه الآيات وأمثالها، كما كان السلف الصالح يستخدمون هذا الأسلوب في محاورة أهل الكتاب، ومن ذلك تذكير الباقي لأحد الرهبان بقوله: (وأمر الدنيا وشأنها أحرق وأحط من أن يغتر بها ذو عقل أو يسكن إلى غُرُورِها دُولَبٌ) ^(١).

الحوار معهم بالتحدي والمحاكمة:

إذا ظهر الحق واستبان فإن التحدي والمحاكمة من الأساليب النافعة في إظهار الحق وإبطال الباطل.

أما التحدي فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلَنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِكُفَّارِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣ - ٢٤) هذه الآية المدنية خطاب لأهل الأرض، ويدخل فيهم أهل الكتاب، وقال ابن القيم في بيان دلالتها: إن حصل لكم ريب في القرآن، وصدق من جاء به، وقلتم إنه مُفتعل فأتوا ولو بسورة واحدة تشبهه، وهذا خطاب لأهل الأرض أجمعهم، ومن الحال أن يأتي واحد منهم بكلام يُفتعلُهُ ويختلقُهُ من تلقاء نفسه، ثم يطالب أهل الأرض بأجمعهم أن يعارضوه في أيسر جزء منه يكون مقداره ثلاثة آيات من عِدَّةِ أَلْوَفٍ ثم تعجز الخلائق كلهم عن ذلك ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ كما يقول المعجز لمن يدعى مقاومته: اجهد على بكل من تقدر عليه من أصحابك وأعوانك وأوليائك ولا يُبْقِي منهم أحداً حتى تستعين به. فهذا لا يقوم عليه إلا أجهل العالم وأحمقه وأسخنه عقلاً إن كان غير واثق بصحة ما يدعوه، والنبي ﷺ يقرأ هذه الآية وأمثالها على أصناف الخلائق أميهم

(١) رسالة راهب فرنسا (ص: ٦٩).

وكتابيهم وعربهم وعجمهم، ويقول لن تستطعوا ذلك ولن تفعلوه أبداً فيعدلون معه إلى الحرب والرّضى بقتل الأحباب، وهم في حالة لا يقدرون على معارضته^(١). أما المباهلة فهي نوع من التحدي، وقد أمر الله بها في القرآن وبين صفتها فقال تعالى في سياق حوار أهل الكتاب في عيسى عليه السلام: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (آل عمران: ٦١-٦٣) وقد ورد هذا الأمر الإلهي في الآيات التي نزلت في نصارى نجران لما أتوا النبي ﷺ، وقد روى ابن إسحاق أنه لما أراد النبي ﷺ ملاعنةً وبماهله النصارى قالوا له: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذلك رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟

قال: والله يا معاشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبياً مرسلاً، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم^(٢). ثم قال لهم: فإن كنتم قد أبىتم إلا إلف دينكم، والإلقاء على ما أنتم عليه من القول فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فتركوا الملاعنة، وقالوا للنبي ﷺ: قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك لدينك ونرجع على ديننا، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من

(١) بدائع القوائد (٤ / ١٣٤ - ١٣٥).

(٢) المقصود به عيسى عليه السلام.

أموالنا فإنك عندنا رضا. بعث معهم أبا عبيدة رضي الله عنه^(١). وهذه القصة من دلائل نبوة صلوات الله عليه

قال الرازي : دلت هذه الموافقة على صحة نبوة محمد صلوات الله عليه من وجهين : أحدهما : وهو أنه صلوات الله عليه خوفهم بنزول العذاب عليهم ، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكن ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه ، لأنه بتقرير أن يرغبوا في مباهلته ثم لا ينزل العذاب فحيثند كان يظهر كذبه فيما أخبر ، وعلمون أن محمد صلوات الله عليه كان من أعقل الناس فلا يليق أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه ، فلما أصر على ذلك علمنا عندما أصر عليه كونه واثقاً بنزول العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم لما تركوا المباهلة فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباهلته ، بل ودفعوا إليه المال الوفير ، وصرحوا بتصديقه ^(٢) .

وهذه المباهلة قد أمر الله بها ودعا إليها النبي صلوات الله عليه ، ودعا إليها أصحابه ، وهي سنة إلى يوم الدين ، ليست خاصة برسول الله صلوات الله عليه .

قال ابن القيم في فوائد قصة نصارى نجران : (إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصرروا على العناد ، أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع ، ولم ينكر عليه الصحابة ، ودعا إليه الأوزاعي وسفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام (٢/١٦٦) ، الحديث رواه الطبرى في التفسير عن آية : [٦٣] من سورة آل عمران [٣/٢٩٧] ، عن عامر الشعبي مرسلاً . ذكره السيوطي في الدر المثور وعزاه لأبي نعيم في كتاب الدلائل - الدر المثور [٢٨/٦٩-٦٩] .

(٢) تفسير الرازي (٨/٨٢) .

(٣) زاد المعاد (٣/٦٢٤) .

الحوار معهم بالاستدلال باستحالة ما يدعونه عقلاً

يناقش القرآن الكريم أهل الكتاب فيما يدعونه مناقشة عقلية، ويثبت لهم أن بعض ما يدعونه محالٌ عقلاً، أو يلزم منه أمر لم يقع^(١). فمن ذلك نسبتهم للولد لله، فيبين الله عز وجل امتناع ذلك عقلاً كما قال تعالى: «وَقَالُوا أَتَخَدَ اللَّهَ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنِيتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (البقرة: ١١٦-١١٧). ولم يزد الرب عز وجل عن تسبيح نفسه، وإخبارهم بأنه مبدع السماوات والأرض، مع كمال قدرته المنافية لاتخاذهم للولد لله وهذا مما علم بالفطرة.

كما أن الإله مستغن عن غيره ضرورةً، والمسيح عليه السلام لم يكن كذلك كما قال تعالى: «مَا أَلْمَسِيْحُ أَبْنَ مَرِيْمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الْرُّسُلُ وَأَمْمَهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلُانِ الْطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنْ لَهُمُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» (المائدة: ٧٥).

كما أن نسبة الابن لله يلزم منه أمر لم يقع فيعلم بطلانه عقلاً كما قال تعالى: «مَا أَتَخَدَ اللَّهَ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَهَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا حَلَّ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (المؤمنون: ٩١). والمعنى: أنه ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه إلهًا للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ فيه حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فأكثر محال لما يلزم منه من المحال^(٢).

(١) الحوار مع أهل الكتاب (ص: ١٩٦).

(٢) مناهج الجدل (ص: ٧٥-٧٦).

ومن ذلك قول النصارى: الله ثالث ثلاثة، المخالف للفطرة البشرية والذي يحييده العقل لهذا لم يزد الرب عز وجل عن إنكار قولهم من بيان أن التوحيد هو الأصل، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (المائدة: ٧٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النساء: ٧١).

ومن ذلك وصف اليهود للرب بصفات النقص، وهذا مما يحييده العقل فطرةً فلا يحتاج إلا إلى الإنكار، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق﴾ (آل عمران: ١٨١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَسْأَءُ﴾ (المائدة: ٦٤).

ومن ذلك عبادتهم للملائكة والنبين: وزعم النصارى أن عيسى دعا إلى نفسه، وبين الله استحاله ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتَيْهِ اللَّهُ الْكِتَبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوا رَبَّنِيْكُنْ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّكُنْ أَرْبَابًا أَيَّامُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠-٧٩).

وهكذا يهدم القرآن دعوى أهل الكتاب بنظرة عقلية تجعل من له أدنى عقل أن يتراجع عن قوله الذي يحييده العقل والفطرة. وقد استخدم كثير من المخاورين المسلمين هذا الأسلوب، ومنهم على سبيل المثال:

ابن حزم الأندلسي: وقد ساق أقوالَ مَنْ قالَ: إن الفاعل أكثر من واحد، وساق أقوالَ النصارى بفرقهم المختلفة والتي فيها الشرك بأنواعه، ثم قال: ولو لا أن الله وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧) وإذا يقول تعالى حاكياً عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣) وإذا يقول تعالى ﴿إِنَّكُلَّتِ لِلْتَّاسِ أَتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦) لكتفى.

وأبو الوليد الباقي: في بيانه أن عيسى ليس إلهاً يقول لأحد الرهبان: بل هو بشر مخلوق لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكن، والزوال والانتقال، والتغير من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام؛ مما لا يصح على إله قديم^(١).

وابن تيمية: يقول منكراً على النصارى التثليث: وهم يدعون أن التثليث والخلول والاتحاد إنما صاروا إليه من جهة الشرع وهو نصوص الأنبياء والكتب المنزلة لا من جهة العقل، وزعموا أن الكتب الإلهية نطقت بذلك، ثم تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتب طريقاً عقلياً فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في العقل، ولهذا نجد النصارى لا يلتجأون في التثليث والاتحاد إلى الشرع والكتب، وهم يجدون نُفَرَ عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والخلول، فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية - التي قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع ذلك، وينفيه، وينفر عنه^(٢).

وهذا أحدهم: هداء الله إلى للإسلام يجاجهم فيذكر بعض عبارات التوراة المستحيلة عقلاً مثل: «وندم الله على خلق البشر» و«انتبه لم تنم يا رب! استيقظ

(١) رسالة راهب فرنسا (ص: ٦٥).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٠ / ٢).

من رقتلك» و «والله ندم على تملّكه شؤول على إسرائيل»، ثم يقول: فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتابٌ عزيزٌ وليس كتاب الله^(١).
الحوار معهم بفضح سوابقهم مع رسليهم:

كان أهل الكتاب يرفضون رسالة محمد ﷺ، وخشية أن يؤثر موقفهم هذا على البعض بوصفهم أهل كتابٍ سابقٍ يطيل القرآن في بيان مخالفتهم لرسلهم وتعنتهم وعنددهم، وذلك ليظهر للناس كافةً أن هؤلاء الرافضين لرسالة محمد ﷺ كانوا كذلك مع من سبّه من الرسل، فلا يضر رفضهم، ولا يدل على صحة ما عندهم، يقول الشيخ السعدي في باب طريقة القرآن في المجادلة مع أهل الأديان الباطلة: يقيم الأدلة على أهل الكتاب بأن لهم من سوابق المخالفات لرسلهم ما لا يستغرب معه لمخالفتهم لرسوله الخاتم محمد ﷺ الذي جاء مصدقاً لما سبق من الرسالات التي مقصدها جمِيعاً واحداً^(٢).

والآيات التي يحاور القرآن فيها أهل الكتاب مبيناً فيها هذا الجانب عديدة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الظُّورَ خُذُوا مَا ءاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَشَقَّقُونَ ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي الْسَّبِّتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُنُوا قِرَدَةً حَسِيْنَ﴾ (البقرة: ٦٣ - ٦٥).

وبعد هذه الآيات وأمثالها في سورة البقرة يقول تعالى: ﴿أَفَتَقْطُمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَّا اللَّهُ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

ويقول تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ الْسَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا

(١) إفحام اليهود للسموئل بن بخي (ص: ١٣٣ - ١٤٠).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ٤٣).

فَأَخْذَتْهُمُ الْصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيْتَ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِاتَّيْنَا مُوسَى سُلْطَنَّا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ (النساء : ١٥٣)
كما يسلِّي الله نبيه محمداً ﷺ بأن تكذيبهم لدعوته لا يضر الدعوة شيئاً، فإن جميع
الرسل كذبوا كما قال سبحانه: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ
جَاءُو بِالْبَيْتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنَيرِ﴾ (آل عمران : ١٨٤).

بِإثباتِ أَنْ دُعَواهُمْ خَالِيَةٌ مِّنَ الْحِجَةِ وَالْبَرْهَانِ:

وذلك أن كثيراً من دعاوى أهل الكتاب تقصصها الحجة والبرهان، فيطالعهم الله
عز وجل ببرهان على دعواهم، وهم لا يملكون على ما يدعون حجة ولا برهاناً
 وإنما أمني وتخrisk؛ فتسقط دعواهم من غير رد لها ومن ذلك دعواهم: ﴿وَقَالُوا
لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة : ١١١).

ومثل ما حكاه الله عنهم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَمِّ الْهُدَى﴾ (البقرة : ١٤٠).

الحوار معهم بالاستدلال بنصوص كتبهم:

ومن مسالك الاستدلال على أهل الكتاب، الاحتجاج عليهم بما يسلمون به من
حقائق ذُكِرَتْ في كتبهم. وقد احتاج القرآن الكريم على أهل الكتاب بذلك فرغبهم
باليقان بمحمد ﷺ وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم كما قال تعالى مادحًا منْ آمن منهم:
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ وَيُؤْتُونَ الرِّكْوَةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ آلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الْبَيِّنَ الْأَمِينَ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّيْبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

وَالْأَعْنَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا نُورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧﴾.

كما احتج عليهم بذلك في بعض المسائل الفرعية، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ الظَّعَامِ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى تَقْسِيمِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ الْكُتُورِيَّةُ قُلْ فَاتُؤُمْ بِالْكُتُورِيَّةِ فَاتَّلُو هَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنِ افْتَرَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿آل عمران: ٩٣ - ٩٤﴾.

الحوار معهم بالاستدلال بلازم كلامهم:

وذلك أن كثيراً من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لا يقرونها، وقد حاجَهم الله بذلك حيث كانوا يدعون أنهم مسلمون، وأنهم متبعون ملة إبراهيم؛ فأخبر الله أن الحج من شعائر إبراهيم الثقلان، وهم معرضون عنه كما قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَيْكَةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿آل عمران: ٩٥ - ٩٧﴾.

ولما نزلت: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥) قالت اليهود: فنحن مسلمون. فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧) فقال لهم النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَرِضَ عَلَى

الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا. لذا قال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (آل عمران: ٩٧) ^(١). وذكر الرازي أن في قوله تعالى: «وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَتَّدُوا قُلْ بَلْ مِلَةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (البقرة: ١٣٥)، استدلال بلازم كلامهم حيث يقول في عرض شبهة أهل الكتاب: الشبهة الأولى: حيكي عنهم أنهم قالوا: «كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَتَّدُوا» (البقرة: ١٣٥)، ولم يذكروا في تقرير ذلك شبهة، بل أصرروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة. أهـ.

وأثبت أحمد ديدات التحريف في مناظراته العديدة وكتبه المختلفة، وسلك هذا المسلك في الاحتجاج على أهل الكتاب، ومن ذلك مناظرته المشهورة مع سوجارت أن ليس بينهما اثنان متماثلان، وعلماً يكملون بأنه بين الأربع والعشرين ألفاً التي كتبواها، لا يوجد اثنان متشابهان، إذاً فكيف لك أن تحكم بأن هذه من عند الله، وأن الأخرى ليست من عند الله من بين الأربع والعشرين ألف نسخة؟ ^(٢).

ثالثاً: الحوار مع أهل البدع:

وهذا المنهج سلكه أئمة المسلمين، في مناظراتهم لأهل البدع وأقتطع منها هنا جملة من ذلك حوار وهب بن منبه مع ذي خولان أحد الخوارج في اليمن: قال علي المدني: حدثنا هشام بن يوسف الصنعاني أبو عبد الرحمن قاضي صنعاء، قال: أخبرني داود بن قيس قال: كان لي صديق من أهل بيت خولان من حضور، يُقال له أبو شمر ذو خولان، قال: فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٦) بتصرف.

(٢) المناظرة الحديثة في علم الأديان بين الشيخ ديدات والقسис سوجارت (ص: ١٥١).

دونت منها، وجدت كتاباً مختوماً في ظهره ((إلى أبي شمر ذي خولان)) فجئته، فوجده مهموماً حزيناً، فسألته عن ذلك، فقال: قدم رسول من صنعاً فذكر أن أصدقاء لي كتبوا إلي كتاباً، فضييعه الرسول، فبعثت معه من رقيقي من يلتمسه من قريتي وصنعاً، فلم يجدوه، وأشفقت من ذلك.

قلت: فهذا الكتاب قد وجدته، فقال: الحمد لله الذي أدرك عليه، ففضله فقرأه، فقلت: أقرئني، فقال: إني لأستحدثُ سنك، قلت: فما فيه؟ قال: ضرب الرقاب، قلت لعله إليك، ناس من أهل خروراء في زكاة مالك، قال: من أين تعرفهم؟ قلت إني وأصحاباً لي تجالس وهب بن منبه، فيقول لنا: احذروا، أيها الأحداثُ الأغمارُ، هؤلاء الخروراء، لا يدخلونكم في رأيهم المخالف؛ فَهُمْ عُرَّةٌ لِهَذِهِ الْأَمَّةِ.

دفع إلى الكتاب، فقرأه فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى أبي شمر، سلام عليك، فإننا نحمدُ إلينك الله الذي لا إله إلا هو، ونوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، فإن دين الله رُشْدٌ وَهُدُىٰ في الدنيا، ونجاةٌ وفوزٌ في الآخرة، وإن دين الله طاعة، ومخالفة من خالف سنة نبيه وشريعته، فإذا جاءك كتابنا هذا فانظر أن تؤدي - إن شاء الله - ما افترض الله عليك من حقه، تستحق بذلك ولالية الله، وولاية أوليائه والسلام عليك ورحمة الله.

قلت له: فإني أنهك عنهم. قال: فكيف أتبع قولك، وأترك قول من هو أقدم منك؟

قال: قلت: أفتحب أن أدخلك على وهب بن منبه؛ حتى تسمع قوله، ويخبرك

خبرهم؟

قال: نعم، فنزلت ونزل معي إلى صنعاً، ثم غدونا حتى أدخلته على وهب بن منبه، ومسعودُ بنُ عوفٍ والي على اليمين من قبل عروة بن محمد قال بن المديني: هو

عُروة بن محمد بن عطية السعديُّ، وألوانُه لهم من سعد بن بكر بن هوزان - قال: فوجدنا عند وهب نفراً من جلسايه، فقال لي بعضهم: منْ هذا الشیخ؟ فقلت: هذا هو أبو شمِّر ذو خولان من أهل حضور وله حاجة إلى أبي عبد الله.

قالوا: أفلأ يذكرها؟ قلت: إنها حاجة يريد أن يستشيره في بعض أمره فقام القوم، وقال وهب: ما حاجتك يا ذا خولان؟، فهرج وجُن من الكلام فقال لي وهب: عبر عن شيخك، فقلت: نعم، يا أبا عبد الله، إن ذا خولان من أهل القرآن، وأهل الصلاح فيما علمنا، والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنه عرض له نفر من أهل صناعه من أهل حرر، فقالوا له: زكائك التي تؤديها إلى الأماء لا تجزي عنك فيما بينك وبين الله؛ لأنهم لا يضعونها في مواضعها، فأدّها إلينا، فإنّا نضعها في مواضعها، نُقسمها في فقراء المسلمين، ونقيّم الحدود.

ورأيت أن كلامك يا أبا عبد الله، أشفى له من كلامي، وقد ذكر لي أنه يؤدي إليهم الشّمرة للواحد مئة فرقٍ^(١)، على دوابه، وبيعث بها مع رقيمه.

قال له وهب: يا ذا خولان، أتريد أن تكون بعد الكبر حَرُورِيَاً (يعني خارجياً من الخوارق) تشهد على من هو خير منك بالضلال؟! فماذا أنت قائل الله غداً حين يوقفك الله ومنْ شهدت عليه؟!، والله يشهد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر! والله يشهد له بالبُدُّى، وأنت تشهد عليه بالضلال!، فأين تقع إذا خالف رأيك أمر الله، وشهادتك شهادة الله؟! أخبرني يا ذا خولان، ماذا يقولون لك؟.

فتكلم عند ذلك ذو خولان، وقال لوهب: إنهم يأمروني ألاً أتصدق إلاً على من يرى رأيهم، ولا أستغفر إلاً له.

قال وهب: صدقت هذه مختهم الكاذبة، فأما قولهم في الصدقة، فإنه قد بلغني أن رسول الله ﷺ ذكر أن امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، فلا

(١) الفرق - بفتح الفاء والراء - : مكيل يسع ثلاثة أضعاف، أو سنتة عشر طلاً عراقياً.

هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(١)، فأنسانٌ من يعبدُ الله وحده، ولا يُشرك به شيئاً، أحبُ إلى الله من أن يُطعمه من جُوع أو هرَّةً.

والله يقول في كتابه: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حِبَّةٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جُزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطِيرًا﴾، ويقول يوماً عسيراً غضوياً على أهل معصيته؛ لغضب الله عليهم ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، حتى بلَغَ: ﴿وَكَانَ سَعِيكُمْ مَشْكُورًا﴾

[[الإنسان: ٨ - ٢٢]].

ئُمَّ قال وَهَبْ: ما كاد تبارك وتعالى أن يفرغ من نعت ما أَعْدَ لَهُمْ من النعيم في الجنة.

وأما قولهم: لا يستغفر إلا لمن يرى رأيهم، أهم خير من الملائكة؟!، والله تعالى يقول في سورة ﴿حُمَّعَ عَسْق﴾: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشوري: ٥].

وأنا أُقسِمُ بالله ما كانت الملائكة ليقدروا على ذلك، ولا ليفعلوا حتى أُمِروا به؛ لأنَّ الله تعالى، قال: ﴿لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وإِنَّهُ أَتَيَّتَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ ﴿حُمَّ عَسْق﴾ [الشوري]، وفُسِّرَتْ فِي ﴿حُم﴾ الكبُرِيَّ، قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يَسْبُحُونَ بِحَمْ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

(١) خشاش الأرض: هو أمّها وحشراتها، وواحدها خشاشة.

ألا ترى يا ذا خولان، أني قد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت للخوارج جماعة قطٌ إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحدٌ منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج، ولو أمكن الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحجُّ عن بيت الله الحرام، وإذاً لعاد أمر الإسلام جاهليةً، حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجahلية، وإذاً لقام أكثر من عشرةٍ - أو عشرين رجلاً - ليس منهم رجلٌ إلا وهو يدعون نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلافٍ يقاتل بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح الرجل المؤمن خائفاً على نفسه ودينه، وأهله وماله، ولا يدرى أين يسلك، أو مَعَ مَنْ يكونُ، غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة، وحسن النظر لهم، فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءهم، وستر به عوراتهم، وعورات ذراريهم، وجمع به فرقتهم، وأمن به سُبُّلهم، وقاتل به عن بِيضةِ المسلمين عَدُوَّهُمْ، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومهم، وجاهد به ظالمهم رحمةً من الله رَحْمَهُمْ بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعْضٍ﴾ إلى العالَمِينَ ﴿البقرة: ٢٥١﴾، ﴿وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ حتى بلغ تهندون ﴿آل عمران: ١٠٣﴾.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، فأين هم من هذه الآية؟!، فلو كانوا مؤمنين لُنَصِّروا. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلْمَاتُنَا لِعَبْدَنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُنْصُورُونَ، وَإِنَّ جَنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بالصفات: [١٧١-١٧٣]، فلو كانوا جُنْدَ الله غلبوا ولو مرة واحدةً في الإسلام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلاً إلى قومهم﴾ حتى بلغ نصر المؤمنين ﴿[الروم: ٤٧]﴾، فلو كانوا مؤمنين نُصروا، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ حتى بلغ ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ ﴿[النور: ٥٥]﴾.

فأين هم من هذا؟!، هل كان لأحد منهم قُطُّ أُخْبَرَ إِلَى الإِسْلَامِ مِنْ يَوْمِ عُمْرِ ابْنِ الْخَطَابِ بَغْيَرِ خَلِيفَةٍ، وَلَا جَمَاعَةٍ، وَلَا نَظَرٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ﴾ ﴿[التوبه: ٣٣]﴾، وَأَنَا أَشَهِدُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَذَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا عَدُوهُمْ مِنَ الظُّهُورِ وَالْتَّمْكِنِ وَالنَّصْرِ عَلَى عُدُوِّهِمْ، وَمَنْ خَالَفَ رَأِيَ جَمَاعَتِهِمْ.

وقال وَهْبٌ: أَلَا يَسْعُكُ يَا ذَا خَوْلَانَ، مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَهْلِ الْقَبْلَةِ وَأَهْلِ الْإِقْرَارِ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَسُنْنَتِهِ وَفِرَائِضِهِ، مَا وَسَعَ نَبِيُّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ وَالْكُفَّارِ، إِذْ قَالَ لِهِ قَوْمَهُ: ﴿قَالُوا أَنَّمَنْ لَكَ وَاتَّبَعْكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ حتى بلغ: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ ﴿[الشعراء: ١١١-١١٣]﴾.

أَوْ لَا يَسْعُكُ مِنْهُمْ مَا وَسَعَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ، إِذْ قَالَ: ﴿وَاجْنَبْنِي وَبْنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿[إِبْرَاهِيم: ٣٥-٣٦]﴾.

أَوْ لَا يَسْعُكُ يَا ذَا خَوْلَانَ، مَا وَسَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟
إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَضِيَ قَوْلَ نُوحٍ، وَقَوْلَ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلَ عِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَقْتَدِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ بَعْدُهُمْ، يَعْنِي: ﴿إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنَّ

الحوار في الإسلام

تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﷺ [المائدة: ١١٨]، ولا يخافون قول أنباء الله ورأيهم فيمن يقتدي إذا لم يقتدي بكتاب الله وقول أنبائهم، ورأيهم.
واعلم أن دخولك على رحمة لك، إن سمعت قولي، وقبلت نصيحتي لك،
وحجّة عليك غداً عند الله، إن تركت كتاب الله، وعدت إلى قول حرواء.
قال ذو خolan: فما تأمرني؟

قال وهب: انظر زكاتك المفروضة، فأدّها إلى من ولاه الله أمره هذه الأمة،
وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وب بيده، ويؤتى به من يشاء، وينزعه من يشاء،
فمن ملكه الله لا يقدر أحد أن ينزعه منه، فإذا أديت الزكاة المفروضة إلى والي الأمر
برئتها، فإن كان فضل فضل به أرحامك، ومواليك وجيرانك من أهل الحاجة،
وضيف إن ضافك. فقام ذو خolan فقال: أشهدُ أنني نزلتُ عن رأي الحروية،
وصدقتُ ما قلتَ، فلم يلبث ذو خolan إلا يسيراً حتى مات^(١).

حوار رجل من أهل الكلام مع الإمام الشافعي

جاء رجل من أهل الكلام إلى الإمام الشافعي وهو في مصر، فسأله عن مسألة
في الكلام، فقال له الشافعي: أتدرى أين أنت؟

قال الرجل: نعم.

قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر
بالسؤال عن ذلك؟!

قال: لا.

قال: هل تكلم فيه الصحابة؟

قال: لا.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق [١٧١/ق ٤٧٨، ٤٨٣]، والمرزوقي في تهذيب الكمال [١٥٣/٤]، والذهبي في السير [٥٥٣].

قال : هل تدری کم نجماً في السماء؟.

قال : لا.

قال : فكوكب منها تعرف جنسه ، طلوعه ، أ Fowlerه ، مم خلق؟.

قال : لا.

قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟!.

ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء ، فأخذوا فيها ، ففرعها إلى أربعة أوجه ، فلم يصب في شيء من ذلك.

فقال له : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علمَ الخالق؟! ، إذا هجس في ضميرك ذلك ، فارجع إلى الله ، وإلى قوله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾ [البقرة: ١٦٣ ، ١٦٤].

فاستدلى بالخلق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك فتاب الرجل^(١) ، على يد الإمام الشافعي من الكلام ، وأقبل على فقه الكتاب والسنة^(٢) ، وكان يقول بعد التوبة : ((إنا خلق من أخلاق الشافعي))^(٣).

حوار الإمام أحمد بن حنبل مع أمير المؤمنين الواقع في مسألة خلق القرآن :

قال الآجري - رحمه الله - :

(١) هذا الرجل الذي تاب من علم الكلام هو الإمام العلامة علم الزهاد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى ابن مسلم المزني المصري تلميذ الشافعي ، ولد سنة (١٧٥هـ) ، وله المختصر في الفقه ، وقد شرحه عدة علماء ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٦٤هـ) ، وانظر : السير (٤٩٤/١٢)..

(٢) المرجع السابق (١٥/١٥-٢٥).

(٣) المرجع السابق (١٢/٤٩٢).

بلغني عن المهتدى - رحمه الله - أنه قال: ما قطع أبي - يعني الواثق - إلا شيخ جيء به من المصيبة، فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره يوماً فقال: علي بالشيخ، فأتي به مقيداً، فلما أوقف بين يديه، سلم عليه، فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملت معي أدب الله تعالى، ولا أدب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَيْتُمْ بِتَحْيَةٍ فَحِيوا بِأَحْسَنِ مَا أَرْدَوْهَا﴾ [النساء: ٨٦]

[٨٦]

وأمر النبي ﷺ برد السلام.

قال له: وعليك السلام، ثم قال لابن أبي داؤد: سلّه.

قال: يا أمير المؤمنين، أنا محبوس مقيد، أصلى في الحبس بتيمم، مُنعت الماء، فمر بيودي تُحلّ، ومرّ لي بماء أتظهر وأصلّى، ثم سلني.

قال: أمّر فحّل قيده، وأمر له بماء، فتوضاً وصلى، ثم قال لابن أبي داؤد سلّه.

قال: الشّيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيئني. فقال: سلّ.

فأقبل الشّيخ على ابن أبي داؤد يسأله، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعوه الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بعده؟!.

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مِنْ بعدهما؟!.

قال: لا؟.

قال الشّيخ: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بعدهم؟!.

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعدهم؟!.

قال: لا.

قال الشيخُ: فشيءٌ لم يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا أَبُو بَكْرَ، وَلَا عُمَرَ، وَلَا عُثْمَانَ، وَلَا عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - تَدْعُ أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟!، لَيْسَ يَخْلُوْ أَنْ تَقُولَ: عَلِمْوْهُ أَوْ جَهَلْوُهُ، إِنْ قَلْتَ جَهَلْوُهُ وَعْلَمْتُهُ أَنَا، فِيَا لُكْعُ بْنَ لُكْعَ^(١)، يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْخُلُقَاءِ الرَّاشِدُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - شَيْئًا، وَتَعْلَمَهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟!.

قال المُهتَدِيُّ: فَرَأَيْتُ أَبِي وَتَبَّ قَائِمًا، وَدَخَلَ الْحَيْرِ^(٢)، وَجَعَلَ ثُوبَهُ فِي فِيهِ يَضْحَكُ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدِيقٌ، لَيْسَ يَخْلُوْ مِنْ أَنْ تَقُولَ: جَهَلْوُهُ أَوْ عَلِمْوْهُ، إِنْ قَلَّنَا: عَلِمْوْهُ وَسَكَتُوْنَا عَنْهُ، وَسَعَنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسَعَ الْقَوْمُ، وَإِنْ قَلَّنَا: جَهَلْوُهُ وَعَلِمْتُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، فِيَا لُكْعُ بْنَ لُكْعَ، يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، شَيْئًا تَعْلَمْهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟!.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ. قَالَ: لَبِيكَ. قَالَ: لَسْتُ أَعْنِيْكَ، إِنَّمَا أَعْنِيْ أَبْنَ أَبِي دَاؤِدَ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَعْطِهِ هَذَا الشِّيْخَ نَفْقَةً، وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلْدَنَا.

وَفِي رَوَايَةِ أُورَدَهَا الْذَّهَبِيُّ فِي ((السِّيرَ)): وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ أَبْنَ أَبِي دَاؤِدَ، وَلَمْ يَتَحَرَّ بَعْدَهَا أَحَدًا.

وَفِي رَوَايَةِ: قَالَ المُهتَدِيُّ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَأَظَنْ أَنَّ أَبِي رَجَعٍ عَنْهَا مِنْذَ ذَلِكَ الْوَقْتِ^(٣).

حوار شيخ الإسلام ابن تيمية مع بعض الطوائف:

لَقَدْ كَانَ شِيْخُ إِسْلَامٍ شَدِيدُ الْإِنْتِصَارِ لِمَذَهَبِ السَّلْفِ، وَالْدِفَاعُ عَنْهُ بِالْحَجَجِ الْعُقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ، وَقَدْ عَقِدَتْ لَهُ مَنَاظِرَاتٌ فِي مَصْرَ وَالشَّامِ فَمِنْهَا:

(١) الْلُّكْعُ: الْلَّثِيمُ وَالْأَحْمَقُ..

(٢) الْحَيْرِ: مِنْ الْحَيْرِ- بِالْفُتْحِ -: شَبَهُ الْحَظِيرَةَ. انْظُرْ ((السَّانُ الْعَرَبُ)) (٤١٧/٣).

(٣) قَالَ الْذَّهَبِيُّ: هَذِهِ الْقَصَّةُ مُلِحَّةٌ، وَإِنْ كَانَ فِي طَرِيقَهَا مَنْ يُجْهَلُ، وَلَهَا شَاهِدٌ فِي ((السِّيرَ)) (١١١/٣١٣). وَأَخْرَجَهَا الْأَجْرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ ص: ٩١.

المناظرة الأولى:

وكانت في العقيدة الواسطية التي كتبها لرضا الدين الواسطي من أصحاب الشافعى، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له، ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس؛ مما أدى إلى ثورة كبيرة من علماء الجهمية والاتحادية، والرافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية، فكتب السلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قضاة المذاهب الأربع، وغيرهم من توابهم، والمفتين، والشيخ، وعندما وصل الكتاب إلى أمير الشام جمَعَ قضاة المذاهب الأربع، والعلماء، والشيخ ابن تيمية في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الاثنين الثامن من رجب سنة (٧٠٥هـ)، ثم بدأ المجلس وقراءة العقيدة الواسطية من أولها، وكانت مناقشة الشيخ ومناظرته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ، ورد عليهم، وبين له مذهب السلف الصالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة، وإجماع السلف، وصار يُناظر أصحاب المذاهب، فكان أعلم بمذهبهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير.

ثم انتهى المجلس الأول، واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة في الثاني عشر من رجب سنة (٧٠٥هـ)، وقد أحضر قضاة المذاهب الأربع معهم صفي الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقى الدين كلاماً كثيراً ولكن ساقيته لاطمٌ بحراً عميقاً، ثم استلم من ناظر عقبه، فكان كالبحر الظاهر، حتى إن هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه، وليس لأحد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإجماع سلف هذه الأمة، مما أثبته الله لنفسه وكذا أثبته

الرسول ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكليف فهو ثابت له، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وجب نفيه عنه؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه. وانتهى هذا المجلس أمام الأمير، أما عن ابن تيمية فقد خرج الناس يحملون له الشمع إلى منزله على عادتهم في ذلك.

ثم عُقد المجلسُ الثالثُ في اليوم السابع من شعبان سنة (٧٠٥هـ) في القصر واجتمع الجماعةُ كلهم على الرّضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ، ويثنى عليه، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان^(١). فُاظهر اللهُ الحقُّ، والباطلُ، وظهرت محاورةُ ابن تيمية الحكيمُ أمام الجميع، فجزاه اللهُ خيراً.

المناظرة الثانية :

وكان هذه المناظرة - والتي أعز الله بها أهل السنة، وخذل بها أهل البدع والخرافات - مع الطائفة الأحمدية البطحائية، الذين كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف الصالح، وكان يأمرهم باتباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية، وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة (٧٠٥هـ) حضر هؤلاء المبتدعة في جمع هائل إلى قصر نائب السلطان طالبين أن يكف عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي، وعندما رأهم الناس اجتمع عليهم جم غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه ووصل، وسألته الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليم، وذكر له جميع ما يعرف عنهم، وأنه نهاهم عن البدع، وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ أنهم إذا دخلوا النار في هذا

(١) انظر: ((الفتاوى)) (٢٠١-١٦٠/٢)، و((حياة ابن تيمية)) (ص: ٢٧)، و((البداية والنهاية)) (١٤-٣٦).

الحوار في الإسلام

اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية من دهن الصفادع، وباطن قشر النارنج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة.

وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون من الأمير الصلح، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنّة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية أمّام الغفيرة الغفيرة، وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض وغاربها بأي شيء يصنعونه في النار من حيلهم إلا صنعوا مثلهم بشرط الغسل، وحكمه ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديلٌ يُوقدُ داخلًّا صبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل.

وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقرّوا بالتزام الكتاب والسنّة، وطلب ابن تيمية من الأمير أن يضرب عنقَ من خالف الكتاب والسنّة، فأعلن الأمير للناس أنَّ منْ خالف الكتابَ والسنّة ضُربَ عنقُه، وطلب الصوفية من الشيخ الكتبَ الصحيحةَ، فبُذلتْ لهم، وتفرق الناس على التوبيه، وسمع الناس يقولون: «فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَعَلَبُوا هَنالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ»^(١) [الأعراف: ١١٨، ١١٩].



(١) انظر هذه المنازرة مطولة في ((الفتاوي)) ٩/١١ (٤٧٥-٤٤٥)، وقد سُقتها بالمعنى، واستندت ذلك من كتاب ((الحكمة في الدعوة إلى الله))، وانظر مناظرات أخرى مفيدة في ((الفتاوي)) ١١/١٣٥-١١٦.

الباب الرابع

حوار الحضارات

- الفصل الأول: مفهوم الحضارة.
- الفصل الثاني: مقدمة تاريخية عن عالمية الإسلام.
- الفصل الثالث: حوار الحضارات في المفهوم الإسلامي.
- الفصل الرابع: التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى.
- الفصل الخامس: الرؤية المستقبلية لحوار الحضارات.

الفصل الأول

مفهوم الحضارة

الحضارة: مشتقة من الحضر، والحضر خلاف البدو؛ والحاضر خلاف البداء. ويقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البداء، والحضارة - بكسر الحاء - الإقامة في الحضر. وكان الأصمسي يقول: الحضارة بالفتح، قال القطامي:

فمن تكن الحضارة أَعْجَبَتْهُ فَأَيْ رَجَالٍ بَادِيَةٌ تَرَانَا

والحضر والحاضرة؛ خلاف البداء. وهي المدن والقرى والريف. سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، وسكنوا الديار التي يكون لهم بها قرار^(١).

إذن أهل الحضر يوصفون بأنهم أهل القرار كما يقال للحضري: قراري، الذي لا يتبع ولا يتنقل طلباً للكلاً في مواضعه. كذلك يوصف أهل الحضر بأنهم: أهل المدر، وهو قطع الطين المتماسك. أو أهل الحجر. لأنهم يسكنون بيوتاً متينة ثابتة، خلافاً لأهل الوبر، الذين يسكنون الخيام، من وبر الإبل، أو صوف الغنم، أو شعر الماعز^(٢).

ومفهوم كلمة «الحضارة» مفهوم تَطَوُّرَ مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية. ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البداء وحياة الحضر، منذ كانت باديةً ومنذ كان حَضَرْ. ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس الدراسة الواعية هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون^(٣).

ويرى أن الحضارة هي نمط من الحياة المستقرة الذي ينافق البداء، ويضفي على حياة أصحابها فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة، وإدارة شئون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية^(٤).

(١) لسان العرب (١/٦٥٨).

(٢) القيم الحضارية في رسالة الإسلام (ص: ٩).

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، توفي سنة ٨٠٨ هـ.

(٤) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ١٧).

والحضارة في فكر ابن خلدون: طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة وأنها غاية العمران^(١).

ويقول: إن الحضارة في الأمسكار من قبل الدول، وأنها ترسخ باتصال الدول ورسوخها. إنها أحوال زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفء، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير مُنْحَصِّرٍ، ويعقق فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها، ف تكون منزلة الصنائع^(٢).

والباحث يجد أن مفهوم الحضارة في العصور المتأخرة قد امتد إلى ألوان من المعاني هي أبعد وأوسع مما رأه ابن خلدون في عصره، وفي البيئة العربية، وفي انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البدائية إلى الحضر.

إن لفظ الحضارة في مفهومه العام والحديث المعاصر بصفة خاصة، قد أصبح أكثر اتساعاً مما يدل عليه اللفظ في مفهومه اللغوي التقليدي.

ولذا جاء في المعاجم الحديثة: إن الحضارة هي الرقي العلمي، والفنى، والأدبى، والاجتماعى، والاقتصادى في الحضر. وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هي: الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر، ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية. فالحضارة معناها: بذل المجهود بوصف الناس كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعى.

إن الحضارة هي جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيراً عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله.

ولاشك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٢١٠-٢١٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/٦٥٦-٦٥٧).

والمعارف. ومجموع ما ينبع عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وأداب المعاش اليومي^(١).

فالسلوك الإنساني الذي ينبع الحضارة هو استجابة لـتحدي من ظروف الطبيعة يكون هو المثير والدافع والحافز للإنسان. كي يتغلب على ما يواجهه، ومن ذلك عوامل في طبيعة الإنسان نفسها مثل حاجاته للطعام، والشراب، والدفء، والاستقرار، والأمن؛ وهناك منافسةُ الإنسان الآخر له على ذلك؛ ثم ما يكون من قصور ظروف بيئته المادية عن تلبية هذه الحاجات^(٢).

فالحضارة تحقق لراحة الإنسانية في جوانبها المتعددة، المقابلة المتكاملة، جسدية، وعقلية، ونفسية، وروحية؛ والسلوك الحضاري هو: جواب الإنسان على التحدي المواجه له؛ تحدي الطبيعة المادية من جهة؛ وتحدي حاجاته هو من جهة أخرى، وتحدي الإنسان الآخر أو المجتمع من جهة ثالثة؛ ويأتي هذا الجواب الإنساني على التحدي في صور نشاط متعدد الجوانب؛ كما تشمل أيضاً صور الإنتاج المادي من عمائر وطرق وجسور وقناطير وغيرها.

والحضارة على أي حال تمثل كل مظاهر من مظاهر الإنتاج البشري. وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعلاته مع البيئة. ولذا كان من الطبيعي أن تختلف كل حضارة في مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديها وحديثها مظاهر مميزة^(٣).

ولقد واجهت حضارات مختلفة في الزمان والمكان، وانتفعت من بعضها انتفاعاً أدى إلى تقدمها في مجتمعات كثيرة.

ولا يمكن أن تكون كل حضارة نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى، أو أنها لم تتفاعل معها. ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطي.

(١) فلسفة الحضارة (ص: ١٨).

(٢) القيم الحضارية في رسالة الإسلام (ص: ١٦).

(٣) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (ص: ٢).

الحوار في الإسلام

تأخذ ما يتفق مع طبيعة البيان العقلي والفكري للأمة. وتعطي ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال. وبطبيعة الحال، فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الفكر، والنشاط الإنساني المتصل الذي بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض^(١).

ولا يخفى أن النشاط العقلي، والإنتاج الحضاري، لابد وأن يستند إلى أدلة ملموسة والأدلة في هذه الحالة إما مادية مثل: النقوش والمعابد والآثار والمنشآت. وكذا شكل الإنتاج التكنولوجي. وإما فكرية مثل: الوثائق والمؤلفات والكتب والنظريات العلمية، والآراء المدونة كتابةً. أما فيما يتصل بالأدلة المادية، فإنها ميدان اهتمام التاريخ وباحثيه، وعلماء الآثار، ودارسيها. فدراسة هؤلاء تهدف إلى تفسير الحضارة الإنسانية بالأدلة المادية التي تميز حضارة من الحضارات عن غيرها. على حين أن مؤرخي العلم يهتمون بصورة أساسية بالنشاط الفكري، والنظريات والآراء وتطور الأفكار التي يقومون على تحليلها ونقدها ومحاولة تفسيرها.



الفصل الثاني

مقدمة تاريخية عن عالمية الإسلام

ظهرت الطبيعة العالمية لرسالة الإسلام من الأيام الأولى. كان حول الرسول ﷺ سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي - رضي الله عنهم - لقد آخى الإسلام بينهم وصهرت روحه القوية فوارق الدم والجنس بينهم كما كان حوله الرجال والنساء والأطفال؛ أحراراً وعياداً.

وعندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرر كل واحد من المهاجرين بوحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم في هذه المؤاخاة إلى الدرجة التي كان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها.

وكانت الثانية هي: «صحيفة الموادعة المشهورة» التي جمعت الفئات اليهودية داخل إطار «أمة المدينة» ورتبت عليهم واجباتٍ كما منحتهم حقوقاً وواجبات. وتعد صحيفة الموادعة من أولى المعاهدات التي ترتفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتحنح الجميع حقوقاً وواجباتٍ متساويةً.

ومع مرور الوقت كانت الطبيعة العالمية للإسلام تتضح وأصبحت نصوص القرآن صادعةً بذلك، مُصرّحةً ببعثة الرسول ﷺ إلى الناس جميعاً وتصف عالمية الإسلام الآيات التالية ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨).

وسلك الإسلام طريقةً حضاريةً سليمةً في الدعوة لعالميته، فها هي الخطابات التي أرسلها الرسول ﷺ إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر

وكانـت هذه الكـتب تـدعـو هـؤـلـاءـ الحـكـامـ إـلـىـ الإـيمـانـ بـالـإـسـلـامـ أوـ تـحـمـلـهـمـ مـسـؤـلـيـةـ إـبـقاءـ جـمـاهـيرـهـمـ فيـ ظـلـمـاتـ الـكـفـرـ إـنـ رـفـضـواـ.

وـكـمـاـ هوـ مـعـرـوفـ فـقـدـ رـفـضـ الجـمـيعـ باـسـتـثـنـاءـ المـقـوـقـسـ الـذـيـ لـمـ يـرـفـضـ وـلـمـ يـقـبـلـ،ـ وـأـهـدـىـ إـلـىـ الرـسـوـلـ هـدـاـيـاـ.ـ ذـلـكـ أـنـ كـانـ لـاـ يـسـعـ الـمـسـلـمـيـنـ غـيـرـ ذـلـكـ،ـ فـلـيـسـ لـدـيـهـمـ قـوـةـ أـنـ يـقـنـعـوـاـ الـمـلـوـكـ وـلـكـنـ عـنـدـمـاـ تـوـافـرـتـ لـهـمـ الـقـوـةـ كـانـ لـاـ بـدـ لـهـمـ مـنـ تـبـلـيـعـ الشـعـوبـ وـالـأـمـمـ،ـ بـصـفـةـ عـامـةـ بـرـسـالـةـ إـلـاسـلـامـ.

ذـلـكـ أـنـ التـبـلـيـعـ بـرـسـالـةـ إـلـاسـلـامـ بـاعـتـبـارـهـ الرـسـالـةـ الـخـاتـمـةـ أـمـرـ إـلـهـيـ،ـ قـالـ تـعـالـىـ:ـ **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى الْنَّاسِ وَيَكُونَ الْرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (البـرـةـ:ـ ١٤٣ـ)،ـ **﴿فَكَيْفَ إِذَا جَعَنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَعَنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** (النـسـاءـ:ـ ٤١ـ)،ـ **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجَعَنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** (النـحـلـ:ـ ٨٩ـ)،ـ **﴿وَجَهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ هُوَ أَجْتَبَنَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الَّدِينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلْهَةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الْرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى الْنَّاسِ﴾** (الـحـجـ:ـ ٧٨ـ).

إـنـ إـلـاسـلـامـ كـمـاـ هوـ عـقـيـدـةـ دـيـنـيـةـ،ـ فـإـنـهـ أـيـضاـ عـدـالـةـ دـنـيـوـيـةـ،ـ وـقـيـمـ حـضـارـيـةـ،ـ وـقـدـ اـسـتـبـعـدـ إـلـاسـلـامـ فـرـضـ الـعـقـيـدـةـ الـدـيـنـيـةـ بـالـقـوـةـ؛ـ عـلـىـ أـهـلـ الـكـتـابـ دـوـنـ مـنـ سـوـاـهـمـ مـنـ الـمـشـرـكـيـنـ وـالـوـلـثـيـنـ الـذـيـنـ خـيـرـهـمـ بـيـنـ الـإـيمـانـ أـوـ الـقـتـالـ،ـ حـتـىـ يـعـمـ التـوـحـيدـ أـرـجـاءـ الـعـمـورـةـ.ـ هـنـاـ نـجـدـ أـفـضـلـ صـورـةـ لـلـعـالـمـيـةـ،ـ صـورـةـ تـعـرـفـ النـاسـ بـدـيـنـ يـسـتـبـعـدـ عـبـادـةـ الـأـحـبـارـ وـالـرـهـبـانـ وـالـمـلـوـكـ وـالـطـغـاـةـ،ـ وـيـعـرـضـ عـبـادـةـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ الـخـالـقـ الـكـرـيمـ رـمـزـ الـقـيـمـ وـالـمـثـلـ الـغـائـبـةـ وـالـإـيمـانـ بـرـسـولـ الـلـهـ النـبـيـ الـخـاتـمـ رـحـمـةـ الـلـهـ لـلـعـالـمـيـنـ.

وفي الوقت نفسه فإن تطبيق القيم والنظم الإسلامية التي تقوم أساساً على العدالة، وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع، وتنفتح أبواب الحرية، وآفاق المبادرات للأفراد جمِيعاً.

إن للإسلام عالميةً وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوَرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَكُم﴾ (الحجرات : ١٣).

وهذه العالميةُ لا تقفُ أمامها حدودٌ أو سودٌ وهي تنظر إلى الناس جمِيعاً دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والإسلام يجد من واجبه أن يعرف الناس بالإسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم حضارية، فال المسلمين هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها.

إن الإسلام بطبيعته عالمي وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم، وإن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ أهل الكتاب بدينهم؛ لأن الإسلام وإن كان عقيدة من ناحية فهو نظام في ناحية أخرى وقاعدته العامة هي الآية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشَرِّكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران : ٦٤).

سمات عالمية الإسلام ومظاهر ذلك:

وتمثل عالمية الإسلام في عدم اختصاصه بجنسٍ من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص، أو بيئة معينة. ويكون عالمياً بامتداد هدایته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه. بمعنى أن يكون الدين صالحًا لكل جنس، وكل جيل ولكل زمان ومكان. وبمعنى آخر: يكون الدين عالمياً: إذا كان شريعة

الحوار في الإسلام

الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن العوامل والظروف العارضة، التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان، وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دين. وهناك خصائص يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان، هذه الخصائص هي:

- ١- وفاؤه بحاجة الناس جميعاً، فيما يصون وحدتها، ويرعى إنسانيتها، ويحمي أفرادها في العاجل والآجل.
- ٢- تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كليها في محيط واحد، ولا تنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون، أو فُرقة جنس.
- ٣- اتساقه مع حقائق الكون، وخصائص الوجود؛ بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم، أو مختلف مع منطق الفكر.

وكذلك لا يكون عالمياً إلا إذا صحب الإنسان في جميع أزمانه المتطرفة، وعصوره المتلاحقة، أي: يكون خالداً، لا يعتريه نسخ أو زوال ولا عقم ولا جمود؛ موافقاً بجميع مطالب الإنسان المتنوعة المتجددة في كل الميادين التي يزاول فيها الإنسان بعقله الواسع نشاطه الكامل. ولا يوجد دينٌ فيه هذه الموصفات التي تجعله عالمياً، إلا دين الإسلام.

والعالمية من القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام؛ لأن مجتمع الإسلام هو مجتمع الإنسانية كليها، مجتمع ليس بجغرافيتها حدود، وليس للعنصرية فيه وجود. فالرسالة الإسلامية قد توجهت للناس كافة، من جميع الأجناس والألوان، وفي كل العصور، وبالعالمية التي اتصف بها الإسلام، يتميز عما سبقه من رسالات سماوية كانت توجه إلى أقوام بعينهم، في عصر معين^(١).

(١) هذا هو الإسلام، سماته وحاجة الإنسانية إليه. (ص: ١٣٢).

عناصر ومقومات عالمية الإسلام:

إن الإنسان وهو يتبع عالمية الإسلام يلحظ بوضوح، أن العالمية في الإسلام، قد قامت على عناصر متكاملة:

العنصر الأول: وحدانية الإله، وإنكار تعدد الآلهة، ومن هنا كان أساس الإيمان في شريعة محمد ﷺ أن يكون بالله وحده لا شريك له، وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه .. واقتضى هذا العنصر:

١ - وحدانية الربوبية. فلا خالق، ولا مدبّر، ولا متصرف سواه.
٢ - ووحدانية الألوهية. فلا معبود، ولا مسؤول، ولا مستعان سواه، وبالوحدة يُشَيَّقُها دعا الإسلام.

العنصر الثاني: الإيمان بكتاب الله المنزلة على الأنبياء، سواء منها ما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على إخوانه السابقين؛ لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام، لا يتحقق إلا به.

فالإيمان بوحدانية الله، والإيمان بكتبه، ورسله، عناصر رئيسة في العالمية التي جاء بها الإسلام.

أدلة عالمية الإسلام:

إن عالمية الإسلام قضية لابد لها من أدلة تدعمها، و Shawahed تثبتها، ولهذا سنحاول أن نعرض هذه الأدلة لتكون معلماً الطريق في عالمية الدين الإسلامي.

الأدلة النقلية: وهي أدلة تعتمد على ما ورد في كتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ من قوله وفعله. وأدلة الكتاب جاءت منها آيات مكية، تدل على أن وصف العالمية لازماً الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى، ومنذ أشرقت على الناس، كما جاءت منها آيات مدنية تنبئ عن العالمية واستمراريتها.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْكِمُ وَيُمِيتُ فَإِمَانُكُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلَمَتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلِمْنَاهُ أَلْشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ لِّيُنَذِّرَ مَنْ كَانَ حَيَاً وَيَحْقِقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ (يس: ٦٩ - ٧٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم: ٥٢).

ومن أدلة السنة النبوية: ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً مل معطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، ويعثث إلى كل أحمر وأسود» الحديث^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «إنني قلت يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً» الحديث^(٢).

وفي كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي ملكي عمان، قوله: فإنني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين^(٣).

(١) رواه البخاري [الحديث ٣٣٥ - ٤٣٨]، في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ومسلم [٥٢١]، وهذا لفظه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب [٥].

(٢) رواه البخاري [٤٦٤٠]، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، كتاب التفسير، باب: ﴿ قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً ﴾.

(٣) المواهب اللدنية للقسطلاني (١ / ٢٢٥).

الأدلة العقلية: وهي تقوم على المقومات الأساسية، الخالدة للإسلام إذ أنه قائم على العقل والبرهان، وأن هناك أصولاً أولية يتألف منها دستور علمي، يوجه إلى بناء الحكم، وهي تنحصر في هذه الكليات التي تفيد: دوام النظر، والتفكير في الوجود إجمالاً، وفي الكائنات التي فيه تفصيلاً، ودرس أحوال الأمم، والاعتبار بها، وتنور نواميس الاجتماع خاللها، والاستهاء بالأعلام النصوبية في الوجود لهداية السالكين إلى الحقائق الخالصة من الشوائب، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية، ومن الهوى في الحكم على الأشياء، والاجتهاد في تحصيل العلم حيث كان، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال؛ الذي قدره الخالق للإنسان في هذا العالم، واعتبار وحدة الإنسانية، وأن الناس ما قسموا إلى الأمم وشعوب وقبائل، ليتخالفوا ويتناكروا، وإنما ليتعارفوا ويتاحبوا^(١).

ويضاف إلى ما سبق من عوامل أساسية كدليل على عالمية الإسلام: أن الكلمة «الإسلام» لا تدل على اسم شخص بعينه، أو أمة بعينها، وإنما تدل على صفة مخصوصة بضمها معنى الإسلام.

ويظهر من هذا الاسم: أنه ما عُنيَ بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من الرجال، وليس خاصاً بأمة معينة، دون سائر الأمم، وإنما غايته أن يصبح الأرض جميعاً بصفة الإسلام، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم هو مسلم، ويكون مسلماً كل من سيتحلى بها في المستقبل.

فالكلمة إذن بدلولها وغايتها عامة شاملة، تتسع لماضي الناس وحاضرهم ومستقبلهم، كما وسعت نبوات الأنبياء جميعاً، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحد هم دون الآخر.

والإسلام بلغة القرآن: ليس اسم الدين خاص، إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباعهم.

(١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه (ص: ٢٤ - ٢٥).

الحوار في الإسلام

الأدلة الواقعية: وهي كثيرة، وكلها تشهد لعالمية الإسلام وأنه دين الإنسانية كلها ف منها :

أولاً : كان من السابقين إلى الإسلام أبو بكر الصديق العربي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

فأبو بكر الصديق رض كان من رؤساء قريش في الجاهلية محبّاً فيهم ، مألفوا لهم ، وكان إليه الأشناق ^(١) في الجاهلية ، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته ، وحملة من قام معه ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه . فلما جاء الإسلام سبق إليه ، وأسلم على يده جماعة لمحبّتهم له ، وميلهم إليه ^(٢) .

أما بلال بن رياح رض : فقد اشتراه أبو بكر الصديق رض وأعتقه لله عز وجل ، وكان عمر بن الخطاب رض يقول : أبو بكر سيدنا ، واعتق سيدنا ، يعني بلا لا .

وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بعكة سبعة : رسول الله صل ، وأبو بكر ، وخطيب ، وصهيب ، وعمار ، وبلال ، وسمية أم عمار ^(٣) .

وأما سلمان الفارسي : فأصله من فارس ، وكان ببلاد فارس مجوسيّاً ، سادن النار ^(٤) . فجاء إلى العرب في قصة طويلة وأسلم .

وأما صهيب الرومي : فكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأئلة ^(٥) وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل .

(١) الأشناق : هي الديات التي يدفعونها ومفردها (دية) ابن الأثير ، أسد الغابة (٣١٠ / ٣) .

(٢) أسد الغابة (٣١٠ / ٣) .

(٣) أسد الغابة (٤٨١ / ٥) ، وهذا الأثر جاء مثله عن ابن مسعود بسند حسن أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة [١٣٨ / ١] ، وقد رواه الإمام أحمد في المستند [٤٠٤ / ١] ، والحاكم [٢٨٤ / ٣] ، وقال صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في السيرة النبوية الصحيحة لابن كثير [١٢١] .

(٤) أسد الغابة (٤١٧ / ٢) .

(٥) هي : بلدة على شاطئ دجلة ، على بعد أربعة فراسخ من البصرة في زاوية الخليج ، الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة ، كان سكانها قوم من الفرس ، يعملون في البحر ، فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متعاهم وعيالهم إلى مدينة سيدان . انظر معجم البلدان [١ / ٧٦ - ٧٨] ، والروض العطار (ص : ٩ - ٨) .

ثانياً: من الحقائق الواقعية في التعامل الإسلامي الدال على عالمية الإسلام: أنه نادى كل الناس، فكانت العقيدة الفائقة التي وضعها الإسلام، والمبدأ العام الذي يجب أن تسير عليه البشرية في تطورها؛ لتصل إلى غايتها هو المعتبر عنه في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَمِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالإسلام - كما يفهم من النصوص القرآنية - جاء ليقيم رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جمِيعاً بالله الخالق، فهم جمِيعاً عباد الله لا يجعل شعباً معيناً شعبه المختار.

والرسول ﷺ الذي أمر بتبلیغ الإسلام، خوطب في القرآن الكريم على هذا الأساس: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ولم يرسل ليكون هادياً إلى قومه وحدهم كما أرسل موسى هديًّا لبني إسرائيل، وكما أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل إنما أرسل ليكون للناس أجمعين.

ثالثاً: ومن الحقائق الدالة على عالمية الإسلام: الكتب والرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى ملوك الأمم، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

يقول ابن هشام: بعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه كتب معهم كتاباً إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

• بعث دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر ملك الروم.

• وبعث عبد الله بن حداقة السهمي إلى كسرى ملك الفرس.

• وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.

• وبعث حاطب بن أبي بلترة إلى المقوص عظيم مصر.

وأشار ابن هشام، في سيرة النبي ﷺ إلى كتب ورسائل أخرى إلى ملوك عمان، واليمامة، والبحرين، وتخوم الشام. ومن أمثلة هذه الكتب: ما أرسله النبي ﷺ إلى

النجاشي ، إذ قال له : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْجَبَشِيَّةِ أَسْلَمْتُ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ ، السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ، الْمَهِيمُنُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ ، وَكَلْمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولَ الْطَّيِّبَةَ الْحَصِينَةَ ، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى ، خَلْقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْسِهِ ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَةُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنَّ تَبْعُنِي وَتَؤْمِنُ بِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجْنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبِلُوا نَصِيْحَتِي ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى»^(١) .
وَالْأَدْلَةُ عَلَى عَالَمَيْهِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ ، وَتَتَجَلَّ فِي الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَتَشْرِيعِهِ ، وَأَخْلَاقِهِ ، وَفَضَائِلِهِ ، وَكُلِّ وَمَضَّةٍ مِنْ وَمَضَّاتِهِ ، وَإِشْرَاقَةٍ مِنْ إِشْرَاقَاتِهِ .



(١) سيرة ابن هشام (١/٢١٨).

الفصل الثالث

حوار الحضارات في المفهوم الإسلامي

تعد قضية الحوار مع الآخر فريضة شرعية اقضتها دعوة الإسلام، التي اعتمدت في رسالتها إلى العالم منطق الرفق واللين والجادلة بالتي هي أحسن. «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

ولعل الحوار في أدق معانيه ودلالاته الاصطلاحية: يعبر عن اتجاه سام بالمجتمعات الإنسانية بعيداً عن نزق الأهواء، وجموح العواطف، وغائلة الظلم، والتعصب، والانفلات... والحوار إلى جانب هذا يعد من أرقى الوسائل إلى إقرار الحق والعدل والمساواة في دنيا البشر؛ إنه توظيف حيوي للملكات الخير في النفس البشرية كي تعمل دورها في الحياة للحيلولة دون اندثار البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية إلى شفناً الحروب والصدامات!

والإسلام ابتداء، ومن منطلق دعوته الكونية لم يضمر لأحد من الناس كيداً ولا ضغينة ولا حقداً قط، فالإسلام لا يريد أن يدفع أهل الكتاب إلى الإيمان به قهراً وقسراً كما فعلتْ وتفعلْ حضارة الغرب^(١). فغير المسلمين اعتمد القرآن في خطابه إليهم منهجاً للحوار، ولا سيما القضايا الأكثر حرجاً وتعقيداً، وذلك صيانة للمسلمين والمؤسسات؛ فرغم خلافنا العقدي معهم لم يشاً الله لنا التعرض إليهم بسب أو تجريح؛ تلافياً لما قد لا يعود بنفع على دعوة الله عزل وجل في الأرض «وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِعَيْرِ عِلْمٍ» (الأنعام: ١٠٨).

وأهل الكتاب قد ميزهم الله في كتابه الكريم من حيث الخطاب والمعاملة؛ ذلك بأنهم كانوا معنيين قبل بعثة النبي ﷺ بتأمين عقيدة التوحيد في أرض الله، فهم

(١) قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري (ص: ٩١).

أصحاب رسالات سماوية سابقة، وأهل نبوات سابقة، والطبيعي أن يسعوا حثيثاً من جانبهم إلى غرس القيم السماوية في نفوس البشر أجمعين، كل بحسب ما لديه من مرجعيات. فلما كان التفريط من جانبهم والصد والإعراض: أرشدنا الله تعالى إلى كيفية مخاطبتهم: **﴿ قُلْ يَأْهَلَ الْكِتَبِ لِمَ تَصْدُورُونَ ﴾** عن سَبِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٩)، ولما بلغت الإساءة من جانبهم إلى الله مبلغاً؛ أخذ القرآن الكريم ينطرب ودهم، متمسكاً بما ينبغي الالتقاء عليه، والالتفاف حوله، والعمل من أجله **﴿ قُلْ يَأْهَلَ الْكِتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾** (آل عمران: ٦٤).

والإسلام في هذا السياق يعني بالأصول والكليات، ويهتم بما هو أهل للاتفاق عليه، دون خوض في تفاصيل ثانوية لا طاقة لأولى الجد بها !! ولعل الدعوة القرآنية إلى اعتبار إبراهيم عليه السلام رمزاً مشتركاً لقضية العقيدة من دلالات رغبة الإسلام الصادقة في البعد بالحوار الحضاري عن أجواء الاختلاف والتوتر والعصبية^(١).

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

فهي خطوات جادة - من خلال الحوار حول الإيمان بأنبياء الله جمیعاً - نحو التقارب والتعارف والتعايش في ظلال مفاهيم سلیمة سمححة كریمة، خالية من التمايز الزائف والتفاصل المفتوحة **﴿ يَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم، وآفاق الحوار (ص: ٢٦٦).

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَيْرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ولقد اقتضت عالمية الإسلام: شق قنوات اتصال بالآخرين، ومد يد التعاون والتفاعل الإيجابي معهم، وذلك وصولاً إلى تحقيق قدر معقول من التوازن في حركة الحياة .. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا آلِسَنَةُ أَدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

أما من استغنى: فالإسلام وضع بشأنهم العهود والمواثيق، فلقد كانت المدينة المنورة مقام خليط من الملل والأعراق والعصبيات؛ فاتجه النبي ﷺ إلى وضع دستور تتحدد من خلاله معالم الوحدة الاجتماعية، وتصورات التعايش الحضاري مع أصحاب الرسالات وأهل الذمم والمعهود.

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، ودعا فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم: أن اليهود يقفون مع المؤمنين في حربهم، وأن يهودبني عوف أمة مع المؤمنين، وأن ليهودبني النجار مثل ما ليهودبني عوف، وإن الله جارٌ من بر واتقى و محمد رسول الله^(١).

إن الإسلام يرى اختلاف الأجناس والألوان، وتبالين الطبائع والأفهام، وتعدد الموهب والقدرات، من مقتضى حكمة الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

(١) السيرة لابن هشام (١٢٨/٢)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى [١٠٦/٨]، كتاب الديات وابن سيد الناس في عيون الأثر [١٩٨/١]، وأبو عبيد في الأموال [٥١٧] وكتاب الأموال لابن زنجويه [٧٥٠]. وذكرها أكرم العمرى في السيرة النبوية الصحيحة [٢٧٢/١١-٢٧٥] وقال: ذهب الأستاذ يوسف العش إلى أن الوثيقة موضوعة بل رواها ابن إسحاق بدون إسناد ونقلها عنه ابن سيد الناس ثم ذهب ينقده العمرى مطولاً وقوى أمرها- [٤٧٢/١]، وانظر حاشية يوسف العش حاشية [٩] ص [٢٠]، كتاب الدول العربية وسقوطها.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَانَكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنِيَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (المائدة: ٤٨)، فلعل هذا الاختلاف يحقق للبشرية قدرًا من طموحها وتطبعاتها إلى التنمية الحضارية من خلال التعاون والتفاعل الإيجابي فيما بين يدي بني الإنسان من معطيات السماء المادية والروحية. فالحوار منْ نَمَّ كان ضرورة بشرية، بحكم طبيعة تلك المعطيات، وفضلاً عما ينبغي الاتلاف عليه من أمور ترجم في الحقيقة ما قد يختلف بصدره^(١).

فعلى الناس أن يستشعروا الرابطة الأسرية الكبرى التي بينهم، فأبواهم آدم وأمهم حواء، وبهذه الرابطة ذكر القرآن الناس وكثيراً ما ناداهم يا بني آدم فلم لا يعيشون عيشة الأسرة الواحدة ويرجئون كلمة الفصل بينهم إلى مَنْ إِلَيْهِ مَصِيرُهُمْ؟!^(٢).

وبعيداً عن جو الصدمات والمحروب: أتاح الله للطاقات البشرية مجالات خير متعددة تستوعب زخمها الطاغي لللحوح، ولتشتت من خلال تلك المجالات كفاءتها، وتحقق بالعمل النافع لكل البشرية ذاتها الحضارية، وتميزها بقيم الخير.. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلِيَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦).

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوْلَيهَا فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨).

وتأييد الله في هذا السياق لا يقر المحاباة إلا بالحق، فتلك سنة من سنن الله في خلقه لا تبديل لها ولا تحويل^(٣) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧).

(٢) مبادئ التعايش السلمي في الإسلام (ص: ١٥١).

(٣) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧).

دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ﴿النور: ٥٥﴾.



الفصل الرابع

التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى

التقاء الحضارة الإسلامية مع حضارات الأمم المختلفة تم بناء على أن العالم هو أقرب ما يكون إلى منتدى عالمي لحضارات متميزة تشتراك أ منها في عضوية هذا المنتدى ، ومن ثم فإن بينها ما هو مشترك حضاري عام.

والذين يعيشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارات الغنية ، والتاريخ القديم ، والتراث العريق ، أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها ، ومذاهبها ، وتقاليدها ، وأعراافها يدركون أن العالم الإنساني به الأمم متعددة تتميز كل منها بشخصيتها الحضارية المتميزة.

وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعراافها ، وفي معايير الحلال والحرام ، والمشروع والمنع لدى أبنائها ، وفي موازين الأذواق والحسنة الجمالية ، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون ، وتصوراتها لمصيره بعد الموت ، إذا نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم ، في هذه القضايا الأهميات أدركنا السمات التي تميز بينها جنباً إلى جنب مع سماتٍ تشتراك فيها ، فتجمع بينها^(١).

ولا يخفى أن الداعية الإسلامي الذي يسبّر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم ، ويتبّع خيوط هذا التمايز الحضاري ، يجد أنها تضرب بجذورها في أعمق أعمق التاريخ حيث كان البابليون ، والآشوريون ، والفينيقيون ، والمصريون ، وغيرهم من أسهموا في الفكر الإنساني ، وكان لهم تميز حضاري^(٢).

ولعل نظرة فاحصة إلى أمم مثل الفرس والصين والهند واليابان ستفضي بالباحثين إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات والموراث الحضارية ، وطرائق العيش ، والحياة ، وفي النظرة للكون وتصوره لدى شعوب وأمم هذه الحضارات.

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٨ - ٩).

(٢) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ٨٠)

وكذلك الحال إذا تأملنا الحضارة الغربية منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة، والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كانت ثمرة لاندماج الموراث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام - بعد الإحياء لهذه الموراث - وثمرة لاندماج هذه الموراث في الفكر الإسلامي، الذي صفاها وطورها وفقاً لمعاييره^(١). حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا، وابتكرموا.

إذن لا بد من التصور الذي يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه على المستوى العالمي الإنساني وجدنا في هذا الفكر ما هو «مشترك إنساني عام» لا يختص بحضارة بذاتها. وفي هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والعرب هم وارثوا الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العربية عزلة كاملة؛ فقد انفرد الصحراء العربية بين صحارى العالم أجمع بأنها أحاطت منذ القدم بأرقي حضارات العالم. ففي الشمال ازدهرت حضارة ما بين النهرين، وحضارات الإغريق، والكنعانيين، والآراميين، وجزر بحر إيجه، وفي الغرب ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفي الشرق كانت الحضارة الفارسية ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى، وفي الجنوب كانت حضارة اليمن.

وكانت القوافل العربية دائبة الحركة بين مراكز هذه الحضارات عند أطراف الصحراء تنقل البضائع والسلع، وكان لا بد أن تتحرك المعرف والثقافات مع السلع والبضائع، وأن تختلط هذه الثقافات وتتزوج في حركة بطيئة ولكنها ثابتة مستمرة. وأن يؤدي كل ذلك إلى تصفية الأفكار والمعرف وتقدمها تبعاً لهذا الاختلاط والتزاوج^(٢).

في هذا الجو جاء الإسلام، إنه لم ينتشر في فراغ؛ فال الأمم التي صادفها أو اتصل بها في حركة المد الكبيرة، أو تلك التي اعتنقته ودانت به أمم عرفت حضارات شتى، وثقافات متنوعة، ومرت بتجارب، وخبرات متعددة.

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٩) «بتصرف».

(٢) المصدر السابق (ص: ١٦٤).

الحوار في الإسلام

وكان الاختلاط بهذه الأمم اختلاط قتال وحروب ومعارك أولاً، ثم اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك. ومن هنا كان التأثير والتأثير، ومن هنا كان التفاعل والإخلاص، وكان الأخذ والعطاء، وتبادل الأفكار والأراء.

وبذلك عرفوا حضارة الهند، وحكمة فارس، وفلسفة اليونان، واختلط المسلمون بأقوام توعت عقائدهم، وتشعبت آراؤهم. وصادفوا مئات المفكرين والباحثين والمتقين، واتصلوا بأصناف من الأفراد والجماعات لا تدخل تحت حصر، وشاع التزاوج والإصهار، وتفاعل العادات والتقاليد والآراء والأفكار والمذاهب والمواقف وال العلاقات. وجاءت وحدة الدين لتعطي هذا التفاعل صيغة فريدة، ونتج عن ذلك كله مزاج فكري واجتماعي وروحي جديد أعطى الحضارة الإسلامية معناها ومبناها^(١).

لقد قام المسلمون بتحرير العلوم، وتنقيتها من الشوائب، وتطويرها، وتنميتها، وصقلها، وإصلاح فاسدها مسترشدين بالمنهج العلمي العام الذي رسمه لل المسلمين مصدراً التشريع: القرآن والسنة.

إن الدولة الإسلامية الجديدة التي عملت على نشر الإسلام في الممالك المختلفة، والتقت بحضارات الأمم لم تأخذ من الحضارات إلا لكي تعطي، إنها لم تقبل التراث الفكري اليوناني وغير اليوناني إلا لكي تهضمه بعقليتها الجديدة، وتمثله بمنطق تفكيرها، وروح عقidiتها، وبكل أصالة تاريخها وخصبها، وترده بعد ذلك أضعافاً مضاعفة. فقد أقبل المسلمون على علوم اليونان، والهند وأصحاب الحضارات القديمة يغترفون منها ما كان في وسعهم أن يغترفوا، لكن تلك العناصر التي التهموها قد تحولت على أيديهم ل تكون غذاء جديداً^(٢).

(١) المرجع السابق (ص: ١٦٤).

(٢) أصالة الفكر العربي (ص: ١٦٧).

إن العلماء المسلمين وهم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة والمذاهب والأفكار، ويستعينون بها في عملية البناء كان رائدهم في ذلك البحث عن الحقيقة لذاتها والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

لقد أخذ المسلمون ما أخذوا لأنهم طلاب حقيقة وهذا حسبيهم، إنهم لم يقدموا على النقل والاقتباس للتجميل والزينة، ولبياهوا الناس بكثرة الأحجار الكريمة، والأسوار والعقود، بل بناء الذات، واستدراك ما فات، واستكمال أسباب الحياة.

لقاء الإسلام بالحضارة الفارسية:

ليس هناك شك في أن الفتح الإسلامي للإمبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بعواريthem الحضارية الغنية في إطار الدولة الإسلامية قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضاري واسع، وعميق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامي. لكن الراسد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامي - إبان تبلور حضارته، وبين الميراث الفارسي يستطيع أن يميز بين ما قبل وبين ما رُفض من هذا الميراث.

لقد فتحت فارس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رض، وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى في الدولة الإسلامية: النيل، ودجلة، والفرات. ولم يتردد عمر بن الخطاب رض في تبني النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية الذي كان يسمى وضائع كسرى وظل سائداً ومعمولًاً به حتى عُدل في ظل الدولة العباسية. فأنت ترى أنه في عهد عمر بن الخطاب تم استلهام خبرة وتجربة حضارة فارسية في طرق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية. ولكن المسلمين الناشرين للإسلام في فارس كانوا حذرين كل الحذر وشديدي الرفض والمقاومة لكل ما هو خصوصية حضارة فارسية، تتعارض مع معايير الإسلام، وجواهر معتقداته، وخصائصه الحضارية المتميزة.

لقد رفضت الخلافة الإسلامية - وهي نمط متميز في الحكم - ما تميزت به مواريث الحضارة الفارسية في نظام الحكم وفلسفته السياسية التي كانت ترى رأس

الدولة كسرى ابنًا للإله أهورا - مزدا يحكم باسمه، ونيابة عنه زاعماً أن لقانونه وتنفيذها قداسة الإله والدين.

كذلك رفضت الحضارة الإسلامية ميراث الفرس في النظام الظبي المغلق لتعارضه الجندي مع فلسفة الإسلام في المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات. والذين يقرءون مصنفات علماء الإسلام في الملل والنحل، وصراعهم الفكري مع الفرق والمذهب غير الإسلامية يدركون المقاومة الباسلة التي ووجهت بها مذاهب الفرس وعقائدهم وفلسفاتهم^(١). فعلى حين فتحت الأبواب التجارب الإنسانية العملية، ولعلوم التمدن العملي كان الجندي بل المقاومة للفلسفات والمعتقدات المخالفة للمعايير الإسلامية، إنْ في السياسية أو في الاجتماع أو في الدين.

لقاء الإسلام بحضارة الشام ومصر وبلاد الشمال الإفريقي:

لقد أخذ المسلمون ينشرون الإسلام خارج الجزيرة العربية بين الشعوب غير المسلمة ونشأت الحضارة الإسلامية في كنف القرآن الكريم، والسنة النبوية. وكانت الأمم الداخلة في الإسلام ذات حضارات مزدهرة، فنشأ بين حضاراتها والإسلام مزج وتفاعل ولقاء، وبدت أعظم مظاهر هذا المزج في النظم الاجتماعية، والأراء العقلية.

واشترك الدعوة إلى الإسلام مع أهل البلاد التي فتحت صدرها للإسلام في الحركة الاجتماعية والاقتصادية. وبهذا كلها امتزجت أمور أخرى كثيرة، وتأثرت بهذا الامتزاج كلُّ مراافق الحياة والنظم السياسية الاجتماعية، والطبائع العقلية.

وكانت الأمم المفتوحة للإسلام أرقى من العرب مدنية؛ ولهذا أسهمت في نشأة الحضارة الإسلامية. وحضارة مصر والشام والشمال الإفريقي - كانت ذات ميراث بيزنطي - استفادت منها حضارة الإسلام في تدوين الدواوين وهو خبرة إدارية بيزنطية.

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٢٠٨).

ويخبرنا التاريخ أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية سعى إلى مدرسة الإسكندرية؛ ليتعرف على ما فيها من تراث، وقد كتب إلى أبيه يزيد بن معاوية يبشره بنجاح سعيه وبلغ ما أراد، فكتب قصيدة أرسلها إلى أبيه في هذا الشأن يقول فيها:

أيا راكباً نحو الشام عشية يَوْمُ دِمْشَقًا قَفْ فَاحْمَلْ كَتَابِيَا
وَلِغَ يَزِيدَا حِينَ يَتَلَوْ رِسَالَتِي وَقَلْ خَالِدًا قَدْ نَالَ مَا كَانَ رَاجِيَا
أَلَا قَدْ مَلَكَتِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ عَنْهَا وَحَزَّتْهُمَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ عَنَائِيَا

وخلال بن يزيد يقصد بالشمس الذهب، وبالبدر الفضة. وكانت صناعة الكيمياء آنذاك قائمة على أساس تحويل المعادن الخيسية إلى الفضة والذهب^(١). وبهذا بدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية، وفنون التمدن العملي والتي سميت بعلوم الصنعة.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية تفاعلت مع حضاراتي مصر والشام، وتبنت ما في هذه المجتمعات من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية، فإنها في الوقت نفسه حاربت الغنوصية والهلينية في الفلسفة، وعارضت عقائد ومناهج المسيحية التي أخرجتها الروح الهلينية عن نقاء عقيدة التوحيد.

لقاء الإسلام بالحضارة الهندية:

الهند قارة تسكنها مجموعة شعوب مختلفة الأجناس، والمذاهب الدينية، والفكرية، والاجتماعية. وجهود الهند في التعليم قدية جداً، وأكثر نتاج الهند الفكري كُتب باللغة السنسكريتية وهي معروفة الأصول؛ مما ساعد على معرفة جميع نواحي الثقافة الهندية.

والباحث في الحضارة الهندية يجد أن الهند أسهموا في كثير من العلوم القدية، فمن أقدم الرسائل الفلكية كتاب (السدهاتنا) حوالي ٤٢٥ م، ثم أبحاث (أريابهاتا)

(١) أصوات على الحضارة الإسلامية (ص: ٨١).

أعظم الفلكيين والرياضيين الهنود الذي علل الكسوف والخسوف في حركة الأرض حول الشمس. أي قال بدوران الأرض حول الشمس، وشرح كروية الأرض في دورتها الحيوية حول محورها، كما عرف هذا الرياضيُّ النظام العشري^(١).

وفي أيام أبي جعفر المنصور قدِّمَ كثيراً من علماء الهند، وكان معهم (السدهاناتا) السند هند باللغة السنسكريتية. وقد كلف أبو جعفر العلامة أباً إسحاق بن حبيب الفزارى بترجمة ف فعل، وقام الخوارزمي بتصحيحه ومراجعته^(٢). وقد استفاد المسلمون من الأرقام عند الهند فهذبواها وكونوا منها سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية^(٣).

فعندما التقى الإسلام بمواريث الحضارة الهندية أخذ ما يتناسب معه، وترك ما لا يتفق مع مبادئ الإسلام. إن أسلافنا ميزوا بين العلوم الطبيعية، والعلمية، والتجريبية التي أخذوها وطوروها وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها التي رفضوها؛ لتعارضها مع عقيدة التوحيد^(٤).

لقاء الإسلام بالحضارة اليونانية:

لا يوجد في الحضارات القديمة حضارة تثير الدهشة والإعجاب مثل الحضارة اليونانية، لأن هذه الحضارة جمعت آثار الحضارات البابلية، والمصرية، والفينيقية، والفارسية، ثم أضافت إليها آثاراً فنية رائعة، ومذاهب فكرية مبتكرة، ومبادئ خلقيَّة سامية يتجلَّى فيها الإبداع بأقوى مظاهره. ولا شك أن للعوامل التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية تأثيراً في تكون الحضارات ولكن هذه الأسباب لا تكفي لتفسير ما تميزت به حضارة اليونان من قوة الإبداع، والابتكار. لقد غربل اليونانيون آثار الحضارات القديمة، ومحضوها أعمق تحيص،

(١) الإسلام في حضارته ونظامه (ص: ٥١١، ٥١٢).

(٢) خزائن الكتب العربية في الخاقفين (١/٥٠).

(٣) أضواء على الحضارة الإسلامية (ص: ٩٤).

(٤) تاريخ الهند أو تحقيق ما للهنود من مقوله في العقل أو مرذولة (ص: ٨٠) بتصريف.

فحدفوا منها ما حذفوا، واستبقوا منها ما استبقوا، ولكن حضارتهم ليست حصيلة الحضارات السابقة فحسب، وإنما هي حضارة متميزة أطلقت حرية العقل، وجاوزت حدود الزمان والمكان^(١).

ويذكر العلماء أن الحضارة اليونانية عرفت باسم الحضارة الهلينية نسبة إلى (هلين) الجد الأكبر الخرافي للشعب اليوناني. وقد انتشرت هذه الحضارة الهلينية مع امتداد نفوذ الإغريق التجاري الاستعماري، ولما فتح الإسكندر المقدوني الشرق امتهنت الثقافة اليونانية بروح الشرق، فنشأت حضارة مزيجية عرفت بالهلينية، وأخصبت عدة مراكز في الشرق^(٢).

ولما جاء الإسلام وجد في هذه المراكز حضارة يونانية، في الإسكندرية، وفي أنطاكية وغيرهما. وكان لا بد لهذه الحضارة الإغريقية أن تظهر على مسرح الوجود عنواناً على حضارة هذه الأمة الآرية التي علمت الإنسانية الكثير من أنماط الفكر وسياقاته، ولكنْ كان لها النسقُ الخاص بها، المتصل ببيئة المجتمع اليوناني، ولذلك حين وضع الإسلام منهجه المعيّر عن حضارته كان لا بد من اختلاف وتعارض في المنهج، وفي المادة بينه وبين الفلسفة اليونانية^(٣).

لقد سعى المسلمون إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية آخذين إياها من مصادرها الشرقية في البلاد التي فتحوها؛ فترجموا تراث اليونان في الطب، والكيمياء، والهندسة، والرياضيات، والميكانيكا والزراعة، والحساب، والمنطق، وغيرها من العلوم الطبيعية والعلمية، والتجريبية. ولكنَّ المسلمين رفضوا نقلَ الآداب اليونانية؛ لأنها كانت وثنية تتحدث عن الآلهة وكيف كان يصارع بعضها بعضاً، وفيها فوق هذا كله نقائض البشر. فهناك ميادين في المعتقدات، والإنسانيات اليونانية

(١) تاريخ الفلسفة العربية. (ص: ٥٤).

(٢) الإسلام في حضارته ونظمها (ص: ٥٠).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٠٢/١).

قد رفضها المسلمون، فضربوا عنها صحفاً ولم يترجموها، وذلك مثل عقائد الوثنية اليونانية، وأساطير آلهتها، وآداب اليونان وفنونها^(١).

لقاء الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية:

والباحث في افتتاح الغرب على الحضارة الإسلامية يجد أن هذا الانفتاح قد تحقق من خلال:

١- نقل التراث الإسلامي في صقلية:

ولا يخفي أن المسلمين قضوا في حكم جزيرة صقلية قرابة ثلاثة قرون، وخلال ذلك كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة ازدهاراً شد انتباه غير المسلمين، فلما استولى الأوربيون على جزيرة صقلية استفادوا من الحضارة الإسلامية، واستطاعوا أن ينقلوا إلى لغاتهم تراث المسلمين الحضاري المزدهر في جزيرة صقلية؛ مما كان له أثر واضح في النهضة الأوربية الحديثة.

٢- نقل التراث الإسلامي في بلاد الأندلس:

إن المسلمين استطاعوا في قوة أن يقيموا حضارة الإسلام في بلاد الحضارة والعلم؛ مما جعل علماء أوروبا يذهبون إليها ليتلقوا العلم على أيدي علمائها، ويترجموا تراثها من العربية إلى اللاتينية.

لقد كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني مركزاً رائعاً للجمال المادي والنشاط الفكري، ونما ذلك في عهد عبد الرحمن الثالث وكان شديد العناية بالعلوم والآداب، وتزايدت هذه النهضة في عهد ابن الحكم الثاني الذي كان إلى جانب علمه يرسل مندوبيه إلى جميع بقاع العالم الإسلامي لابتياع الكتب أو استنساخها. ووفقاً بذلك إلى إنشاء مكتبة تضم أربعين ألف كتاب. وإذا كانت قرطبة وغرناطة وغيرهما من مدن حضارية قد سقطت في أيدي غير المسلمين فإن العلوم والآداب الإسلامية والحضارية واصلت ازدهارها في ظل النقل والترجمة والإبداع.

(١) الغزو الفكري وُهُمْ أم حقيقة (ص: ٢١٢).

٣- نقل التراث الإسلامي أثناء الحروب الصليبية:

كانت الحروب الصليبية صراعاً بين الكنيسة والشرق الإسلامي، وهدف هذه الحروب تخلص الأرضي المقدسة من المسلمين، وقد استمرت قرنين من الزمان. ومن المؤرخين من يرى أن هذه الحروب هي العامل الوحيد في تقدم أوروبا حيث تم نقل الصناعات والفنون الإسلامية، ويرى بعض العلماء أن الشرق الإسلامي قد أثر في الغرب المسيحي إبان الحروب الصليبية من أربع نواح هي:

١- في الكنيسة البابوية؛ إذ قامت في بيت المقدس عام ١١٠٠ م مملكة دنوية بدلًا من «التيوقراطية» الدينية التي كان يحملن بها البابا.

٢- كما أثرت الحروب في الحياة الداخلية والاقتصادية في جميع المالك؛ إذ نشأ نوع جديد من الضرائب على ممتلكات الأشخاص، كما ساعدت تلك الحروب على الإقلال من أراضي الأشراف.

٣- كما أثرت الحروب في العلاقة الخارجية للدول ونظام أوروبا بتأثيرها في الكنيسة من ناحية، وبإيجاد رابطة جديدة للوحدة الأوروبية.

٤- كما أثرت تلك الحروب في العلاقات القائمة بين أوروبا وآسيا. فنهضت حركة الارتياد والرغبة في الاستزادة من المعلومات^(١).

لقد اختلط الأوروبيون بنهم أرقى منهم؛ فاستفادوا من الحضارة الإسلامية فساعد هذا على قيام النهضة الأوروبية الحديثة.

إن أوروبا استطاعت أن تتفاعل مع الحضارة الإسلامية، وتأخذ عنها، و تستفيد منها فيما هو «مشترك إنساني عام» أما ما كان من خصوصية للحضارة الإسلامية فقد رفضه الغرب.

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة الإسلامية من العلوم الطبيعية: علوم المادة وظواهرها، وخصائصها، وعلوم التمدن المدني والعلمي مثل

(١) الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية (ص: ١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

علوم الطب، والصيدلة، وقواعد النظافة العامة والخاصة، وعلوم الزراعة والنباتات، والحيوان، وفنون وعلوم الحرف والصناعات، والتجارة والمواصلات، ووسائل الاتصال، وفنون القتال، واستخدامات الحرب، وطبقات الأرض وأنواعها والمعادن، والبصريات، والمناظر، والكيمياء والفلك، والرياضيات من جبر وهندسة وحساب، والجغرافيا، والرحلات، وعلوم البحار، واللاحقة وغير ذلك من علوم وفنون^(١).

لقد أخذ الغرب ما سبق أن أخذناه نحن عن أسلافهم اليونان، وغيرهم من الفرس والهنود وما أخذناه من مدرسة الإسكندرية من علوم الصنعة؛ مضافاً إليه إبداع المسلمين.

لقد أخذ الغرب من الحضارة الإسلامية ما هو «مشترك إنسانيٌ عامٌ»، وترك من الحضارة الإسلامية ما هو خصوصية حضارية إسلامية.

لقد أجمعـت تـيارات فـكـرـ النـهـضـةـ الغـرـبـيةـ عـلـىـ رـفـضـ أـبـرـزـ خـصـائـصـ الحـضـارـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ،ـ وـهـيـ خـصـيـصـةـ التـوـحـيدـ وـخـصـيـصـةـ الـوـسـطـيـةـ وـخـصـائـصـ أـخـرـىـ كـثـيـرـةـ تـتـصـلـ بـالـإـسـلـامـ،ـ وـعـقـائـدـهـ.ـ وـرـفـضـ الغـرـبـ لـهـذـهـ الـخـصـائـصـ إـلـاسـلـامـيـةـ هوـ الـذـيـ مـيـزـ الـحـضـارـةـ الغـرـبـيـةـ بـطـابـعـهاـ الـمـعـرـوـفـ:ـ الطـابـعـ المـادـيـ.

- فالحضارة الإسلامية قامت بعملية توفيق ما بين الحكم والشريعة، ولكن الحضارة الغربية تتميز بإخراج الدين من إطار العقل، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين.

- والحضارة الإسلامية ربطت بين الدين والدولة، والحاكم والمحكوم، والحضارة الغربية فصلت بين الدين والدولة في خصوصية حضارية فكانت العلمانية.

- الحضارة الإسلامية وفقت بين الفرد والمجتمع في ربط متناسق، أما الحضارة الغربية فقد انحازت للفرد في ليبرالية واضحة.

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة (ص: ٢٤٨).

- الحضارة الإسلامية وازنت بين سيادة الله وحاكميته، وبين سلطان الأمة وسلطاتها في حين كانت الحضارة الغربية تقوم على أن الإنسان سيد الكون يفعل ما يشاء^(١).

إذن وبكل تأكيد هناك ما هو «مشترك إنساني عام» تأخذه الحضارات من بعضها، وتسهم فيه كل حضارة بالعطاء المتعدد الذي يزيده قوة وفائدة. وهناك ما هو خصوصية حضارية لا تقبل الحضارات الآخنة أن يكون ضمن المأمور ونجد ذلك واضحاً في أعمال أوربا الناهضة، فحينما ترجمت أعمال الفيلسوف المسلم ابن رشد أخذت من هذه الأعمال ما يتصل بالفلسفة اليونانية، ورفضتأخذ ما هو خصوصية حضارية إسلامية.



(١) الغزو الفكري وهم ألم حقيقة (ص: ٢٤٩-٢٥٠)، بتصرف.

الفصل الخامس

الرؤية المستقبلية لحوار الحضارات

بعد أن قررنا ضرورة الحوار، والتي تقتضيها حاجة البشر إلى عالم تفشاه السكينة ويسوده السلام تحول إلى أهمية الحوار الحضاري وشروطه، التي تعد ضمادات حقيقة للوصول إلى نتائج تسكن من روع الجهود التظيرية المضنية، والتي ترنو بلهفة ملخصة إلى تحقيق التعايش الحضاري بين الأمم والشعوب.

ولعل الطامحين إلى الوصول بالحوار الحضاري إلى نتائج إيجابية بقصد فرعيات ثانوية، فضلاً عن الأسس والأصول: لن يعودوا إلا بخفي حنين، ليس ذلك تشاوئاً، ولكنه اعتبارٌ بستةٍ من سنن الله في خلقه. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)، فغير خاف على أحد أن الاختلاف بين تيارات النسق الحضاري الواحد له حقيقة وجود، فأني للأطراف المتحاربة حضارياً بالاتفاق حول الفروع؟ وإذا أخذت استراتيجية الحوار الحضاري وضعاً جاداً، وقصدأ سنياً لا شوب فيه، وأحاطت بالأصول والكليات تظيرياً وتطبيقاً: فقد أدرك راسموها مرادهم وثمرة جهودهم. ونحن إنما نعني بالتنظير هنا: حُسْنَ صياغةِ الأفكارِ وجودةِ مضمونها وترتيب أولوياتها، وملاءمتها جوًّا للحوار بما لا يخل بثوابتها.

وكما تشق الأفكار الآنفة سبيلاً نحو أهدافها في مبادئ مأمونة من الزلل والتراجع، ظمَّة بعض النقطاط التي ينبغي إلقاء الضوء عليها لتوضيح مواصفات الحوار الحضاري مع الآخر:

أولاً: التكافؤ:

ونعني به حيازة قدرٍ معقولٍ من الأهلية الحضارية، يتحقق لنا وجوداً متوازناً، وحضوراً فعالاً ومتميزاً حول مائدة الحوار، وهذا التكافؤ الحضاري لا يقاس بمعايير

سياسية أو عسكرية، فهذه وتلك تخضع بطبيعتها للتقلبات الظروف والأحوال الدولية، وإنما يقاس التكافؤ في الحقيقة بمقدار ما قدمته حضارةً ماً لكل الأمم والشعوب من منجزات مفيدة كريمة، ويمدّى ما أسهمت به في إثراء الوجود الإنساني وتطويره، وإمداده بالقيم الروحية والأخلاقية على مر التاريخ.

وطبقاً لهذه الموصفات القياسية، لن تكون بحاجة إلى شديد عناء بقصد تحصيل أسبابٍ ومؤهلات التكافؤ الحضاريٍّ ولعل ذلك مرهون بمدى استردادنا وعيينا بذاتنا الحضارية، واستعادة عافيتنا في خضمّ أمواج من الهموم المتلاطمّة، التي تفسد علينا أمرنا وتقوض أركاننا؛ بل وتنال من إحساسنا بوجودنا. تلك الهموم تتصل بإشكالية بلورة الاتجاهات الفكرية - والتي أقل ما يقال بشأنها أنها غير منسجمة مع بعضها البعض - وحشدها في نسق حضاري واحد؛ لتحقيق عُنصُرِيُّ التوازن والتكامل في بنيتنا الحضارية.

لكن في ظل تبرم العلمنية بالمشروع الحضاري الإسلامي، وتجاهلها رصيده التاريخي الضخم؛ فضلاً عن ولائها غير المتسبّب للحضارة الغربية سيخل ذلك حتماً بالتوازن التأهيلي المطلوب، مما يحول بيننا وبين تحقيق أي نتائج عادلة، وذات جدوى من الحوار.

ولعل الترداد الأيديولوجي بين اليسار واليمين على اختلاف مشاربهم، أمرٌ حتميٌ لا محيسن عنه بشأن تحقيق التكافؤ المشرّع بينا وبين الغرب مما يقتضي حواراً محلياً لا يمنع إلحاحه والإسراع به من الجدية في تحديد متطلباتنا تحديداً دقيقاً في ضوء موروثنا الحضاري الأصيل، والتجدد من الأهواء أمام مصالحنا العليا وغاياتنا البعيدة السامية^(١).

ثانياً: إعادة اكتشاف الآخر:

وحتى يتسمى الخروج من حوار الحضارات بنتائج أكثر إيجابية، يتّعّن على كل فصيل حضاري إجراء ما يمكن تسميته بعملية «تشريح حضاري»، يتّوسل بها

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧٤)

المشرحون إلى استثناء الأساق المعرفية لدى الكيانات الحضارية الأخرى، وذلك للوقوف على موقع الآخر في أدبياتها، ومن ثم قياس أداء آلياتها من حيث عطاوئها المخلص، ومدى استيعابها مفاهيم التعددية الحضارية وتجربتها التاريخية فيما يتصل بقضية التعايش السلمي وحسن الجوار، وكذا رؤيتها للحياة، العالم، الموروث الثقافي، القيم الدينية، النمط الاجتماعي، الأقليات، كل ذلك من مؤشرات فاعلية وإثمار الحوار الحضاري من عدمه. إن جارودي مثلاً يرى عبادة الحوار بين الغرب والشرق المسلم، وقلة جدواه؛ بل وفشلـه: ما لم يُطهِّرُ الطرف الأول عقيدته من صدأ قرون الهيمنة والسلطـة الذي رزح تحتـه، وما لم تَعْ تكنوقراطـية الطرف الثاني شروطـ نظام لا يطرحـ المشكـلة بـأبعادـها وـمعانـيها وأـهدافـها الإنسـانية^(١).

والحقيقة أنه ليس ثمة مبرر يحمل الغرب على القلق والتوجس إزاء الصحوة الإسلامية التي تمتد إشرافاتها حتى تسطع على حدود الإسلام الحضاري، فيصفـها الغرب - تحتـ الضغـط النفـسي - بالأـصولـية تـارـة وبالـإـرـهـاب تـارـة أـخـرى، مع كـونـها افتراضـاً إـحدـى بـشـريـات عـصـورـ التـاسـامـحـ والـالـلتـقاءـ والـتـلاـقـ الحـضـارـيـ المـأـمولـ.

ومازلـنا نـعـانـي نـخـنـ المـسـلـمـين لـلـأـسـفـ مـنـ قـصـورـ فـي نـظـرـ الآـخـرـ إـلـيـناـ، وـمـنـ تـغـافـلـ، وـتـعـاـمـ عنـ تـارـيـخـناـ، وـمـنـ غـمـطـ لـمـائـرـنـاـ وـأـمـجـادـنـاـ الحـضـارـيـةـ. فـهـلـ الغـربـ مـنـ النـزـاهـةـ بـحـيثـ يـقـرـ بالـفـضـلـ لـأـهـلـهـ وـيـرـدـ الـاعـتـبـارـ لـتـارـيـخـنـاـ وـحـضـارـتـنـاـ؟ـ ثـمـ أـلـيـسـ مـنـ وـاجـبـناـ عـلـىـ جـانـبـ آـخـرـ أـنـ نـرـفـعـ هـذـاـ الـظـلـمـ عـنـ فـلـاـ نـظـلـمـ أـنـفـسـنـاـ بـإـسـاعـتـنـاـ إـلـىـ هـذـاـ إـلـسـلـامـ العـظـيمـ، فـنـكـونـ أـصـدـقـ تـعـيـيرـ عـنـ قـيـمـهـ وـأـخـلـاقـيـاتـهـ وـمـنـاهـجـهـ وـتـصـورـاتـهـ؟ـ

ولـذـكـ أـصـبـحـ مـنـ أـبـجـديـاتـ نـشـاطـنـاـ فـكـرـيـ الـآـتـيـ بـشـأنـ السـعـيـ إـلـىـ تـلاـشـيـ الـانـطـبـاعـاتـ الـخـاطـئـةـ عـنـ إـلـسـلـامـ لـدـيـ الغـرـبـيـينـ، لـيـسـ الإـدانـةـ وـالـانـفـعـالـ، أـوـ رـفـعـ شـعـارـاتـ الدـافـعـ عـنـ إـلـسـلـامـ ضـدـ مـطـاعـنـ وـاتـهـامـاتـ الـمـبـطـلـينـ، لـاـ؛ـ بـلـ بـنـقـدـنـاـ ذـاتـنـاـ، وـحـسـنـ عـرـضـ بـضـاعـتـنـاـ، فـأـوـلـئـكـ لـاـ يـرـوـنـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـنـاـ، وـمـنـ ثـمـ يـعـرـفـ

(١) ما بعد به الإسلام (ص: ٢٤٧).

قد رأينا وتروج تجارتنا، فلا يزيد أحد علينا أو يبيع على بيعنا، ونعود في الأخير برضاء الله في رحالتنا.

ثالثاً: الاحترام المتبادل:

فإن ظواهر الأحادية والانتقاص من شأن الآخرين، والسعى إلى بسط الهيمنة عليهم والعمل على إرهابهم وملحقتهم والمظاهره عليهم لا تعكس مجال أي نوع من الاحترام المتبادل، وإن صحيحة تقييم تلك الظواهر على جانب آخر فإنما يعكس - بمرارة - عدم احترام أولئك الآخرين أنفسهم وتراثهم، فحق فيهم الضعف والارتخاء وقلة الفاعلية وتبدل هويتهم في نفوس أندادهم.

وفيما تمدنا التجربة التاريخية الإسلامية من دروس وعبر: أن دلائل ومقومات الاحترام الحضاري المتبادل. هي النهوض بالمتعدد، وتنشيط الخامل، وإمداد الضعيف بمقومات القوة، وحفظ مقام الآخر وكرامته وموروثه التاريخي، وتقدير ثقافته. هكذا ينبغي للأمر أن يكون، لكننا نستظهر في كل يوم ينشق فجره مسالك صارخة من جانب خصوم حضارتنا بعامة والحضارة الغربية بخاصة، ابتداء بالآثرة والضّن، ومروراً بالتعويق والمزاومة، وانتهاءً بالتحرش والإزاحة.

ولا سيل إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من احترام الآخر لنا فضلاً عن احترامنا لأنفسنا، إلا بالبعض على عقيدتنا وقيم حضارتنا بنواجذنا.

والعمل الجاد المخلص على إعادة إنتاج الفعل الحضاري الإسلامي في صدى إشارات تراثنا الروحية والمادية والأدبية. كذلك ببذل احترام الآخر وازدائه، والترى في رفضه فقد تتخذ هذا الموقف الأخير من الغرب، بدعوى التّحُوّط من جانبنا لصوْنِ قيم إسلامية أَجْمَلُ ما فيها إنسانيتها التي لم تكن يوماً مَا حِكْرًا على أحد دون أحد من خلق الله.

نعم قد يكون ذلك صحيحاً نسبياً بيد أنه في الحقيقة مسلكٌ يوحى بالسلبية والانغلاق، الذي يقدح في إنسانية الرسالة وعاليتها، إذ هو يصرف المسلم عن رعاية

الحوار في الإسلام

حق الله في هذا العالم يصوّن رسالته ونشر قيمه وإشاعة مبادئه في دنيا الناس أجمعين بلا استثناء ودون تعصب. من يدري فلربما أشرقت شمس الدعوة الإسلامية بنور الهدى الإنسانية من جهة هذا الآخر؟ ومن ثم فأي مسلك لا يعبر عن روح الإسلام، ولا يجسد جوهره وطبيعته الإنسانية السامية، إنما يعد في سياق الفتنة التي تقطع بغير حق شرة معاوية، ونكون من أولئك: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف ١٠٤).

وهكذا تبُوء بالفشل الذريع في أداء رسالتنا التي أناطها الله بنا لأجل حوار يهدي إلى الرشد، ويعصّم من البطر والانحراف والمنكرات، فالمسلم الحق يعرف للناس أقدارهم ويحترم الآخر وإن لم يُواده.

فالحضارة الغربية وخاصة في قرونها الأخيرة فرضت نفسها كحقيقة ليس لمن يريد التعايش معها أن ينكرها، وطرحت حضارة الغرب رؤى ونظريات. وإن لم تتفق معها بجملتها، فلا يمكن إغفالها، وعلى العاقل الحصيف أن يتلمس أسباب التفاهم معها، وأن يقيّم الحوار مع عقلائها، وأن يميز بين المعتقد الذي لا نقبل المساس به، وبين أوجه المعاش التي نخترم ما أصلّه الغرب في ميدانها.

فالأمل في هذا السياق أن يتخلص الخطاب الإسلامي من نبرات الانفعال والتشنج، فكثيراً ما تفوت في غمراته فرصة هائلة لخدمة الإسلام والكشف عن مذخور فضائله وشمائله في جو من المهدوء والتأمل والاقتناع. فرحاً صدر حضارتنا تسع لأي قيم ومنتجات حضارية ذات معنى إنساني سام دونما صد أو نفور أو امتعاض^(١).

رابعاً: التفاهم والتعاون:

والحقيقة أننا نتطلع إلى التعامل الحضاري يوماً ما في إطار مرجعيتنا الإسلامية التي تتحدد من خلالها ملامح وظيفتنا الحضارية في دنيا الوجود، والتي ترتكز في الأساس

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٢٧٨).

على نشر الخير والعدل والإحسان، ونبذ الشر والمنكر والظلم ﴿ وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) وذلك هو جوهر الوسطية التي تحوزها آلية التفاهم والتعاون الإسلامي بشأن الحوار مع الآخر الحضاري ﴿ وَلَا يَحِرُّ مِنْكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعَتَّدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢)، فإن القرآن الكريم ينادي بمبدأين صريحين لا بد منهما إذا شئنا السير في طريق وحدة البشرية وتعاونها في سبيل رُقيها وتقديمها، وهما:

- ١- أنه لا شيء يهدم وحدة الأسرة البشرية مثل العداون والتعاون عليه.
 - ٢- أنه لا شيء يقرب ما بين أعضاء الأسرة البشرية مثل العمل على الخير المشترك والتواصي به، وتقوى الله في حقوق الإنسان، في السر والعلن.
- ومن وحي التجربة التاريخية: **نُبُوءُ بِحَيَّةِ أَمْلِ** فيما يتصل باقتناعنا إزاء إيمان الغرب بالتعاون والتفاهم مع الأمم والشعوب الأخرى في إطار مبادئ التعددية الحضارية، والتي تقوم أساساً على قيم العطاء الحضاري العام.

ولعل أهم ما تغتم به النفوس، ويبيث فيها التوجس والترقب، أن تلعب الألوان والأجناس دوراً أساسياً في فلسفة التفاعل الإنساني لدى منظومة الفكر الغربي، وهو ما يعكس الشعور الزائف بسمو الجنس، الذي يبني بمقتضاه الكيل بمكيالين، والنظر بغير عين، كما هو حادث الآن من القوى الكبرى في العالم.

فاليهود من جانبهم لا يرون أي التزام أخلاقي تجاه الآخرين من دونهم، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَمِ مِنْ سَيِّلٍ وَيُقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَدِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥)، ولعل شواهد التاريخ البعيدة والقريبة تدلنا على مجافاة اليهود لروح الاجتماع الإنساني وإيثارهم الاعتزال والتقوّع والتربيص، فحياتهم رغم

اتصالهم ب مختلف الحضارات، حياة القبيلة البدوية الجوالة، فهم يُعْقِلُونَ العالم رغم اتصالهم به، ولا ينظرون إليه إلا نظرتهم إلى عدو يخضعون له إذا كان أقوى منهم، ويَسْتَعْدُونَه إذا كانوا أقوى منه، وهم دائمًا معيّنون أنفسهم تحت السلاح لشن غارة، أو دفع غارة، فروحهم الملية روح بدوية قبلية لا تحسن الاتصال بغيرها ولا تريده^(١).

ولعل قضية فلسطين ومسيرة التفاوض بشأنها، وما يختلجها من مواقف هائلة ومشاهد مروعة، من مؤكّداتٍ ما ذهّبنا إليه في تبيّان العجز الكائن في داخلة ذلك الكيان الحضاري غريب الأطوار مُفْرط النزوع إلى الحقد والعدوانية والاغتصاب، والذي لم يألفه التاريخ قط.

وفي حين خرج المسلمون من الحروب الصليبية يلثمون رعاف جروحاتهم بعد نَصْرٍ مُجْهِدٍ تقدمته ألوان شتى من البغي الصليبي والخذل والغدر وخيانة العهود، ظفر الصليبيون بالعلوم، ونقلوا من المعارف والفنون الإسلامية ما تأسّس عليه بناء النهضة الغربية الحديثة.

والخلاصة هنا أن التفاعل الحضاري ضرورة إنسانية لابد منها لقيام الحضارات، وتقديم الإنسان في كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية السلام والأمن. أما الانفلاقيُّ الحضاريُّ فهو قاتلٌ للإنسان، والتبعيةُ الحضارية هي الأخرى قاتلةٌ لكل إبداعٍ، ولا بد من حوار الحضارات.

وإذا تأملنا في حال الأمة الإسلامية وجدنا أنها محاصرة بين غربتين: غربة زمانٍ، وَغُرْبَةُ مَكَانٍ.

أما غربةُ الزمان فهي بُعدُ الأمة عن ماضٍ حضاريٍّ مشرقيٍّ لم تَعُدْ تربطه به عوامل العلوم المؤثرة في بنائها.

وأما غربة المكان فهي بُعدُ الأمة عن واقع حضاريٍّ معاصرٍ تجهل عنه كل شيءٍ مِمَّا مَثَّلَ فجواتٍ حضاريةً كبرى ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزُها أو

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٨٣).

تجاهلها. ولذلك إذا كان لابد لهذه الأمة أن تعود إلى التفاعل الحضاري، و تستفيد من حضارات الإنسانية. فلابد من خروج الأمة الإسلامية من الاغتراب الزماني والاغتراب المكاني، وذلك بالربط بين الواقع و ثوابت الحضارة الإسلامية، وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر. وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم، فإن فعلت الأمة ذلك كان ذلك بدايةً في طريق حضاري.

وإن التقدم البشري في مختلف المراحل وال المجالات ليس إلا حصيلة الإبداع الفكري والتعاون، والاحتكاك بين المجتمعات، ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا، ولكن العيب أن نظل عالةً على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطي. ويجدر بنا أن ندرك أن الانغلاق ليس بال موقف اللائق بالعقلاء، والتبعية الحضارية غير مفيدة أو ملائمة لمن يتلذذون خصوصية حضارية إسلامية. والعزلة الحضارية والجهل صنوان، كلاماً تَخَلَّفَ وكلاماً حجابً يمنع وصول الضوء، وكلاماً عقبةً كاداءً في طريق التطور والتقدم. ومن المؤكد أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واقتصرت بذاتها مستعنية عن غيرها، وإنما هي نتيجة تطور حضاري دائم وتفاعل بين حضاراتٍ أخرى تفاعلت هي بدورها و غيرها من الحضارات في الزمان والمكان. والنموُ الحضاري إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى. وكلما ازدادت فرصُ الالقاء والتفاعل بين الحضارات ازدادت فرصُ الحياة والنمو والاكتساب والتعلم^(١).

والأمة الإسلامية وهي تتطلع إلى مستقبل مشرق لابد أن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها مسؤولية بقيمٍ وأفكارٍ ومواريثٍ لها في وعيها فاعليتها القوية. ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهدافة وتوجهات الإسلام، وهذه القيم كفيلةٌ عند استثمارها بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع يسمح لها بأن تبني فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية.

(١) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية (ص: ٢٣٥).

الباب الخامس

ثمرات الحوار

- **الفصل الأول: ثمرات الحوار في مجال الدعوة إلى الله**
- **الفصل الثاني: ثمرات الحوار في مجال التعليم وال التربية**
- **الفصل الثالث: ثمرات الحوار في مجال التعامل الحضاري**

الفصل الأول

ثمرات الحوار في الدعوة إلى الله

يعتبر الحوار صناعة الرسل والدعاة؛ لأن تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً؛ ولذلك أعطى الله رسله البيان. وأرسلهم بلغة أقوامهم ومنحهم القدرة على المخالفة؛ لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل. ويأخذوا بيد الجميع على طريق المناقشة الحرة العاقلة.

فوائد الحوار في القرآن:

أولاً: يبين للداعية بعض ما سيلقاه من أعداء دعوته، ويبصره بمشاق الطريق الذي سيسلكه، ذلك لأن المعارضين دائمًا يقفون ضد دعوة التغيير. فإذا لاحظنا أن الدعوة الإسلامية تطالب المعاندين بتغيير جذري يشمل الحياة كلها؛ لظهر لنا سرقة المخالفة وشدة العناد.

وإذا ما علم الداعية أنه أمام موقف صلب من الناس لزمه أن يستعد له بقوة عقلية ونفسية، وخاض طريقه الصعب صابراً محتملاً. والنبي ﷺ كان هو القدوة في هذا المجال؛ فلقد كان القوم يحاولون هدم رأيه، ويصفونه ب مختلف الأكاذيب، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ إِيمَانُنَا بَيْنَنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصْدُكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِبَّاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سبأ: ٤٣).

فهؤلاء الكفار حينما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو عليهم الآيات البينات ويدركهم بالأدلة الواضحة قالوا: إن محمداً رجل كاذب وساحر يهدف إلى إبعاد الناس عن دين آبائهم، وقرآنُه كلامٌ مختلفٌ ودينهُ سحرٌ مبينٌ؛ فتراهم اتهموا الرسول ﷺ وكتابه ورسالته خصومة وجداً.

الحوار في الإسلام

إن الله سبحانه وتعالى مع من يدعوه إلى دينه يدافع عنه وينصره. ولذلك أمر الرسول ﷺ أن يرد بالطريقة الجدلية على اتهامات معارضيه؛ فلئن تباهوا بما لهم من مال وولد وظنوا أن ذلك يدفع العذاب عنهم. **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْدِّيْنَ﴾** (سبأ: ٣٥). فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به فيقول تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّيَ يَبْسُطُ الْرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** **﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَرَاءُ الْضِعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾** (سبأ: ٣٦، ٣٧).

وهكذا يرد الله مباهاتهم بمالهم؛ لأن هذا المال رزق أعطاه الله لهم، وهو قادر على إزالته من ملكيتهم. وليس الملك أبداً كان بمقرب من الله والجنة ومانع من العذاب والنار. ولكن الإيمان والعمل الصالح هما أساس الحساب خيراً كان أو شرّاً^(١).

ولئن وجهوا اتهاماتهم إلى القرآن الكريم: **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فِهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** (الفرقان: ٥)، فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به في قوله تعالى: **﴿قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْسِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (الفرقان: ٦).

ولئن كانوا يستبعدون القيمة. **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (يونس: ٤٨)، فإن الله يأمر الرسول بالرد فيقول: **﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٌ لَا تَسْتَعِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾** (سبأ: ٣٠).

ومن هذه الآيات نرى أن مجادلة النبي ﷺ هادفة؛ فهو يسمع مكابرthem ويرد عليها رداً مقنعاً قاصراً على المعترض عليه.

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٣٨٣).

والداعية يأخذ من هذه المواقف صورة التأييد الإلهي لرسوله ﷺ الداعية الأول، ويسير على الدرب في الدعوة؛ متوقعاً المعارضة البشرية متأكداً من التأييد الإلهي. ويجب عليه أن يصبر على كل ما يلقاه فلقد أمر الله الرسول ﷺ من قبل بقوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (الزمآن: ١٠) أي إذا دعوتهم وعارضوك ونقولوا عليك الأقوايلَ فاصبر عليهم وتجلد لقولهم، وأعرض عنهم إعراضًا لا يشوهه أذى ولا شتم ولا مقاومة، وعليك أن تكل الأمر إلى الله تعالى في النهاية.

ثانياً: ينصر بالدعوة ويبين أساسياتها، ويعرض القرآن في هذا الموضع حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ إَنَّهَا لِلَّهِ الْمُلْكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْكِيَ وَيُمِيزُ قَالَ أَنَا أُحْكِيَ وَأَمِيزُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلِيمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

فهذا جدل حول إثبات الأولوية بأداتها، تراها أدلة مفحمة ملزمة من أقرب الطرف، وقد ترك إبراهيم عليه السلام دليل الإحياء والإماتة؛ حينما أورد النمرود شبهة شكلية عليه. وانتقل إلى دليل لا شبهة فيه عند النمرود وهو مطلع الشمس ومغربها. وهنا يهت النمرود ولم يجد جواباً، وهو نوع من الجدل يعرف بـ«الانتقال» وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلالٍ غير الذي كان أخذَ فيه لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول^(١).

وهذا الدليل يبطل عبادة الأشخاص ولا يثبتها إلا للإله الواحد القادر على كل شيء المتصرف في سائر الأمور عند الحياة والأحياء.

ولقد جادل المكيون رسول الله ﷺ في شأن دعوة التوحيد، وقال أنصار الشرك والتعدد: ﴿ أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص: ٥) وقال

الدهريون المنكرون للإله بالكلية ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَا تَنَا الْدُنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (الجاثية: ٢٤). وقال المقلدون: ﴿ قَالُوا إِلَّا نَتَّيَعُ مَا أَلْقَيْنَا عَلَيْهِ إِبَاءَنَا ﴾ (البقرة: ١٧٠).

هذه المكابرات من القريشيين توضح موقفهم من دعوة التوحيد. وهنا يبين الرسول ﷺ لهم القول الفصل في هذا الأساس الوطيد، ويقول كما أمره الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَشِفَتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةِ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِبَنِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨).

وهكذا يجادلهم الرسول ﷺ بالأمور المسلمة لديهم؛ لأن تسلیمهم بها يجعل النتائج مسلمة كذلك، بل إنه يجادلهم بالأمور البدھية لتكون الحجۃ قطعية فيقول كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنياء: ٢٢).

فترى الآية تتضمن جدلاً يسلم بمعظوناتهم، ثم يناقشهم فيها، وبالمناقشة يظهر بطلان رأيهم، فكأنه قال ليس مع الله إله آخر. ولو سلمنا بوجود آلهة أخرى معه كادعائهم الكاذب فإننا لا بد أن نرى على ما هي العادة - فساد السماء والأرض، واستقلال كل إله بما خلق، وكون لنفسه ملكاً خاصاً به ولحدث الشجار والتعالي بين الآلهة، ولو كانت الآلهة أصغر من الإله الأكبر صاحب العرش لطلب الآلهة سبيلاً إلى الله معاندةً ومبالغاً.

وكل ما كان متضرراً كنتيجة للفرض المظنون لم يحدث، إذ لم تفسد السماء والأرض، ولم تستقل آلهة بملكيتها، ولم يتعال إله على إله، ولم تطلب الآلهة طریقاً إلى الله الأكبر، والنتيجة الختامية هو أن التسلیم باطل، والفرض المظنون كاذب لا صحة فيه. والثابت المؤكّد هو أنه لا إله إلا الله.

وهكذا أسهم الجدل مع سائر الأدلة في إثبات الأساس الأول للدعوة، وهو الإيمان بالله وحده ورد افتراءات المعارضين.

وأما الأساس الثاني، وهو إثبات الرسالة للنبي ﷺ فقد كثر الجدل حوله، إذ جحد المعارضون الرسالة واستبعدوا أن يكون الرسول ﷺ بشراً من الناس وكذبوا. **﴿فَقَالُواْ أَبَشَرَّا مِنَّا وَاحِدًا نَتَبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُرْعُر﴾** (القمر: ٢٤).

ولم يستبعدوا إرسال البشر فقط، بل أخذوا في توجيهه الاتهامات الباطلة يقول تعالى: **﴿بَلْ قَالُواْ أَضْعَفْتُ أَحَلَّمَ بَلْ أَقْرَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِر﴾** (الأنياء: ٥).

ودارت مكابراتهم حول هذه الاتهامات فهو شاعر، وكاذب، وساحر ونافل، ولكن الرسول ﷺ جادلهم في دعوائهم. فلما قال الكافرون: (لست مرسلًا) أمره الله أن يرد عليهم بقوله **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** (الرعد: ٤٣) ذلك لأنهم جاهلون بالحقيقة، ويكتفي أن يعلموا الله. ويعرفها منْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب.

ويؤكّد الله للنبي ﷺ أن المعاندين مغالطون في دعوائهم، فيقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾** (النحل: ١٠٣).

وذلك لأنهم اتهموا النبي ﷺ بأنه يأخذ الكتاب من رجل أعمى، لكنه تلا عليهم بلسان عربي فكيف التوفيق، خاصة أن النبي ﷺ أعمى، ولم ينزل كتاب من قبل هذا، وأيضاً فهم يطلبون بأن يكون الرسول ملكاً وهذا خطأ لأنه لا بد من حصول الفهم المشترك والقدرة على الخطاب. ولا يقدر على ذلك مع البشر إلا بشر منهم. ولقد وصل بهم حد التحدي إلى أن طلبوا من الرسول ﷺ أن يظهر لهم بعض الآيات الحسية العجيبة، لكن الله سبحانه وتعالى بسبب جدلهم ومكابرتهم يأمر رسوله ﷺ بأن يجيئهم ويقول له: **﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾** (الإسراء: ٩٣).

الحوار في الإسلام

إن المتبع للحوار في مسألة إثبات النبوة للنبي ﷺ يتنهى إلى وضوحٍ بينٍ بالرسالة وإمكانها وإثباتها.

ثالثاً: يُعرف بالناس ويُبين طبائعهم. واتجاهاتهم، فإليهم توجه الدعوة، والعلم بأحوالهم ضرورة للداعية؛ ليتمكن من الأخذ بيد مَدْعُوِّيه على وجهٍ لائقٍ ومناسبٍ. رابعاً: أسلوب حكيم يناسب كافة الطوائف الإنسانية؛ لأنَّه يسوق حججاً إقناعية في بعض الأحيان لتكون موعظة حسنة تشير الانفعال وتهيئ النفس، وتدفع إلى الإيمان بما تدعو إليه، وفي هذه الحالة يتلاءم الحوار والجدل مع العامة والجمهور الغالب من الناس حيث يسلم بأفكارهم. وينتقل من فكرة معارضة إلى سواها حتى يصل إلى التصديق.

وفي أحيان أخرى تكون حجَّةُ الجدلِ قطعيةً يقينيةً، مثل قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢).

خامساً: يُسَاير الواقع البشري شأن القرآن كله.

وهو في جملته خطاب بين الرسول ﷺ والبشر، ورواية عن مناقشات سابقة، والإنسان هو الإنسان في كل عصر وزمان - ولذلك جعل الله جدل القرآن فطرياً ومنزوعاً من قضايا الواقع. حتى يكون في مقدور الخاصة وال العامة من الناس^(١).

دور الحوار في إبلاغ الدعوة:

الحوار القرآني وسيلة من وسائل الدعوة يقوم بدوره على وجه كامل وذلك على النحو التالي :

١- الإقناع العقلي المجرد:

خاطب القرآن الكريم العقل، وناقش الخصوم مناقشةً تعتمد على كثير من المسلمات؛ حتى يقطعوا بصحَّة المدعى أمامهم؛ وكأنَّ الجدل في هذا المعنى يستنتاج

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٤٠٣).

النتائج الصحيحة بعد ذكره للمقدمات الصادقة. ذكر السيوطي أن الإسلاميين من علماء الكلام استنجدوا من أول سورة الحج إلى قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ فِي الْقُبُورِ﴾ خمس نتائج وعشرين مقدمات لها، أما النتائج فقد احتواها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٦، ٧). وأما المقدمات العشر فهي سهلة الإيراد، وذلك أن الله أخبر عن يوم القيمة وزلزلة الساعة، وذلك حق منقول إلينا بالتواتر. ولا يخرب بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق، وأخبر سبحانه وتعالى عن أهوال الساعة وعن قدرته الشاملة. ولابد للساعة من إحياء الموتى فالله القادر يحيي الموتى على كل شيء قادر، وأخبر عن الساعة وخلق الإنسان من ترابه. وإماتته بعد ذلك. وخلق الأرض وصدق خبره في كل ذلك، بدلالة الواقع المشاهد. ومن صدَّقَ خبره في ذلك صدَّقَ في إخباره عن مجيء الساعة. فصدق أن الساعة آتية لا ريب فيها. ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور فثبت أن الله يبعث من في القبور^(١).

هكذا نجد النتائج أمام العقل ثابتة صادقة، وهي نتائج ذات تأثير نفسي بالغ فهبي لا تقف عند شكلية القياس؛ بل تجعل المجادل كلما وصل إلى نتيجة ازداد إيمانا وتصديقا؛ حيث تشتمل النتائج على إبراز حقيقة الألوهية، وقدرة الله، وتُخْبِرُ عن إحياء الموتى وبعثهم في يوم الساعة الآتية بلا ريب، وتتحدث عن ضرورة الحساب على الأعمال.

ومن أجل الوصول بالعقل إلى إقناع كامل بالشيء الذي هو محل الجدل رأينا الجدل يأتي بالأمر المناقش فيه، ويخلله إلى منتهي أقسامه، ويرد كل قسم على حده، ليتنهي أخيرا إلى الرأي الحق وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ أَهْلِ

(١) الإتقان (٢/ ١٣٥، ١٣٦) بتصريف.

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبِّكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ (غافر: ٢٨).

فترى هذه الآية تقسم الرأي في موسى العنكبوت عقلياً؛ لأنَّه إما أن يكون كاذباً وإما أن يكون صادقاً، فإنَّ كان كاذباً فكذبه عليه ولا يتعداه، وإنَّ كان صادقاً فاتباعه نفع وفوز ونجاة والتقسيم يؤدي في النهاية إلى عدم التعرض لموسى العنكبوت وعدم محاولة قتله.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِي وَمِنَ
الْأَبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ إِنَّ الذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنْثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءً إِذْ وَصَلَّكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٣، ١٤٤).

وقد رد الله في هذه الآيات على اليهود تحريمهم لذكر الأزواج المذكورة تارةً، وتحريمهم لإناثها تارةً ثانيةً، وتحريمهم لما في أرحام الإناث حسبما اتفق تارةً ثالثةً. فجادلهم الله في رده بطريق «السبير والتقسيم» فيبين أنه خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأثني، وسألهم عن سبب التحريم وعلته؛ لأنَّ العلة إما أن تكون بسبب الذكورة أو بسبب الأنوثة معاً، أو بسبب خارج عن حدود مصدر الشيء المحرم كأن ينزل به وحي من الله. وتلك هي أسباب التحريم كلُّها. ولا يُعتقد سبب سواها.

ويترتب على هذه الأسباب أن يحرم الذكورة جمِيعاً إن كانت العلة هي الذكورة، أو يحرم الإناث جمِيعاً إن كانت العلة هي الأنوثة، أو يحرم الذكور والإإناث إن كانت العلة هي الذكورة والأنوثة معاً، أو يحرم ما فصله الوحي إن كان هو السبب لكن السبب المشاهد أن اليهود يحرمون على هوائهم فيحرمون هذا تارةً، وذاك تارةً أخرى، ويحللون الشيء بعد تحريمه، وقد حصر الله علة التحريم

الممكنة وسألهم عن تحديدها إن وجدت، وبذلك أبطل فعلهم، وأثبتت أن ما قالوه ضلال وكذب.

وهكذا بالسبير والتقسيم، يزال الشك، وتستريح النفس، ويتبقي العقل المجرد والفكر السليم ^(١).

٢- مراعاة الطبائع النفسية:

يعتز كثير من الناس بآرائهم وأفكارهم، حتى وإن كانت خاطئة، والمعاندون أكثر الناس تشديداً في هذا المجال. والجدل يراعي هذه الناحية في مناقشاته، حيث ترى في طرق الجدل ما عرف بطريقة «مجاراة الخصم» ويجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل بعض مقدمات الخصم للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجها، وإنما هي بعيدة عنه. ومن أمثلة هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُرُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِبَّا آوْنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْنُعُ عَلَىٰ مَنِ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم: ١٠، ١١).

فدعوى الخصم أن الرسل بشر والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف. وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر، ويدركون أن البشرية لا تتنافي أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر.

وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لِإِصْغَائِهِ، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلمة والنتيجة التي رتبت خطأ عليها. يقول الشهيرستاني: «واعلم أن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج» ^(٢).

(١) الإتقان (٢/١٣٥، ١٣٦).

(٢) الملل والنحل (٢/٥٦).

وفي «مجاراة الخصم» تقدير لل الفكر وللعقل السليم عن طريق تقدير قوله الصادق وعقله المكين.

ومن طرق الجدل التي تساير الطبائع الإنسانية، وترضى الغرائز البشرية ما عرف بـ«قياس الخلف» وهو جدل يثبت الأمر بإبطال تقييده، ومثاله قوله تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢).

فقد أثبتت قول الله تعالى هذا أن القرآن من عند الله تعالى بإبطال أنه من عند غير الله، لأن خلا من الاختلاف اللازم له لو كان من عند غير الله^(١).

ومن الطرق التي راعت طبائع الناس مجاملة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويمهم مع عدم التسليم بها، مثل قوله تعالى: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (سبأ: ٢٤). ومثل قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوْلُ الْعَدِيدِينَ» (الزخرف: ٨١). وذلك لأن المجاملة أدعى إلى الطاعة، وأقوى في التأثير.

٣- مرااعة صفات المجادل:

يختلف الناس في مجادلاتهم فمنهم المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل ، ولقد راعى الجدل هذه الاختلافات. فمع العناد يلتجأ إلى إفحام الخصم وإلزامه، ثم يأخذ بيده إلى الحقيقة، ويبينها له بوضوح.

فلقد كان المعاندون يطلبون في إصرار أن يكون الرسول ﷺ ملكاً لإزالة اللبس من إرسال البشر فرد الله إصرارهم في وضوح وإيجاز وعرفهم أنه لو أرسل ملكاً على صورته الملكية لملك الناس من رؤيته. ولو جعله على صورة البشرية يعايشهم ويدعوهم في بشريته هذه لبقي اللبس وطلبوه ملكاً آخر. وهكذا في تسلسل لا ينتهي وهو محال نشأ من طلبهما الحال. وعليهم بعد ذلك أن يسلمو بالرسول البشر.

(١) حوار الحضارات وإشكالية التصادم (ص: ٤٠٧).

ومن أمثلة هذه المرااعة:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِونَ كَثِيرًا ﴾ (الأنعام: ٩١).

وفي هذه الآية بيان لإنكار اليهود إِنزال الوحي على بشر هو محمد ﷺ، بينما هم يؤمنون برسالة موسى عليه السلام. وقد رد الله عنادهم وأفحهم بأقصر طريق بسؤالهم عن مسلمات عندهم؛ هي من نوع ما ينكرون. ولذلك سألهم عن الكتاب الذي جاء به موسى وعمن أنزله عليه؟

وحيثما يبدأ المعاند في إنكار المسلمات بإلقاء شبهه عليها. نجد أن القرآن الكريم في قصده الحق يأتي بطريقة «الانتقال»؛ حيث يترك ما ألقى عليه شبهة الخصم، وينتقل إلى ما لا شبهة فيه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحِيِّ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٤- الترغيب والترهيب:

يراعي الحوار القرآني هذا النوع في الخطاب؛ لأن الإنسان يحب الخير، ويسعى إليه ويكره الألم وينفر منه، ولهذا الغرض يسوق القرآن حواراً يجري بين أهل الجنة وأهل النار. فيقول تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقَّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقَّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤْذِنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٤). والوعد المقصود في الآية الأمور التي جاءت على ألسنة الرسل وتحقق حدوثها في الآخرة كالبعث

والحساب ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، ويقول تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقْنَا مُّ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكُفَّارِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠). وهذه الآية تبين أن الجنة فوق النار، وأن ماءها العذب ورزقها اللذيد كثير، فيه فيض وسعة، إلا أنه مع كثرته حرم على الكافرين الذين لم يؤمنوا بالرسالات، وجدوا أن لهم هذا اليوم الموعود. وهكذا يقدم الحوار القرآني صوراً متعددة من مناقشة الخصوم مما جعله وسيلة ناجحة للدعوة تملك التأثير في الناس وهدايتهم إلى الصواب.

وإذا كنا أبرزنا فيما تقدم أهمية الحوار في الدعوة إلى الله تعالى، وكونه وسيلة مباشرة وهادفة للدعوة، ثم أكدنا على دور الحوار في تبليغ الرسالات وتوصيلها المنهج الإيماني الصحيح إلى المتلقين؛ فإننا نتحول إلى خصوصية الحوار في المجال التربوي التدريسي مع الطلاب، وداخل المؤسسات التعليمية، وثمرات ذلك.

وسائل إبلاغ الدعوة إلى الله:

ستتناول فيما يلي وسائل إبلاغ الدعوة إلى الله، وكيفية إسهام الحوار في التربية الصحيحة

الوسيلة الأولى: إبلاغ الدعوة بالكلمة:

إن تبليغ الدعوة بالكلمة يمثل المركز الأول لنشر الدعوة إلى الله وبثها في الناس، والتبليغ بالكلمة، هو منهج النبيين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وقد أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغها لأقرب الناس إليه، قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤). ثم وسع له دائرة الدعوة، فأمره بإعلانها وأخبره بحمایته من المستهزئين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَنَزَّلَ قَدَمًا بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا أَسْوَهَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿النحل: ٩٤ - ٩٦﴾.

ويبين رسول الله ﷺ منهجه في الدعوة بقوله تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (يوسف: ١٠٨). واستجابة لأمر الله بقوله: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ» (النحل: ١٢٥).

واستخدام الكلمة في الدعوة إلى الله له صور متنوعة منها:

١- الخطبة:

الخطبة من صور إبلاغ الدعوة يحشد لها الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق:

أ- الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين.

ب- الإمتاع بحسن اختيار الكلمات وجميل العبارات وملائم الإشارة، والدقة في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس.

٢- المحاضرة:

أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله يجالس فيه المحاضر من يتحدث إليهم ويتكلّم معهم بما يحضره، ولذلك سميت محاضرة، ويقال فلان حسن الحاضرة أي: متقن لحديثه مع الناس من حيث تنويرهم وإقناعهم بما يقول^(١).

والمحاضر يطرح موضوعاً معيناً، وله هدف معين منه، ويشترط فيه:

١- المعرفة الجيدة بالمنهج العلمي.

٢- التدقيق في اختيار موضوع المحاضرة بحيث يكون مما يشغل المخاطبين في حاضرهم ومستقبلهم.

(١) فقه الدعوة إلى الله (١٧٣/١).

الحوار في الإسلام

- ٣- استعمال الألفاظ العلمية الدقيقة الواضحة الدلالة، والابتعاد عن الألفاظ الموهمة أو الفضفاضة التي تحتمل جوهاً عديدة.
 - ٤- الابتعاد عن التصوير الخيالي للمعاني.
 - ٥- أن يكون موضوع الحاضرة ولغتها والحوار الدائر فيها من جانب الحاضر ملائماً لمستوى السامعين ولطبيعتهم وظروفهم الاجتماعية؛ حتى تتحقق الحاضرة هدفها.
- ٣- الدرس:

هو دعوة إلى الله بالكلمة عن طريق حلقة تعقد مع عدد من الناس حضروا إلى من يدرس قصداً في أي مكان ملائم، والدرس وسيلة مهمة من وسائل تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، كما أنه وسيلة جيدة لإيجاد علاقات وروابط بين المهتمين بشئون دينهم من الناس ولابد أن يختار موضوع الدرس بدقة وعناية بحيث يحقق ملائمة ويشير اهتماماً لجمهور الناس الذين يتلقون الدرس، ولكي ينفع الدرس لابد له من أمور:

- ١- أن تكون لغته سهلة وألفاظه خالية من الغريب.
- ٢- العبارات واضحة تنقل المعاني إلى ذهن السامع دون إسراف أو زخرفة.
- ٣- الاستشهاد بالأمثال والقصص للسابقين.

ومن أهداف الدرس:

- ١- محاورة الناس وسؤالهم والإجابة على أسئلتهم.
- ٢- التأثير في الناس وربطهم بالعقيدة الصحيحة.
- ٣- تقرير مفاهيم صحيحة وتصحيح مفاهيم خاطئة.
- ٤- غرس القيم الفاضلة والأخلاق.

و عند النظر إلى الخطبة والمحاضرة والدرس ومراجعة ما ورد في القرآن الكريم من حوار بين الأنبياء وأقوامهم نجد أنه يحتمل الأسلوب الثلاثة فشعيب الطهارة يسميه

المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعة قومه وبراعته في إقامة الحجة عليهم ودحض حججهم، وقد جاءهم بينة من ربه على صدقه فيما يدعوه إليه^(١).

ونوح النبي قد نوع في وسيلة دعوته ومواعيدها حتى لكانه كان يتعهد لهم بدروس مستمرة أثمرت مع فتنة قليلة.

وموسى النبي في خطابه مع فرعون وملئه يبدو وكأنه يلقي عليهم محاضرات بين فيها دعوته وصفات إلهه ويتهدأهم بالمعجزات.

٤- الرسالة:

وهي استخدام الكلمة عن طريق الكتابة إلى الغير ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة أو عقد صلة مودة مع الآخرين. ولا بد من تحديد هدف الرسالة والموضع الذي تدور حوله وينبغي أن يكون مثيرا لاهتمام المرسل إليه، ولا بد لكي تتحقق الرسالة هدفها من أمور:

- ١- أن تكون لغتها سهلة واضحة للمرسل إليه.
- ٢- أن يكون تعبيّرها جميلا وأسلوبها لطيفا رقيقا.
- ٣- أن تحتوي على موضوع واضح محدد.

وقد ضرب لنا رسول الله صل أروع المثل في استخدام هذه الوسيلة لتبلیغ دعوة الله ومن ذلك رسالته صل إلى هرقل عظيم الروم وكان نصّها^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم وسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأربسين - الحديث^(٣).

(١) قصص الأنبياء (ص: ١٤٥).

(٢) عالمية الدعوة الإسلامية (٢/٤٦٩).

(٣) رواه البخاري [٧]، كتاب بدء الودي، باب [٦]، ومسلم [١٧٧٣]، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

ومنْ قَبْلِ استخدم هذه الوسيلة سليمان عليه السلام مع بلقيس حين أرسل لها رسالة مع الهدى ألقاها إليها يدعوها فيها إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَوْءُ إِنِّي أُلْقَى إِلَى كِتَبٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلُوْا عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٩ - ٣١).

٥- المقالة:

وهي فن من فنون القول كالرسالة، وهي وسيلة جيدة لعرض الفكرة والمشاعر في موضوع من الموضوعات المهمة بأسلوب متقبل جذاب والمقال المثير هو الذي يلامس حاجة الفرد، ويس قضايا الأمة، ويبعد عن الألفاظ الصعبة، وهو المتوسط فليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وهو الذي يختار له صاحبة عنواناً جذاباً يجذب العيون، ويُستحب للمقال المثير أن يكون مقسماً ومجزاً إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٦- الكتاب:

وهو وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وفي إِنْزَالِ اللَّهِ تَعَالَى الْكِتَبِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى خَطْوَرَةِ هَذِهِ الْوَسِيلَةِ، فَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ كِتَاباً وَمِنْهَاجاً، وَقَدْ كَانَ قُرْآنَنَا كِتَاباً خَالِدًا مَحْفُوظًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ. وَلَذِلِكَ نَهَجَ السَّلْفُ فِي تَأْلِيفِ الْكِتَبِ يَبْيَنُونَ أَفْكَارَهُمْ وَيُنْشَرُونَ عِلْمَهُمْ وَيُبَيِّنُونَ عَقَائِدَهُمْ لِيَتَوَارَأُهَا الْأَجْيَالُ فَتَكُونُ عُلَمًا يَنْتَفِعُ بِهِ. وَإِنْ مَنْ أَصْحَابُ الْمُنْكَرِ مَنْ لَا يُسْتَطِعُ الدُّعَاءُ إِقْنَاعَهُمْ إِلَّا بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ.

الوسيلة الثانية: إبلاغ الدعوة بالعمل:

تعنى هذه الوسيلة أن على المحاور أن يلتجأ إلى الأسلوب العملي القائم على تلبية احتياجات الناس في إصلاح حالهم أو إبعاد الشرور عنهم وحمايتهم من كل ما يفسد عليهم أمور دينهم، وعلى ذلك فالتبليغ بالعمل له صور منها:

١- الأم بالمعروف.

٢- النهي عن المنكر. وهم وسليتان قوليتان عمليتان.
وذلك لتكون حياة الناس على هذه الأرض آمنة مطمئنة متجة نافعة، تُصلح
الدنيا وتُعد لآخرة.

مبادئ عامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- ١- أن عامة المسلمين مطالبون بأن يأمر كل واحد منهم بالمعروف وينهي عن المنكر في حدود قدرته.
- ٢- أن فئة من المسلمين لابد أن تتحدد وتمارس هذا الواجب وذلك هو الحد الأدنى.
- ٣- أن الالتزام به يحقق الأمان والرخاء ويُوحِّد الجنة.
- ٤- أنه يحتاج إلى قوة ومنعة لأطْرِ الناس على الحق أطْرًا.
- ٥- أن التخلِّي عنه يوجب عذاب الله وعدم استجابة الدعاء.

مراتب ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- ١- التعرف على وجود المنكر والتأكد منه بلا تجسس.
- ٢- التعريف بالمنكر فقد يقدم عليه بجهل.
- ٣- النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله.
- ٤- التعنيف بالقول الغليظ عند العجز عن اللين وعدم جدواه.
- ٥- التغيير باليد بحيث يبطل صلاحية المنكر.
- ٦- التهديد والتخويف، فإذا اندفع المنكر كف^(١) ومع أن الأصل في دعوة الناس هو الرفق والمداراة إلا أن بعض الناس لا ينفع معه الرفق.
والحق أن الدعاء لم يلجأوا إلى التعنيف والتهديد إلا عند كثرة الجدال وعدم الإيمان وظهور التحدي والعناد من أقوامهم ولم يقتصر الأمر في ذلك على الأنبياء بل هذا حال المصلحين في كل زمان ومكان.
وخير مثال نسوقه على ذلك قصة أصحاب القرية الذين يَعْدُونَ في السبت فقد
بَيَّنَ تعالى في قصتهم وحوارِهم مع الآخرين عدم استجابتهم لهم والعقوبة التي

(١) فقه الدعوة إلى الله (١٤٦/١).

حلت بهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَسَأَلُوكُمْ عَنِ الْقَرِيبَةِ أَتَى كَانَتْ حَاضِرَةً أَلْبَحَرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبَّتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا أَلَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْسُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِدَابٍ بَيْسِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَنِ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرْدَةً حَسِينَ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبَّكَ لِيَعْنَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَدَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ (الأعراف: ١٦٣ - ١٦٨).

الوسيلة الثالثة: إبلاغ الدعوة بالقدوة:

إذا توافر الفكر المستنير ثم الكلمة الطيبة جاء دور العمل الصالح نعمله ونجعل من أنفسنا فيه للناس أسوة حسنة ومثلا يحتذى به، فما لم نخول ما ندعوه إليه إلى سلوكٍ عمليٍ لنا وحياةٍ نحيها بقلوبنا ووجدادنا بسلوكنا ونهجنا فيدرك المخاطبون إخلاصنا وصدق نياتنا من خلال الروح السارية في كلماتنا والمؤكدة بالسلوك العملي لنا، فإننا لن نجد من يُصنِّف إلينا وكذلك عصم الله أنبياءه من سائر المنفرات ونشأهم على السلوك الحسن قبل النبوة، وبعدها عصَمُوهُمْ مِّنَ الذُّنُوبِ^(١)؛ لأن القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة، وهي وسيلة عملية ناجحة تضع أمام المدعو صورة حيةً يستطيع أن يقتدي بها، غير أن هذا الأسلوب محفوف بالمحاذير التي منها:

(١) الدعوة الإسلامية الوسائل الخطط المداخل (ص: ٧٨).

١- غرور الداعي أو إعجابه بنفسه أو عمله :

إن إعجاب الإنسان بنفسه والنظر إليها بعين الكمال والفاخر والتطاول على الناس بالعلم والصلاح أو الجاه أو المال خلق ذميم يجعل صاحبه ممتنعاً عن قبول الإصلاح من جهة، ويزرع العداوة والبغضاء بينه وبين الناس^(١).

٢- ربط الناس بالأشخاص لا بالمبادئ.

٣- عدم تطابق ظاهر بعض الدعوة مع بواطنهم.

وقد عدّ العلماء هذه الأمور آفة الدين التي تصيب الناس بالشك لا في الدعوة، ولكن في الدعوات ذاتها^(٢)، ولكن لكي يتتجنب الداعية هذه المحاذير لابد له من عمق الإيمان بالله وحسن الصلة به، ودقة الفهم لعمله ودعوته، والمداومة على العمل الصالح وحب الخير للناس، والتضحية بالوقت والجهد والمال في سبيل الله، والتواضع لله والاعتراف بالتقدير، وحسن الخلق والتأسي برسول الله ﷺ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل عمل وقول، والاجتهاد لمصلحة المسلمين ودفع الضر عنهم^(٣).

الوسيلة الرابعة: إبلاغ الدعوة بالشرح والتفسير لأصول الدعوة:

إن القرآن الكريم في مجمله شرح وتفسير وعرض لأصول الدعوة إلى الله. وفيه جميع الحقائق التي تتصل بذات الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، والحقائق التي تتصل بالشريعة، والمنهج تحدث عنها القرآن إجمالاً وتفصيلاً، ومن خلال إثبات هذه الحقائق وذكر حججها وبراهينها؛ يكون عرضها وعرض مبادئها وأدابها.

وهذه أمثلة لما ورد في القرآن من حوارات حول هذه القضايا لشرحها، وتفسيرها :

(١) دعوة الإسلام (ص: ٢٠٤).

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن (١/٥٥).

(٣) فقه الدعوة إلى الله (١/٢٣٦ - ٢٣٧).

١- العقيدة في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر: فقد ذكر تعالى في سورة طه في تفسير موسى وهارون 'لفرعون وشرحهم لمعنى كلمة الرب التي استغلقت عليه قال سبحانه ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَأْمُوسَى﴾ (طه: ٤٩).

٢- العبادة من توحيد وصلاة وصيام وحج ونواقل وقربات: لقد ذكر تعالى الحوار حول القبلة وتحويلها فقال جل وعلا: ﴿سَيَقُولُ الْسُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢).

٣- المعاملات الإسلامية من عقود كالزواج والطلاق والبيع والرهن والمواريث وغيرها: وهذه الأحكام قد بينها الله تعالى في القرآن لأن المسلمين كانوا يحتاجون إلى معرفتها، فقد استفتوا رسول الله ﷺ في أمر النساء قال تعالى: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِي كُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْتَلِي عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقْوُمُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧). وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِي كُمْ فِي الْكُلَّلَةِ إِنْ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْتَنِينَ فَلَهُمَا الْثُلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦).

٤- الحدود والقصاص والحرابة وقتل أهل البغى والجهاد في سبيل الله. ومن الحوارات في هذه الموضوعات ما ورد في سؤالهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى في

الزمان والمكان. إنه شرح مفصل وتفسير لما استغلق عليهم، قال تعالى: ﴿ يَسْتَأْلُونَكَ عَنِ الْشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوْا وَمَنْ يَرْتَدِّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

٥- كلُّ ما يتصلُّ بالفضائل ما فُرِضَ فيها وما ندب: مثل الصدق والوفاء والعتة والأمانة وصلة الأرحام والبر والصبر والشجاعة وإكرام الضيف وغوث الملهوف وعون الحاج والرضا.

كما بين تعالى بعض الصفات المذمومة التي يحب على الإنسان الابتعاد عنها، فمن الصفات التي ذكرها الله تعالى الرضا، ويشير القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن الرضا المحمود الجميل الطيب الأثر هو الرضا بما يأتي به الله وبما يأمر به وما عند الله أمّا غير هذا مما يخالف أمر الله وحكمه فهو رضا مذموم، ولذلك جاء في سورة التوبه على سبيل التعریض والمؤاخذة^(١): ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَّاقَلْتُمُ إِلَيَّ الْأَرْضَ أَرْضِيْتُمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنِ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعْتُمُ الْحَيَاةَ الَّذِينَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبه: ٣٨). وجاء فيها أيضا: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَإِنَّكُمْ لَنْ تُخْرُجُوهُنَّا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْتَلُوْهُنَّا مَعِيَ عَدُوًا إِنَّكُمْ رَضِيْتُمُ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ ﴾ (التوبه: ٨٣). ويوجه الله المنحرفين إلى طريق الرضا فيقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُّوْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (التوبه: ٥٩).

الحوار في الإسلام

فأساليب العرض لم تخرج عن استخدام أحد الأساليب التالية :

- ١- الأسلوبُ القصصي للوصول إلى نتيجة معينة للعبرة أو التهديد أو النصيحة.
- ٢- أسلوبُ إثارةٍ بالسؤال لشد انتباه المخاطبين.
- ٣- أسلوبُ التسلسلِ لمساعدة المخاطبين على فهمِ نقاط الموضوع والوصول إلى النتائج^(١).

الوسيلة الخامسة: الرد على الشبهات والمفتريات:

جرت عادة الناس وغلب عليهم منذ أن جاءتهم الأنبياء والرسل بالدين السماوي أن يقفَ عدد كبير أغلبهمُ من أصحاب الجاه والسلطان موقفَ العناد والرفض والتكذيب للرسل متهمين الحقَّ مفترين عليه، فما سَلِمَ نَبِيٌّ من تهمةٍ تُوجَّهُ إليه أو إلى ما جاء به، وتظل هذه الشبه والمفتريات حائلًا بين بعض الناس، والدخول في صفوف الحق؛ لذلك لابد من دفع هذه الأباطيل حتى يتمكن أصحابُ الفكرِ السويِّ من رؤية الحق والتمسك به، وقد اتبع القرآن الكريم هذا الأسلوب في كثير من الموضع، ورد على كثير من الأباطيل والمفتريات والشبه التي تثار؛ والتي قد تكون أحياناً :

- ١- مفتريات وأكاذيب من اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدَ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ كَرِسُولِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ الْكَارُورُ قُدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبِيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَاتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

وقال سبحانه: ﴿وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ عُزِيزٌ أَبْنُ اللَّهِ وَقَاتَلَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبه: ٣٠).

٢- شبهات ضد القرآن الكريم نفسه في أنه من عند غير الله وأنه أساطير الأولين وأنه ملهم من الأديان التي سبقته وأنه مفترى قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ، وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعُتُمْ مِّنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾ (يونس: ٣٨). وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ، مُفْتَرِيَتِ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعُتُمْ مِّنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَحِيُّوْ لَكُمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ (هود: ١٣ - ١٤).

٣- شبهات ضد الرسول ﷺ من أنه اخْتَلَقَ القرآن، وطعنوا في الوحي، وأن الذي عَلِمَهُ القرآن أحد الروم، وأنه بشر أو أنه لا بد أن يكون ملائكة.. إلى غير ذلك. ومثال ذلك ما حكاه القرآن الكريم في هذه القضية قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُوْنَ ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيَ بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِيْنَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَ﴾ (الأنعام: ٨ - ١٠). ونرى كيف رد عليهم القرآن أروع رد؛ لأنه لو كان على هيئة ملك لما استطاعوا رؤيته ولو كان على هيئة البشر ما صدقوه، فالنتيجة واحدة.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: ٤).

الوسيلة السادسة: التعهد بالتربيـة والإعداد:

يقوم هذا الأسلوب على تعهد المدعو وعقد صلة طيبة به وربطه بالدعوة ربطاً وثيقاً وتربيته وفق منهج الإسلام تربية تستوعب كل جوانب شخصيته وتعهده بالنماء والاستقامة.

هذه التربية تُعِدُّ المسلم للقيام بكل عمل يطلبه منه الإسلام في أي مجال من مجالات العمل وبالرغم من أن طريقها أطول وأسلوبها أصعب إلا أنه الأسلوب الأمثل والأهلى والأقدر على الوصول إلى الهدف بأمانٍ وسلامٍ.

وقد تعهد الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام بتربيتهم والاعتناء بهم ويكفينا مثالاً على ذلك تعهده لموسى عليه السلام منذ ولادته وأثناء دعوته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ﴾ ﴿ أَنِّي أَقْدِفُهُ فِي الْتَّابُوتِ فَأَقْدِفُهُ فِي الْيَمِّ فَلَيُلْقِهُ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ ﴿ إِذْ تَمْسِي أَخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَيْكَ أُمُّكَ كَمْ تَقْرَرُ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزُنْ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنْ الْعَمَّ وَقَتَلْتَكَ فَتُؤْنَى فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدِينَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدْرِ يَمُوسَى ﴾ (طه: ٣٧ - ٤٠).

إنها عبارات تدل دلالة واضحة على رعاية الله المستمرة لموسى عليه السلام حتى هذه المرحلة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد حتى عند بعثة لفرعون وإحساس موسى بالخوف تجيء كلمات الله ورحمته؛ لتشد من أزره في هذه المواقف يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَمَنَا ﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (طه: ٤٥ - ٤٦). وتستمر العناية الإلهية وبيدو ذلك واضحاً عند خوف موسى ساعة لقائه بالسحرة وتحديهم؛ ليجيء الاطمئنان لقلبه يقول تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (طه: ٦٧ - ٦٨). ولذلك كان موسى عليه السلام في غاية الثقة من معية الله يقول له قومه ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فيقول عليه السلام: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَا ﴾ (الشعراء: ٦٢).

والله عز وجل يحمي يوسف عليه السلام من القتل ويمكّنه من خزائن الأرض، ويقر عين أخيه به، ومن قبله نوح عليه السلام يحميه فترة دعوته ويكون معه عند صناعة الفلك وينجيه، وهذا يومنس عليه السلام يربيه عندما ظلم نفسه ويحفظه في بطن الحوت وينصره،

وإبراهيم الثانية مَنَّاهُ اللَّهُ قُوَّةً في الحجّة وذكاءً للنقاش وحمايةً من النار وطمأنينةً في القلب وعناءً مدة الحياة وحفظ له ولذرته.

الوسيلة السابعة: الترهيب والتهديد:

إن الهدف من الدعوة بهذا الأسلوب هو جذب الناس على الحق خوفاً من العقاب وخوفاً من فقدان السلامه والأمن، فالنفس البشرية تؤثر السلامه على الخوف والخطر، والرجاء أعلى منزلة من الخوف، والعمل على الرجاء أفضل منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم إليه.

ومن الناس من لا يستجيب إلا إذا خوف، وهدد. وخوف الله ينبغي على العلم به، ومعرفته وأخوف الناس لربهم أعرفهم به فالمؤمن حقاً هو الذي ينافر ربه ويرجو رحمته وعفوه.

وقد قال بعض السلف: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله، وإذا كان الإنسان لا سعادة له إلا في لقاء ربه والقرب منه ولا قرب من الله إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا محبة بغير معرفة ولا معرفة إلا بدوام الفكر ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا مواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع الشهوات ولا قطع للشهوات بشيء كالخوف فهو النار المحرقة للشهوات^(١).

وللترهيب طرق عديدة فمن طرقه:

١- التخويف من غضب الله وعذابه في الدنيا وعند الموت، وفي الآخرة عند الحساب وبعده من النار، وما يصيب الإنسان في الدنيا من الخوف والجوع والفرز وبيان أحوال الأمم السابقة البائسة، وبالتحذير من عدم نيل الدرجات العالية في الجنة ومرافقة الأنبياء والشهداء والصالحين^(٢).

(١) إحياء علوم الدين (١/١٣٩) «بتصرف».

(٢) المنهج الدعوي في أصول المعاشرة الدعوية (ص: ٢٤٩)، وانظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص: ٤٢١) وما بعدها.

فالخوف وسيلة للرجوع إلى الجادة وترك المعاصي لذلك استخدم شعيب القطناني مع قومه هذا الأسلوب قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِنَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (هود: ٨٤).

وبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى عَاقِبَةُ الَّذِينَ إِذْدَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ الْكَلِيلَ تَرْهِيْبًا لَهُمْ مِنْ مَقَالَتِهِمْ وَتَهْدِيْدًا حَتَّى يَعُودُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَدَهُ الظَّارُورُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

وأبو الأنبياء إبراهيم القطناني بين حَبَّةَ لَأْيَهِ وَخَوْفَهُ عَلَيْهِ وَلَعْلَ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ تَكُونُ سَبِيلًا فِي رَجُوعِهِ إِلَى اللَّهِ وَخَوْفِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَيَّهِ يَأْتِيَتِ لَمَّا تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَأْتِيَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ أَعْلَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَأْتِيَتِ لَا تَعْبُدِ الْشَّيْطَانَ إِنَّ الْشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَأْتِيَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْهَتَّى يَأْتِيَ إِبْرَاهِيمُ لِئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (مريم: ٤١ - ٤٧).

٢- ومن أساليب الترهيب ذِكْرُ أهواهِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَذَابِ النَّارِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي حَوَارِ ابْنِي آدَمَ القطناني حِيثُ قَالَ: ﴿ وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبْنَى إَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنَ الْأَخْرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَكَ

قال إنما يتَّقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ لِئَنْ بَسَطَتِ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَتَأْتَ بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ (المائدة: ٢٧ - ٢٩).

إنها صورة مرسومة بمنتهي الدقة تنقلنا إلى موقع الأحداث كأننا نرى الآخرين وهم يتحادثن أحدهما تظهر عليه سمات الخير والصلاح ولا يملك إلا لسانه يتحدث به يستشير الخير في أخيه يخوّفه بالله ، والآخر يتطاير الشر من عينيه والحق من حركاته والحسد في لفاته ويصر على موقفه ، فتصف لنا الآيات ذلك : ﴿فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قُتِلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصَبَّحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٣٠) . ولنا أن نتخيل طريقة القتل وأن تخيل ندمه وحسرته وخسارته بعد ما اقترفت يداه الإثم.

الوسيلة الثامنة: إبلاغ الدعوة بالإقناع:

يعتبر الإقناع أحد الأساليب التي يستخدمها المحاور في حديثه للتأثير على المخاطبين وإقناعهم بالفكرة وإيجاد الحافز الذاتي للوصول إلى الغاية وتحقيق الهدف. والحافزُ الذاتيُّ هو القوةُ الداخليةُ للإنسانُ المحركةُ لعواطفهِ والوجهةُ لإرادته والدافعَ له حتى يمارس سلوكاً معيناً داخلياً أو خارجياً^(١).

الوسيلة التاسعة: إبلاغ الدعوة بإيجاد الحلول:

يعني هذا الأسلوبُ بسمية الوجдан والضمير وهذا يحتاج إلى وقت ومثابرة وصبر. ويتضمن هذا الأسلوبُ أيضاً إيجاد البديل عن كل ما ينهاهم عنه المحاورُ لكي يملأ الفراغ الذي أوجده في النفوس ، ويكون بالحلول العملية لا المثالية التي ليس لها وجود. وإن الآيات التي ذكرها الله تعالى عن نبيه لوط العلية وقومه لتصف مشاعره وضيقه وتقديمه الحلول لهم وتحريك عقولهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذِرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢٠٢/١).

قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُجُنَّ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿هود: ٧٧ - ٧٨﴾.

ويكفيانا لبيان هذا الأسلوب أن نذهب بجولة مع مؤمن آل فرعون لنرى كيف يتدرج بالإنكار على قومه درجة درجة حتى يفصح لهم في النهاية عن إيمانه الذي كان يكتمه كل هذا بأسلوب يمتلى بالذكاء ودقة متناهية بالتدريج والإنكار. وبعد قرار فرعون بقتل موسى عليه السلام بقوله: «وَقَالَ قِرْعَوْنُ ذَرْوِنِي أَقْتُلُ مُوسَى وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» (غافر: ٢٦).

هنا قام رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ليدافع عن موسى وليرد كيدهم عنه بأسلوب ذكي. قام يلاين قومه ويرغبهم من ناحية ويخوفهم من عذاب الله من ناحية أخرى بأسلوب عنذب قوى ويتدرج مدروس متقن في جولة مع أصحاب القرار بحوار قد قسمه إلى أقسام ودرجات وأخذهم معه درجة؛ كي يقروا ما يريد إنكاره عليهم ^(١).

لقد تفنن الرجل المؤمن في عرض حججه فساقها مرة في صورة استفهام ومرة في صورة الدليل العقلي، وثبت لهم بالأدلة المنطقية أن الذي يدعونه لعبادته ليس له دعوة ولا يستطيع الاستجابة لمن دعاه ثم يعذر إليهم بقوله: «فَسَتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» (غافر: ٤٤).

الوسيلة العاشرة: استخدام وسائل الإيضاح المتاحة:

استخدام وسائل الإيضاح من أهم الأساليب لإفهام الآخرين فكرةً معينةً أو إثبات رأي على حسب قوة الوسيلة ودقة وبراعة المحاور في استخدامها وهي وسيلة لإقناع الطرف الآخر بإفهامه الجزئيات للوصول إلى قبوله للفكرة، وليست هناك

(١) راجع أدب الحوار في الإسلام (ص: ٨٨).

وسائل خاصة بل إن الإنسان هو المحرك لجميع الوسائل، وفي هذا يقول عمارة نجيب: يُعدُّ الإنسان أداة الدعوة الأولى ووسيلتها وهو كذلك لدى جميع الدعوات والمذاهب والاتجاهات، وقد يظن أن الوسائل الحديثة أصبحت أكثر تأثيراً وفاعلية من الإنسان وهذا خطأ ظاهر لأن جميع الوسائل القديمة والحديثة المباشرة وغير المباشرة لو اجتمعت دون الإنسان لأصبحت فارغة المحتوى لا قيمة لها ولا أثر^(١). ووسائل الإيضاح قد تكون طبيعية من الكون حولنا، وقد تكون أجهزة أو تجارب علمية أو أدوات وقد تكون حسية أو معنوية.

وبالنسبة لأنبياء الله كانت وسائلهم الإيضاحية هي معجزاتهم لإظهار قدرة الله تعالى وإقناع المخاطبين بعبادته وتوحيده. ففرعون لم تقنعه هذه المعجزات واعتبرها سحراً قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ إِيَّنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ ﴿ قَالَ أَجْئَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوُسَى ﴾ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى ﴾ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِّيَّةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ (طه: ٥٦ - ٥٩).

وموسى عليه السلام يظهر وسالته، ويتحدى فرعون، ويحدد الوقت، والطريقة التي تساعده على إظهار الحق.

وتظل الدعوة إلى الله هي الهدف الأسمى ويظل الحوار أروع وسيلة من وسائلها، ويظل تأثيرها قوياً مادام الحوار له هدف وغاية، ومادام المخاوروون مخلصين في حوارهم، عندئذ يتعلم الناشئة أدب الحوار، وتنمي لديهم القدرة على التفاهم والتحاور دونها جمود على رأي واحد أو فكرة ثابتة.



(١) فقه الدعوة والإسلام (ص: ١٨٥).

الفصل الثاني

ثمرات الحوار في مجال التعليم والتربية

يقومُ الحوار التربوي داخل قاعات الدرس على مجموعة من الأسس تُفضي إلى تحقيقِ أفضل نتائج في التعلم، وثمراتُ الحوارِ نلمسُها بوضوح في المجال التعليمي وفي المجال التربوي.

أولاً: ثمرات الحوار في المجال التعليمي:

إن الحوار هو أحد الأشكال الرئيسية للاتصال اللغوي والاجتماعي بالنسبة للإنسان؛ يتحدث به إلى الآخرين، ويتحدث الآخرون إليه باعتباره جزءاً مهماً في الممارسة اللغوية التي يمارسها الأفراد في الحياة؛ فالناس يتحاورون أكثر مما يكتبون، وبقدر ما يكون لدى الإنسان من قدرة على عرض وجهة نظره بطريقة واضحة وإقناع الآخرين بها، بقدر ما ينجح في اتصاله بالآخرين وفي إنجاز الحوار الهداف الهدف المفید؛ فهو يعتمد على الحوار بشكل أساسى عندما يريد استمالة غيره من أفراد المجتمع والتأثير فيهم؛ فيحملهم على أن يسلكوا سلوكاً معيناً، ويبدون امتلاكاً مهارات الحوار لا يوجد لنا بقاء في عالم اليوم، ولا ننسى أن الإنسان في حياته العادلة وفي آية مرحلة من مراحل العمر لديه الميل والرغبة في أن يتحدث، ويعبر عن ما يفكّر فيه وعما يفعله، وقد يستطيع بأقواله وأفعاله أن يقنع السامع، ويسيطر عليه، ويكسب تأييده وثقته.

وإذا كان للحوار هذه الأهمية، فإننا يجب أن نوليّه عنايةً كبرى في مدارسنا، وأن نحرص على تدريب التلاميذ على كيفية إتقان التحاوار وإتقان الآخرين، وإذا كانت العملية التربوية تعتمد على ما يجري من اتصال بين جميع الأطراف المشتركة في المواقف التعليمية^(١) فإن الحوار أو الحديث هو وسيلة هذا الاتصال وجوهه، سواء أكان هذا التحاوار بين المعلم والتلاميذ، أم بين التلاميذ بعضهم وبعض.

(١) المعلم وإدارة الفصل (ص: ٥٥).

إن الفرد الذي لا يكون قادرًا على المشاركة فيما يجري من اتصال في المواقف التعليمية، لا يمكن أن يتعلم على النحو المرغوب فيه، كما أن التدخل المستمر من جانب المعلم فيما يجري من اتصال بين التلاميذ، يُقللُ من عائد هذه العملية. والمشكلةُ الرئيسة في هذا الشأن، هي أن المعلم يستخدم طرقًا تقليدية يعتمد عليها في معظم الأحيان، ويعتبر أن وظيفة الحديث أو الكلام هي نقل الحقائق والمعلومات إلى التلاميذ، وهذا خطأ جسيم فإن جوهر الاتصال هنا ما يجري من حديث بينه وبينهم من أجل الوصول إلى غابات تفوق تلك الغاية من حيث الأهمية.

وإذا كان تدريب التلاميذ على الحوار يُعينهم على أن يحيوا حيَاً فاعلاً متجاوِبةً مؤثرةً - لاسيما في المجتمع المسلم - فإن معظم التربويين يؤكدون أن تنمية قدرة طلاب العلم على التحاور من أهم الأغراض في تعليم اللغة؛ فليس هناك شيء يقتنيه المتعلم في حياته أثمن من تمكنه من لغة أهل بلده، واستطاعته أن يعبرَ عما في نفسه.

ومن أهم واجبات المدرسة أن تأخذ بأيدي تلاميذها في مجال التعبير، وأن تعودهم الاشتراك في المناقشات الجماعية المنتظمة في أسلوب واضح سليم، يقوم على الإقناع وأن تدرّبهم عند تعاملهم اللغوي بقاعة الدرس على أن يقدموا أفكارهم دون تقييد أو إكراه؛ لأن قدرة أفراد المجتمع على التحاور الهادئ الرزين النافع، وقدراتهم على الاستماع لآخرين، وعرضهم وجهات نظرهم، ومحاولة إقناع الغير بها من العوامل المؤثرة في تقدم المجتمعات.

وممارسة الحوار يمكن أن يكسب الطلاب مهارات متنوعة من خلال هذه المواقف، تجعلهم قادرين على التحاور مع الآخرين، وعلينا بعد ذلك أن نعدّهم للمواقف والأنشطة الحوارية التي يشاركون فيها كدافع لهم على التحاور والإقناع.

فوائد الحوار التعليمي:

١- تنمية اللغة الشفهية عنصرٌ أساسيٌ بالنسبة لمهارات اللغة الأخرى، كما أن الأطفال الذين يستطيعون تقديم أنفسهم بطريقة فعالة عندهم الفرصة أن ينجحوا في مجالات أخرى من فنون اللغة.

الحوار في الإسلام

- ٢- في الحوار فرصة لاحترام رأي الطالب وتشجيعه على التفكير وتقديم الآراء والمقترحات، حتى لو كان فيها ما يغایر المألف، وإذا استطعنا أن نحترم كل نتيجة يصل إليها الطالب - مهما كان مستواها - بغض النظر عن رأينا فيها، وإذا غرستنا فيه الثقة بالنفس، وعرضناه لواقف تتطلب التفكير والموازنة، لوصل تدريجياً إلى الاستقلال في التفكير.
- ٣- يزيد الحوار من القدرة على اكتساب المهارات وتكوين الآراء، واتخاذ القرارات، كما يساعد الحوار على تطوير المعلومات ودعم الروابط والعلاقات الاجتماعية؛ ويساعد أيضاً على اكتساب روح التعاون وأساليب العمل الجماعي.
- ٤- المشاركة الإيجابية التي تتحقق من خلال الحوار تجعل تعبير الطلاب عن حالاتهم الانفعالية يتخد شكلاً طبيعياً، يصل بهم إلى القدر المرجو من الاتزان الانفعالي، ويمكن للمعلم أن يدرِّبهم على ضبط انفعالاتهم وتهذيبها في جو من الصدقة والود؛ مستثمراً كل فرصة في تنمية ثقتهم بأنفسهم.
- ٥- يساعد الحوار على كسر حاجز الخجل والتهيب، ويزيد من قدرته على المواجهة؛ فأثناء التحاور يقف مع زملائه متحدثاً ومستمعاً، وهو باعتياده هذه المواجهة يألف مواجهة الآخرين؛ مما يغرس الثقة بالنفس. ويساعد الحوار على علاج أمراض النطق التي تعود إلى أسباب نفسية أو الإحباط الذي تعرّض له الطالب في مواقف سابقة. وتوجيه النقد والمشاركة الجماعية في الحوار؛ يخفف من درجة توتره وقلقه، ويوفر لديه قدرًا كبيراً من التوافق.

٦- اكتسابه أسلوب الشورى القائم على النظام واحترام الرأي المعارض، يشعره بأهمية آرائه، ويزيد من إقباله على الدراسة.

٧- يُعد الحوار تجمِيعاً للآراء والخبرات المختلفة؛ بحيث يظفر كل عضو في النهاية بمحضلة أكبر من تلك التي كانت لديه؛ وخلق الوعي ودعم الوحدة الفكرية بين أفراد المجتمع، ويمكنهم الحوار من زيادة خبراتهم الشخصية عن طريق منافذ

المعرفة المختلفة؛ لأن هذه الخبرات تمنحهم فرصة للحديث، وتجلب لهم التفات الآخرين، والنظر إليهم نظرة تقدير واحترام، كما تنمى معلوماتهم وثرواتهم اللغوية، وتحتّهم على البحث والإطلاع.

٨- يساعد الحوار على تنمية الجانب القيادي لدى الطلاب؛ حيث يشعرهم بكيانهم الاجتماعي وسط إخوانهم، وباستقلال شخصياتهم وتفردها، حين يعبرون عن مشاعرهم، أو حين يتكلمون بدلاً منهم. كما أنه يساعد على اكتشاف الطلاب المهووبين ومساعدتهم؛ لتنمية تلك الموهبة إلى أقصى حد ممكن.

٩- الحوار فرصة لاكتساب اللباق في الحديث، واكتساب آداب التحدث مع الآخرين، والسيطرة على الصوت، وتنوع طبقاته، والتدريب كذلك على كيفية الوقوف للتحدث والهيئة التي يكون عليها الشخص وهو يقف أمام الآخرين.

١٠- يكسب الحوار بعض المبادئ الأخلاقية، ويمكن المعلم من تعديل بعض الممارسات والسلوكيات غير السوية.

١١- التعود على الارتجال، وسرعة الخاطر، والاعتماد على النفس في الحصول على المعلومات، وحرية النقد^(١).

ثانياً: ثمرات الحوار في المجال التربوي:

لعل أوضح ثمرات الحوار في التربية هي أن اعتماد الأبناء والناشئة الحوار يثبت الأفكار لديهم، و يجعلهم يقبلون على المناقشة يحب وشغف، وعندئذ يستمعون أكثر مما يتحدثون، ويتفاعلون بأدب ومراعاة لظروف الآخرين، ويتعلمون آداب الحوار التي عرضنا لها في الباب الأول، ويتعلمون كيفية الحوار مع الذات ومع الآخرين مما عرضنا له في الباب الثالث، ويتعلمون مستقبل الحوار مع الحضارات الأخرى مما عرضنا له في الباب الرابع. وبقى للدعاة أن يعلموا خصائص الحوار التربوي وهي :

(١) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار (ص: ٨٦).

خصائص الحوار التربوي:

- أن يقوم الحوار على التواضع، أما إذا تعالي كل طرف على الآخر واتهمه بالجهل؛ فسيتحول الحوار إلى نزاع بين الأطراف المتحاورة، ويصبح مجرد صيحات وصراخ. وقد ينتهي بالعداوة والكراءة والإحباط وتبادل الاتهامات ومحاولات الانتصار على الخصم.
- الحوار الجيد يقوم على الحب؛ كما يقوم أيضاً على احترام الآراء، ويساعد على نشر الحب، ويتجنب أصحابه العنف والانفعال وهذا هو الحوار الناضج.
- إعطاء كل الأفراد حق التحاور، مع احترام وجهات النظر المعاصرة أي أنه من واجب كل فرد أن يستمع إلى زملائه وهم يتحدثون أو يعبرون عن أفكارهم.
- الحوار الجيد يساعد على بناء علاقات جادة بين التلاميذ بعضهم وبعض، وبينهم وبين المعلم، ليكتسبوا ثقة بالنفس، وإدراكاً عميقاً لحقه في الاختلاف مع الآخرين، وحق الآخرين في الاختلاف معه، كما أنه يكسبهم أسلوباً جديداً في معالجة أمور حياتهم.
- الحوار الجيد يقوم بين أفراد واعين قادرين على تحليل الموقف بشكل مرن متحرر من التمسك والتعصب بالأفكار الشخصية؛ يساعد فيه المعلم طلابه على أن يفسروا ويستنتاجوا؛ معتدين على معرفتهم بالمعلومات السابقة.
- يعتمد الحوار الجيد على لبقة التلاميذ المتحاورين، وكياستهم وإحساسهم بالمسؤولية نحو أنفسهم ونحو الجماعة.
- يتسم الحوار بالبعد عن الاتجاهات الجدلية، وكذلك البعد عن السفسطة التي لا طائل من ورائها؛ مما يساعد كذلك على إصلاح الأفكار الخطأ الهدامة، وترسيخ الأفكار البناءة المشرمة.

٨- الحوار الجيد تتوافر فيه الدوافع النفسية التي تشير حماس الطلاب ، وتصور عبارته وأفكاره حسب مشاعرهم ، وتبين من نشاط تفكيرهم لا تفكير غيرهم ، وتبين ميلهم في صدق وإخلاص^(١) .

٩- في الحوار الناجح يجب أن يتكلم الطالب أكثر من المعلم ، على أن يتم تبادل الأفكار الموجهة نحو تحقيق هدف معين .



(١) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار (ص: ٩٣)

الفصل الثالث

ثمرات الحوار في التعامل مع الأمم الأخرى

أولاً: الحوار وأثره في علاقة الإسلام بالغرب:

لا يخفى علينا أن بعثة رسول الله ﷺ بالإسلام كانت منعطفاً تاريخياً في حياة الناس جميعاً، وتحولَ حضارياً متميزاً في نهج حياتهم وتعاملهم. تحول الخطاب فيه من قومية الأديان وحدودية مقاصدها، إلى عالمية الإسلام وشمولية دعوته وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها. حيث سمع الناس لأول مرة فكرة المجتمع الواحد، كما سمعوا أيضاً لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقيهم وأوطانهم^(١).

والإسلام الحنيف لا يكتفي بمحو أسباب التفرق والنزاع بين الناس؛ بل يدعو إلى التسامح العام، ولشأن التسامح يداوى القلوب المكلومة، ويجتذب النفوس النافرة. فالإسلام منهج للناس جميعاً، ومقاصده لخيرهم وفلاحهم، وخطابه لهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقيهم، وأديانهم.

فهو تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات، والأعراق، والأجناس، إلى سعة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد، وفي إطار منهج التعاون بين الناس جميعاً على أساسٍ منْ قِيمِ ربيهم^(٢).

ولا شك أن للغرب وحضارته علاقات ولقاءات بال المسلمين وحضارتهم على مدى التاريخ. وقد يكون مفهوماً لدى الباحثين أن المصالح الاقتصادية، والعلمية، والتقنية تتداخل لدرجة أن المصالح السياسية أحياناً تبدو متشابكة بل ومشتركة في بعض الميادين.

(١) الإسلام والنظام العالمي الجديد (ص: ٦٧ - ٦٩).

(٢) الإسلام والنظام العالمي الجديد (ص: ١٤٤).

وما لا يخفى أن الإسلام قدم نظرة شاملة للكون والحياة والإنسان. وأن هذه النظرة تبقي أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

وهذه النظرة تشمل الأخلاق، والاقتصاد، والمجتمع، والسياسة، ومن هذه المنطلقات قامت الحضارة الإسلامية على مبدأين مهمين: هما التغيير والاستشراف. ولعل فواتح كتب الرسول ﷺ إلى إمبراطور الروم وكسرى الفرس توضح هذين المبدأين.

فقد جاء في رسائل الرسول ﷺ بعد المقدمة: ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَكْنِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وهذه الآية الكريمة جاءت لتقرر مبادئ هامة في علاقات المسلمين بأهل الكتاب:

- مبدأ الاعتراف بالآخرين.

- مبدأ الحوار وأهميته.

- مبدأ احترام المшиئة الذاتية لدى الآخر.

- مبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات محدودة وسامية.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الحوار مع الغرب واللقاء بالغربيين؛ فقد كان هناك لقاء عملي تم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي من خلال المؤسسات العلمية التي قامت في الأندلس.

حيث جاء أبناء الغرب من الجزر البريطانية، ومن فرنسا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة وغيرها يأخذون عن المسلمين علومهم، وعادوا بها إلى بلادهم حيث استطاع الغرب بذلك أن يؤسس نهضة صناعية وزراعية.

وقد أرسل الملك جورج ملك بريطانيا وفداً من بنات الأشراف الإنجليز؛ مكوناً من ثمانية عشرة فتاة برئاسة ابنة أخيه الأميرة: دوبيونت.

الحوار في الإسلام

ورافق الوفد أحد كبار موظفي القصر الملكي البريطاني هو النبيل سيف ديك، ومع الوفد هدية ثمينة لل الخليفة.

وجاء في رسالة الملك جورج إلى الخليفة الأموي بالأندلس بعد مقدمة ودية : لقد سمعنا عن الرقى العظيم الذي تتمتع بفيضها الصادي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العاملة. فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل ؛ لتكون بداية في اقتفاء آثاركم لنشر أنوار العلم في بلادنا. وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة (دو بونت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز، لتكون مع زميلاتها موضع عنابة عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وعطف اللواتي سيتوفرن على تعليمهن. وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، وأرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الحالص.

وعند وصول البعثة أمر الخليفة باستضافة جميع أعضائها والرافقين في قصره وإحاطتهم بكلام الضيافة، وتخصيص نفقة مالية لكل منهم من بيت مال المسلمين. وبعث الخليفة هشام السادس آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس بخطاب جوابي إلى الملك البريطاني جاء فيه : لقد اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنهم الأمر. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرورٍ زائدٍ، وبالمقالة أبعث لكم بغالى الطنافس، وهي من صنع أبنائنا وهدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا، والسلام لله^(١).

والمتأمل - أعمقاً وأبعاداً - في علاقة الإسلام بالغرب. يجد أن المسلمين عندما شعروا بالتأخر الذي أصاب بلادهم بعد سقوط الخلافة العثمانية، وجدوا أن الفرصة مناسبة لتعلم علوم الغرب، ولذا كانت هناك محاولات تطويرية قامت في مصر على يد محمد على، وامتدت بعد ذلك إلى كثير من بلاد المسلمين.

وقد سافر بعض الشباب المسلمين إلى أوروبا، وأخيراً إلى أمريكا لطلب العلم؛ حيث استطاع كثيرون أن يكتسبوا علوماً، ونظموا، وطرائق في مجالات الفيزياء،

(١) الإسلام والغرب حوار لا صراع (ص: ١٣ - ١٥).

والكيميات، والرياضيات، والطب والتربيـة، والإـدارـة، وعادـوا إـلـى بلـادـهـم يـدـعـونـ إـلـى التـقـدـمـ فـي مـجـالـاتـ الطـبـ، وـالـزـرـاعـةـ، وـالـصـنـاعـةـ، وـالـعـلـمـ، وـالـتـنـظـيمـ الإـدـارـيـ^(١)ـ. وـإـنـ وـجـودـ أـقـلـيـاتـ إـسـلـامـيـةـ فـي الـمـجـتمـعـ الـأـخـرـىـ، وـفـي الـغـرـبـ بـالـذـاتـ. يـسـاعـدـ الـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ تـحـقـيقـ حـوـارـ حـضـارـيـ. وـذـلـكـ بـأـنـ تـكـوـنـ الـأـقـلـيـاتـ عـنـصـرـاـ فـاعـلـاـ فـيـ النـسـيـجـ الـاجـتـمـاعـيـ فـيـ كـلـ بـلـدـ تـعـيـشـ فـيـهـ هـذـهـ الـأـقـلـيـاتـ. وـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ الـإـلـاـخـلـاـصـ فـيـ الـعـلـمـ، وـالـصـدـقـ فـيـ القـوـلـ وـالـوـعـدـ، وـالـمـبـادـرـةـ إـلـىـ فـعـلـ الـخـيـرـ لـلـأـخـرـيـنـ، وـإـشـاعـةـ رـوـحـ الـمـوـدـةـ فـيـ الـمـجـتمـعـ الـذـيـ يـعـيـشـونـ فـيـهـ.

كـذـلـكـ الـمـرـاـكـزـ الـنـقـاـفـيـةـ إـسـلـامـيـةـ تـؤـدـيـ دـوـرـاـ كـبـيرـاـ فـيـ تـقـرـيـبـ وـجـهـاتـ النـظـرـ. وـلـابـدـ أـنـ نـعـدـ يـدـ الصـدـاقـةـ لـمـؤـسـسـاتـ وـمـعـاهـدـ وـجـامـعـاتـ فـيـ الـغـرـبـ تـعـنـىـ بـدـرـاسـةـ الـتـرـاثـ إـسـلـامـيـ وـطـرـيقـةـ التـفـكـيرـ لـدـىـ الـمـسـلـمـيـنـ. مـثـلـ جـامـعـةـ هـارـفـارـدـ، وـجـامـعـةـ بـيـلـ فيـ أـمـرـيـكاـ، وـكـامـبـرـدـجـ، وـأـكـسـفـورـدـ، وـجـامـعـةـ لـنـدـنـ فـيـ بـرـيـطـانـيـاـ، وـالـسـورـيـوـنـ وـمـعـهـدـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ فـيـ فـرـنـسـاـ.

وـلـهـذـاـ كـانـ عـلـىـ أـمـتـاـ إـسـلـامـيـةـ أـنـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـغـرـبـ مـنـ خـلـالـ فـقـهـ الـعـلـاقـاتـ الـدـوـلـيـةـ، وـفـقـهـ الـمـصـالـحـ الـمـشـتـرـكـةـ وـفـقـهـ التـعـاـيشـ الـبـشـرـيـ. فـيـ إـطـارـ التـدـافـعـ الـإـنـسـانـيـ لـتـحـقـيقـ الـمـصـالـحـ، وـصـرـفـ الـفـسـادـ عـنـ الـأـرـضـ: وـفـقـهـ مـنـهـجـيـةـ السـيـاسـاتـ الـشـرـعـيـةـ لـفـقـهـ الـأـوـلـيـاتـ، وـفـقـهـ الـمـواـزـنـاتـ، وـفـقـهـ الـمـصـالـحـ، وـفـقـهـ الـضـرـورـاتـ، وـفـقـهـ الـرـخـصـ وـالـعـزـائـمـ وـغـيرـهـاـ^(٢)ـ.

وـإـذـاـ تـمـ النـظـرـ إـلـىـ الـغـرـبـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ الـمـعـالـمـ أـدـرـكـنـاـ أـنـ هـنـاكـ عـنـاصـرـ اـتـفـاقـ، وـإـحـسـاسـاـ مـشـتـرـكـاـ يـكـوـنـانـ فـيـ النـهـاـيـةـ بـنـيـةـ أـخـلـاقـيـةـ تـحـتـيـةـ لـحـرـكـةـ الـجـمـعـ الـبـشـرـيـ، وـهـذـاـ يـأـخـذـنـاـ إـلـىـ تـوـضـيـحـ دـوـرـ حـوـارـ الـعـلـمـاءـ الـفـعـالـ الـمـشـرـمـ فـيـ تـحـقـيقـ الـتـفـاعـلـ الـخـضـارـيـ مـعـ الـأـمـمـ الـأـخـرـىـ.

(١) إـسـلـامـ وـالـغـرـبـ حـوـارـ لـاـ صـرـاعـ (صـ: ١٥ـ).

(٢) إـسـلـامـ وـالـنـظـامـ الـعـالـمـيـ الـجـدـيدـ (صـ: ٥٧ـ).

ثانياً: حوار العلماء لدعوة غير المسلمين:

هناك نماذج من علماء الإسلام الذين حاوروا أهل الكتاب وفق الموضوعات التي قررها القرآن، والتي تخدم الأهداف الشرعية ولنأخذ أمثلة منها:

- ١- أبو الحسن العامري: وله كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، قارنَ فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وبعض الملل الأخرى، وبيَّنَ من خلال ذلك فضائلَ الإسلام، المتعددة، وفي نهاية الكتاب ردَّ على شبّهاتِ أهل الأديان الأخرى تجاهَ الإسلام وبشارة الكتب السابقة بالنبيِّ محمدٌ ﷺ.
- ٢- أبو حامد الغزالى، وله كتاب الرد الجميل لإلٰهية عيسى بصرىح الإنجيل، وتناول في كتابه: طوائف النصارى وجهمهم، ثمَّ الموضوع الرئيس وهو الرد عليهم في دعوahم التثليث، واتخاذ عيسى إلٰهاً من دون الله.
- ٣- ابن حزم الأندلسى، وله كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وقد أطال الكلام حول بيان تناقض كتب أهل الكتاب وما فيها من المنكرات، كما أثبت نبوةَ المسيح وكوئه عبد الله.
- ٤- أبو الوليد الباقي، وله رسالة جيدة رد فيها على راهب فرنساً في وقته بعد أن بعث الراهب رسالة إلى ملك الأندلس يدعوه فيها إلى النصرانية، وقد تضمنت رسالة الباقي إبطال التثليث وإثبات نبوةِ محمدٍ ﷺ.
- ٥- أبو المعالى الجويني، وله كتاب شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، والموضوع الرئيس للكتاب كما هو ظاهر من العنوان إثبات تحريف التوراة والإنجيل.
- ٦- أبو عبيدة الخزرجي، وله كتاب في الرد على النصارى ويركزُ فيه على بطلانِ ألوهية المسيح من أناجيلهم.
- ٧- أحمد القرافي، وله كتاب الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، يرد فيها على شبّهاتِ النصارى ويُثبّتُ فضلَ الإسلام وكماله.

٨- ابن تيمية، وله كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وهو من أفضل الكتب المصنفة في هذا الباب وأجمعها، رد فيها على شبهات النصارى وأثبت من خالله فضل الإسلام، وعمومَ بعثة النبي ﷺ، وساق الدلائل المختلفة على صحة رسالته، كما أبطل التشكيك، وَبَيَّنَ تحريفَ الأنجيل.

٩- عبد العزيز بن معمر، وله كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، وهو رد على كتاب لنصرياني في البحرين مليء بالشبهات على الدين الإسلامي، فرد في كتابه على هذه الشبهات مبيناً فيها فضل الإسلام وكماله.

١٠- رحمت الله الهندي، وله مناظرات كثيرة في الهند مع النصارى هناك أشهرها المناظرة الكبرى مع القس فندر، وبحث فيها موضوعات النسخ والتحريف، ثم انسحب القس عن استكمال بقية الموضوعات، وهي إثباتُ بعثة النبي ﷺ، وصحة رسالته، وإبطال التشكيك، كما أن له كتاباً المشهور وهو من أحسن ما ألف في هذا الموضوع وهو إظهار الحق ويتناول خمسة موضوعات رئيسة وهي: التحريف، والنسخ، ورد فيها على اليهود والنصارى وأثبت تحريف كتبهما ونسخهما. وإبطال التشكيك، وإثبات كون القرآن كلام الله، وإثبات نبوة محمد ﷺ من خلال الإشارات في العهدين.

١١- أبو الأعلى المودودي، وله مكاتبات مع البابا بمناسبة اليوم العالمي للسلام أشار فيها إلى أن المسلمين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، ولكنهم يؤمنون أنها محرفة، كما ذكر دَوْرَ جمعيات التبشير في زعزعة السلام، وانتقد أساليبهم المنافية للأدب والدين، وَدَوْرَ النصارى في وجود إسرائيل^(١).

١٢- أحمد ديدات، وله مناظرات كثيرة ومشهورة مع النصارى في عصرنا الحاضر أشهرها مناظرته مع القس (سوجارت)، كما أن له كتاباً كثيرة مثل: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ والمواضيع الأساسية التي يتناولها في كتبه ومناظراته

(١) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر (ص: ٢٣٩ - ٢٤٤).

إثباتُ رسالَةِ محمد ﷺ من كتب النصارى، وإبطالُ التثليث من كتبهم، والردُّ على شبّهاتِهم المختلفة.

هذه نماذجٌ مضيئَةٌ من العلماءِ القدامى والمعاصرين من التزموا بالقواعدِ المُحَقَّقةِ للأهدافِ المُشروعَةِ للحوارِ، فإنَّ المُسْلِم لا يمْتَنَعُ عنِ الْحَوَارِ إِذَا تَرَجَّحَتْ مُصلحتُه وإنَّ لَمْ تَكُنْ فِيهِ الشُّرُوطُ، لأنَّ المُسْلِم مُأْمُورٌ بِدُعْوَةِ غَيْرِهِ إِلَى الإِسْلَامِ، فَيُدْعَى بِقَدْرِ عِلْمِهِ وِإِمْكَانِهِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَمْكِنْ مِنْهُ أَوْ خَشَى عَلَى نَفْسِهِ الْفَتْنَةَ فَإِنَّهُ يَمْتَنَعُ عَنْهُ.

وَلَيْسَ مَعْنَى وُجُودِ الشُّرُوطِ فِي الْمُحَاوِرَةِ أَنْ يَمْحَاوِرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، بَلْ لَابْدَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمُصْلَحَةِ، فَقَدْ يَكُونُ الْأَفْضَلُ تَرْكُ الْحَوَارِ أَمَّا جَمِيعُ الْعَامَّةِ لِأَنَّهُمْ يَقْصُرُونَ عَنْ فَهْمِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعْانِيِّ، وَتَلْتَبِسُ عَلَيْهِمُ الْمَصْطَلَحَاتُ، وَلَا فَائِدَةُ لَهُمْ مِنْهُ، وَقَدْ يَفْهَمُونَ الشَّبَهَ وَيَعْجِزُونَ عَنْ فَهْمِ الرَّدِّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ فِي هَذَا الظَّرْفِ تَرْكُ الْحَوَارِ أَمَّا مُهُمْ أُولَى. وَرِبَّا يَكُونُ الْعَكْسُ صَحِيحًا فَيَكُونُ الْأُولَى حَدُوثُ الْحَوَارِ أَمَّا عَامَّةُ النَّاسِ لَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، لِكَوْنِهِمْ كُفَّارًا أَوْ مُسْلِمِينَ فِي بَلَادِ الْكُفَّارِ، وَيَفْهَمُونَ مَا يَقَالُ فِيَكُونُ الْحَوَارِ دُعْوَةً لِلْكُفَّارِ، وَتَشْبِيَّتًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَهَكُذا إِنَّ لِلْحَوَارِ أَثْرَهُ الْفَعَالَ فِي تَعْرِيفِ الْآخَرِينَ بِالإِسْلَامِ، وَيَأْتِي هَذَا مِنْ خَلَالِ مُحَاوِرَيْنِ دَارِسِيْنِ، أَعْدُوا الْعَدَةَ لِهُنَّا، وَلَدِيْهِمْ دَرَائِيَّةٌ كَامِلَةٌ بِالْأَدِيَانِ الْأُخْرَى، وَعِنْدَهُنَّ يَكُونُ الْانْفَتَاحُ عَلَيْهِمْ بَابًا لِلأَخْذِ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الظَّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَتَأْكِيدًا لِذَلِكِ إِنَّ مَا فَعَلَهُ الدَّاعِيُّ الْإِسْلَامِيُّ أَحْمَدُ دِيدَاتٍ آتَى ثَمَارًا عَظِيمًا فِي دُخُولِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَنَأْمَلُ أَنْ تَتَسْعَ قَاعِدَةُ الْحَوَارِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ مِنْ أَبْوَابِ الْهَدَايَا لَهُمْ، وَلِعُلُّ الْمَهَيَّاتِ وَالْمَؤْسِسَاتِ الْقَائِمَةِ عَلَى الدُّعَوَةِ فِي بَلَادِ الْمُسْلِمِينَ تُعَدُّ دُعَاءً مُتَقَفِّيًّا بِفَكْرِ الْآخَرِ وَلِعَتِيهِ؛ فَضْلًا عَنْ تَكْنِهِمْ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَعِلْمِ الْعَصْرِ، وَتَلْكَ مَهْمَةٌ شَرِيعَةٌ تَحْتَاجُ مِنْ يَنْهَضُ لَهَا لِنَشْرِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ.



الخاتمة

بعد هذا العرض لأبواب الكتاب الخمسة، وفصوله المتعددة في موضوع الحوار في الإسلام، وبيان استمداد مشروعيته من الكتاب والسنة، وبيان كمال الشريعة، وسموها في إرشاد الناس على وجه تفصيلي إلى أحد أرقى أساليب الدعوة إلى الله، بالمحاورة والمناظرة، وفق ميزان عادل تنتظم به جميع أنواع المحاورات، وإرشاد من طلب الحق بهذه الطريقة طريقة الحوار مع الغير باستخدام آداب الحوار الكثيرة، والبعد عن الأسباب التي تمنع من تحقيق المقصود، وبمعرفة فوائد الحوار المتعددة: من تميز الحق من الباطل، ومن تنشيط الذهن، ومذاكرة العلم، وكف أذى المعاندين، وشحذ الهمم، والتدريب على مواضع الخلاف، وإظهار الدين، والتحرر من التقليد، وتفهم العلوم واستخراج الخفي منها، إلى غير ذلك.

يتضح لنا بعد كل هذا أن الاحتياج شديد لمعرفة طبيعة الحوار، وأصوله، واستيعاب العلوم التي تعين على فهمه، خاصة أنَّ الموضوعات المتعلقة به لم يسبق أن تعرضت لها الكتب التي صنفت فيه قدیمها وحديثها بهذا التفصيل والتحليل.

وقد أنعم الله علينا بالمادة العلمية التي أثرتُ المعالجة، وذلك من خلال تلاؤح الأفكار، ودوام المدارسة والتنقيب والبحث والاستقصاء، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هذا ولعل المطلع على هذا الكتاب يتمنى إضافة موضوعاتٍ أخرى متممة له من أهمها:

- مواقف الحوار والحجاج في القرآن الكريم (وهو كتاب جديد تم جمع مادته العلمية، في سبيل ظهوره قريباً إن شاء الله تعالى).
- جوانب الهدایة من الإقناع والتوجيه في الحوار النبوی الشريف.

الحوار في الإسلام

وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بهذه القضية، والتي نأمل أن تنهض بها
المؤسساتُ والهيئاتُ العلميةُ والدعويةُ في بلاد المسلمين لإبراز الصورة الصحيحة
لهذا الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المراجع والمصادر

- ١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي.
- ٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالى.
- ٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن جبنكه الميداني.
- ٤) آداب البحث والمناظرة ، محمد الأمين الشنقيطي.
- ٥) أدب الاختلاف في الإسلام ، طه جابر فياض العلوانى.
- ٦) أدب الحوار في الإسلام ، سيف الدين شاهين.
- ٧) أدب الحوار والمناظرة ، على جريشة.
- ٨) أدب الحوار ، صالح بن حميد.
- ٩) أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.
- ١٠) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني.
- ١١) أساس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حسن جبنكه الميداني.
- ١٢) الإسلام والبعث الحضاري ، أحمد عبده عوض.
- ١٣) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين.
- ١٤) الإسلام والعلمة، مؤتمر عن العولمة والصراع بين الإسلام والغرب ، القاهرة، ١٩٩٩م، أحمد عبد الرحمن ، آخرون.
- ١٥) الإسلام والغرب حوار لا صراع ، سعيد عطية أبو عالي.
- ١٦) الإسلام والنظام العالمي الجديد ، حامد أحمد الرفاعي.
- ١٧) أصلة الفكر العربي ، محمد عبد الرحمن مرحبا.
- ١٨) أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان.
- ١٩) أضواء على الحضارة الإسلامية أحمد عبد الرحيم السايع.
- ٢٠) إظهار الحق ، رحمت الله الهندي.
- ٢١) الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشاطبي.
- ٢٢) إعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعى.
- ٢٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر ابن القيم.
- ٢٤) الإعلام في القرآن الكريم ، عبد القادر حاتم.
- ٢٥) إفحام اليهود ، السَّمَوْءَلُ بن يحيى المغربي.
- ٢٦) اقتضاء الصراط المستقيم ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.
- ٢٧) الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، آخرون.

الحوار في الإسلام

- ٢٨) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن القيم.
- ٢٩) البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير الدمشقي.
- ٣٠) بدیع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري.
- ٣١) بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي.
- ٣٢) بصائر الحق في سورة الأنعام، عبد الحميد محمود طهمان.
- ٣٣) تاريخ الأمم والملوک، أبو جعفر بن جریر الطبری.
- ٣٤) تاريخ البند أو تحقيق ما للهند من مقوله في الفعل أو مردولة، محمد الیروني.
- ٣٥) التعريفات، عبد القاهر الجرجاني.
- ٣٦) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير الدمشقي.
- ٣٧) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي.
- ٣٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي.
- ٣٩) الجواب الصحيح لمن بدل دین المسيح، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمَةَ.
- ٤٠) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق الراعي.
- ٤١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة، يحيى محمد زمزمي.
- ٤٢) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية، أحمد عبد الرحيم السابح.
- ٤٣) الحوار بين الجماعات الإسلامية، محمد سيد أحمد المسير.
- ٤٤) الحوار في القرآن، سناء محمد عبد الله عابد.
- ٤٥) الحوار لغة القرآن والسنة النبوية، إبراهيم أحمد الوقفي.
- ٤٦) الحوار مع أهل الكتاب، أنسه ومناهجه، خالد بن عبد الله القاسم.
- ٤٧) الخطابة في صدر الإسلام ، محمد طاهر درويش.
- ٤٨) دعوة الإسلام ، سيد سابق.
- ٤٩) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش.
- ٥٠) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي غزال.
- ٥١) الرد على المخالف، بكر بن عبد الله أبو زيد.
- ٥٢) رسالة راهب فرنسا، أبو الوليد سليمان بن خلف البابجي.
- ٥٣) رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.
- ٥٤) زاد المعاد في هدى خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم.
- ٥٥) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، القزويني.
- ٥٦) سنن أبي داود، سليمان السجستاني أبو داود.
- ٥٧) سنن الترمذی، محمد بن عیسی الترمذی.

- (٥٨) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.
- (٥٩) السيرة النبوية عبد الملك ابن هشام.
- (٦٠) سيميولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره.
- (٦١) شرح ابن عقيل أبو عبد الله ابن مالك.
- (٦٢) شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الملك الجوهري.
- (٦٣) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري.
- (٦٤) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
- (٦٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحاج القشيري النسابوري.
- (٦٦) صفحات من أدب الرأي، محمد عوامة.
- (٦٧) ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره عبد المجيد الياباني.
- (٦٨) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر، أبو الأعلى المودودي.
- (٦٩) طريق الخطابة والإلقاء، رakan عبد الكريم حبيب.
- (٧٠) عالمية الدعوة الإسلامية، على عبد الحليم محمود.
- (٧١) العقيدة والسلوك والانفصال بينهما، أحمد عبده عوض.
- (٧٢) علل وأدوية، محمد الغزالي.
- (٧٣) علم آداب البحث والمناظرة، أحمد مكي.
- (٧٤) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، على عبد الحليم محمود.
- (٧٥) الغزو الفكري وهم أم حقيقة، محمد عمارة.
- (٧٦) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي.
- (٧٧) فاعلية مجموعة من الأنشطة الوظيفية لتنمية مهارات الحوار لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، بشارة محمد محمود.
- (٧٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني.
- (٧٩) فتح القدير، محمد بن على بن محمد الشوكاني.
- (٨٠) فقه الدعوة والإسلام، عمارة نجيب.
- (٨١) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب.
- (٨٢) في ظلال القرآن، سيد قطب.
- (٨٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
- (٨٤) القرآن الكريم هدایته واعجازه في أقوال المفسرين، محمد صادق عرجون.
- (٨٥) القرآن والملحدون، محمد عزة دروزة.

- (٨٦) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار.
- (٨٧) القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن السعدي.
- (٨٨) الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.
- (٨٩) كيف تماور ، طارق بن على الحبيب.
- (٩٠) لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور.
- (٩١) ما يعد به الإسلام ، روحيه جارود.
- (٩٢) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان.
- (٩٣) مبادئ التعايش السلمي في الإسلام ، عبد العظيم المطعني.
- (٩٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.
- (٩٥) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى.
- (٩٦) معالم الحضارة الإسلامية ، مصطفى الشكعة.
- (٩٧) المعلم وإدارة الفصل ، فارعة حسن محمد.
- (٩٨) مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد الرازى.
- (٩٩) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم محمد الأصبهاني.
- (١٠٠) مقومات الداعية الناجع ، على بادحدح.
- (١٠١) الملل والنحل ، محمد بن عبد الكري姆 الشهريستاني.
- (١٠٢) من أجل الحوار بين الحضارات ، روجيه جارودى.
- (١٠٣) المناظرة الحديثة في علم الأديان بين الشيخ ديدات والقسис سوجارت ، أحمد حجازي السقا.
- (١٠٤) مناهج الاجتهاد في الإسلام ، محمد سلام مذكر.
- (١٠٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم زاهر عواض الأنطوي.
- (١٠٦) المتقد من الضلال ، أبو حامد الغزالى.
- (١٠٧) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، محمد سرور زين العابدين.
- (١٠٨) منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي ، بركات محمد مراد.
- (١٠٩) منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية علي بن جابر الحربي.
- (١١٠) منهج القصة في القرآن ، محمد شديد.
- (١١١) نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره ، محمد على السادس.
- (١١٢) هذا هو الإسلام سماته وحاجة الإنسانية إليه ، أحمد عبد الرحيم السايد.



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٥	الباب الأول: مدخل إلى الحوار
١٧	الفصل الأول: تعريفات ومفاهيم
٢٢	الفصل الثاني: الحوار والمعاني المشابهة له
٣٣	الفصل الثالث: الحوار في القرآن الكريم
٥٧	الفصل الرابع: الحوار في السنة النبوية
٦٩	الفصل الخامس: الحوار بين الصحابة <small>رض</small>
٧٥	الفصل السادس: آداب الحوار
١١١	الباب الثاني: التطور التاريخي للحوار
١١٣	الفصل الأول: الجذور التاريخية للحوار
١٢١	الفصل الثاني: حوار الأمم السابقة في القرآن الكريم
١٢٨	الفصل الثالث: الحوار مع اليهود
١٣٦	الفصل الرابع: الحوار مع الملحدين
١٤٤	الفصل الخامس: الحوار مع منكري البعث
١٤٨	الفصل السادس: الحوار مع المشركين
١٥٤	الفصل السابع: الحوار مع المنافقين
١٦١	الفصل الثامن: حوار المؤمنين في القرآن الكريم
١٦٩	الباب الثالث: الحوار مع الذات والحوار مع الآخر
١٧١	الفصل الأول: الحوار مع النفس
١٧١	أولاً: الحوار بمحاسبة النفس

١٧٧	ثانياً: الحوار بالتدبر والتفكير والتعقل والتأمل
١٨٤	الفصل الثاني: الحوار مع الآخر
١٨٤	أولاً: المناظرة
١٩٥	ثانياً: الحوار مع أهل الكتاب
٢٢٧	الباب الرابع: حوار الحضارات
٢٢٩	الفصل الأول: مفهوم الحضارة
٢٣٣	الفصل الثاني: مقدمة تاريخية عن عالمية الإسلام
٢٤٣	الفصل الثالث: حوار الحضارات في المفهوم الإسلامي
٢٤٨	الفصل الرابع: التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى
٢٦٠	الفصل الخامس: الرؤية المستقبلية لحوار الحضارات
٢٦٩	الباب الخامس: ثمرات الحوار
٢٧١	الفصل الأول: ثمرات الحوار في مجال الدعوة إلى الله
٢٧٦	دور الحوار في إبلاغ الدعوة
٢٨٢	وسائل إبلاغ الدعوة
٣٠٠	الفصل الثاني: ثمرات الحوار في مجال التعليم والتربية
٣٠٠	أولاً: ثمرات الحوار في المجال التعليمي
٣٠٣	ثانياً: ثمرات الحوار في المجال التربوي
٣٠٦	الفصل الثالث: ثمرات الحوار في مجال التعامل مع الأمم الأخرى
٣٠٦	أولاً: الحوار وأثره في علاقة الإسلام بالغرب
٣١٠	ثانياً: حوار العلماء لدعوة غير المسلمين
٣١٣	الخاتمة
٣١٥	المصادر
٣١٩	الفهرس